حول تأثير العلاقة الإسلامية المسيحية في فلسطين

تقديم
الشيخ خليل عبد الرحيم حامي

PASSIA
الجامعة الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية - القدس
PASSIA

On Moslem Christian Relations
In Palestine
Edited by Jamil Hamami

PASSIA

مطبوعات

هاتف: 626664426 – 2 – 972-28287919 Fax: 2 – 972

PASSIA@palnet.com

www.passia.org

صفحة الإنترنت: ص. ب. 1995- القدس
المحويات

صفحة

5  مقدمة

- المقالة الأولى: "واقع ومستقبل العلاقة الإسلامية المسيحية في فلسطين" الشيخ بسام حرار
- المقالة الثانية: "واقع العلاقة الإسلامية المسيحية في فلسطين" الأب د. مارون لحام
- المقالة الثالثة: "واقع العلاقة الإسلامية المسيحية" الشيخ حسن يوسف
- المقالة الرابعة: واقع العلاقة الإسلامية المسيحية في فلسطين د. عطالله حنا
- المقالة الخامسة: "الجزء" - حسين محمود أحمد المهدي
- المقالة السادسة: "الإسلام وأهل الهدمة من أهل الكتاب" - د. إسماعيل واهضة
- المقالة السابعة: "الحوار بين المسلمين والنصارى في فلسطين" د. محمد عبد القادر عابدين
- المقالة الثامنة: المواطنة في الدولة المسلمة - الشيخ حسن يوسف
- المقالة التاسعة: "وحدة الدين" - د. سعيد سليمان الفقي
- المقالة العاشرة: "نظرة الإسلام إلى غير المسلمين" - د. محمد عبد القادر عابدين
- المقالةحادية عشرة: أحكام أهل الهدمة في الدولة الإسلامية - د. حمزة ذيب مصطفى
- المقالة الثانية عشرة: نظرة الإسلام إلى الآخر - الشيخ عكمة صبري
- المقالة الثالثة عشرة: نظرة المسيحيين للآخرين - الأب بطرس مدروس
- المقالة الرابعة عشرة: نظرة الإسلام إلى غير المسلمين - د. محمد علي مصطفى الصليبي
المقالة الخامسة عشرة: نظرة الإسلام لغير المسلمين - الشيخ تيسير بوض العيمي

المقالة السادسة عشرة: نظرة الإسلام للآخر - د. ناجي عبد الجبار

المقالة السابعة عشرة: نظرة الإسلام للآخر - إبراهيم دعيبس

المقالة الثامنة عشرة: نظرة الإسلام للآخر - د. إبراهيم أبو سالم

٢١٩

٢٣٣

٢٤٧

٢٥٥
مقدمة

هل العلاقة الإسلامية المسيحية في فلسطين متوازنة وثمرة في أزمة

كما يصورها البعض أم أنها مجرد أفهام في ذهن البعض؟ هل يمكن أن
تقوم علاقة بين المسلم والوسيحي على قاعدة الاحترام والاعتراف
بالآخر؟ هل يمكن أن يقام مجتمع مدني في فلسطين يعيش فيه الجميع
كما عاش الآباء والأجداد وفق تصورات وتاريخ هذه الأمة؟ هل مـا
يروجه الإعلام الغربي عن العلاقة الإسلامية المسيحية حقيقي أم هو جزء
من الحملة التي يشنها أعداء هذه الأمة حتى تبقى مزقة ونقـف موقف
الدفاع؟

أسئلة كثيرة تطرح وتدور في خلد الغيورين والمهتمين في تاريخ هذه
البلد حاضرها ومستقبلها، مستقبل أجيال الذين يتعرضون لضغوطات
نفسية تكاد تضعفهم. من هنا يأتي دور الحوار، دور اللقاء، دور
سماع الآخر للآخر على قاعدة "تعالوا إلى كلمة سواء" نبغي هنا أن
نصل إلى حالة من التفاهم والتعايش والبناء على أسس تسنم مع تلوـيخ
وحضارة هذه الأمة التي استطاعت على مدار التاريخ أن تضع في بوتـة
مجتمعها كل فئات الشعب وطوائفه، ينعم الجميع بالحقوق الكاملة،
حقوق المواطنة ويؤدون بكل روح طيبة واجبات المواطن تجاه وطنه
ولبده وأمته.
نعم، إننا نؤمن أن لغة الحوار بين الأفكار المتباينة هي لغة الحضارة والرقي وهي لغة الذين يحترون العقول ويقدرọn الإنسان، وهو منهج قلم مارسه الأنبياء من لدن آدم عليه السلام، ومارسه بعدهم الدعاة والمصلحون من أتباع الديانات، فهذا نوح يقول لقومه: "أعبدو الله لما كنتم من إله غيري، وأعلم أن الله لا تعلمون، وأعبدو ما ذكرهركم". وهذا هو حكم رسلات ربنا وانصربه وتكفوا وفلكم ترجعون. "و هذا إبراهيم يقول لقومه "أعبدو الله ولا تكنش صاحبًا". وهذا إبراهيم يقول لقومه "أعبدو الله ولا تكنش صاحبًا". هنا تذكر من دون الله ملكون رؤا، فتتبع عند الله الرزق واعبدو وواشقروا عحاله ترجعون "ف في آية أخرى "إني برأ، ما تعتقدون، إلا الذي فطرين فإنه سهدين،"}

۱ سورة الأعراف الآيات من ۲۲۰-۵۹
۲ سورة الأعراف الآيات من ۶۸-۶۵
۳ سورة العنكبوت الآيات من ۱۷-۱۶
وجعلها كلمة أخلاقية في عقبة لعلمهم يعمنون. 1، 2 في آية أخـترى إدـفالـأبيه وقومه ما تصدون، قالوا آناب أصماً فنظل لما عاكفن، قال هل يسمعونك إذ تدعون، أو يسمعونك أو يضرون، قالوا بل وجدنا عباؤنا كذلك يفصلون، قال أفرءيت ما كنتم تصدون، أت纵
وبأولم القدمون، فإنهم عدوُّن لا رابع العلماء، الذي خلقني فيه يهدين، 3، 4 وهـذا موسى يقول لقومه 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، إذ أشتكى من ال فرزوين يصروين، سوء المذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10 إذا موسى يقومه إذ كرموا نعمه عليك، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا دين 11، 12، 13 ـ 14 ركم عظيم

1 سورة الزخرف الآيات 26-27
2 سورة الشعراء الآيات 78-79
3 سورة الكوثر آية 1
4 سورة الأعراف الآيات 106-107
5 سورة الصف آية 5

7
لا يختلف الأحزاب من بينهم فريق اللذين ظلما من عذاب يوم القيامة. 
وهذا خاتم الأنبياء عليه وعليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم يقول لأمتنا: 
"إرفعوا أذغاكم ولا تزودوا أحداً، قالني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً، قالني إنني محبوب من الله أحد ولن يوجد من دونه ملتحداً".

وإذا خاتم الأنبياء عليه وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام في حواره قومه: "قولوا الذي كفر وهو الذي كفرنا، قلسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة المجرمين".

"قل إن أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله منى وفرادي ثم تنكرروا ما يصاحبكم من جنة وإن هؤلاء نذير لكم بأن يبدأن عذاب شديد، قلما سأتكتم من أجر فهم لكم إن أجر لا على الله وهو على كل شيء شهيد، قالين ربي قلذي بالحق علم الغيب، قل جاء الحق وما بديع الباطل وما بديع".

أما قولين افتراء قال إن إفтренه فلا تكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تضمنون فيه كمى به شهيداً بني ونبوكم وهوا الغفور الرحيم، قالما كتم بدعا من الرسل وما أدرى ما فعل بي.

---

1 سورة الزخرف الآيات 23-26
2 سورة النجاح الآيات 22-26
3 سورة التحدي الآيات 19-27
4 سورة مبي الآيات 3-48
لا بُنِيَّةُ إلا ما يُوحى إلى وما أنتَ إلا نذيرٌ، قال رَبُّكَ: "إِنِّي كَانَ مِنْ عِندِي وَكُنْتُم بِهِ شَاهِدُونَ".

ولعلنا نحن هنآ في فلسطين بحكم وضعنا الخاص والميز والمعقد نتيجة الواقع المؤلم الذي نعيشه، وواقع الإحتلال ومحاولات طمس الهوية الحقيقية لهذا الشعب في أمس الحاجة إلى فتح حوار على قاعدة "التعابيش اليومي لأبناء الشعب الواحد". حوار لا نفسي من وراءه أن ندخل إلى قناعات كل طرف للآخر، حواراً نقصده به بناء علاقة مجتمعية تساهم في بناء الوطن وترسيخ الغيرة عليه دون تدخل من متبرص أو حاقد.

إن الخلاف بين الأفكار أمر طبيعي لا يجوز أن يكون الخلاف إلى حالة المديبة والتربص بالآخر، والعداء بين ذوي الأديان المختلفة في الوطن الواحد من سياسات المستعمرين قديماً وحديثاً تحت قاعدة "فرق تسد"، وكانت الأجيال السابقة من بني الأوطان العربية والإسلامية أكثر تفهماً لمخاطر الفرقة والتمزق.

وإدراكاً منا في الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية أهمية بناء المجتمع المدني في فلسطين وتفاعل وترابط أبناء الشعب الفلسطيني بشقيه المسلم والمسيحي، من خلال توظيف أدوات المعرفة والعلم والحوار بين أطراف الشعب الواحد، فقد دعى الجمعية إلى

---

١ سورة الأحقاف الآيات ١٠٨-١٠٩
سلسلة من ندوات الحوار بين علماء مسلمين ورجال دين مسيحيّين حضورهم في المجتمع واحترامهم ومكتانتهم، على أمل أن يصل المتحاورون إلى صياغة توصيات لعل أصحاب القرار والمهتمين يهتدون بها.
إن النقاش القائم على الاحترام المتبادل واضحًا وصادقًا وصريحًا يبرز خلاله أسئلة شجعتنا على الاستمرار في عقد هذه الندوات وتشجع المشاركين فيها على توقيع آرائهم، وهذا ما سيجده القارئ في مجموعة المقالات بين دفتي هذا الكتاب.
إن جدية هذه النخبة في البحث، وحرصها من أجل الوصول إلى حالة من التفاهم والانسجام بين أبناء الوطن الواحد دفعتنا إلى نشر هذه المقالات حتى تحم الفائدة.
أملنا كبير في أن يتصدر العقلاء وأصحاب الهمم العالية قضايا الأمة والشعب حتى يصلوا هم إلى بر الأمان والاستقرار.
والله وفي التوفيق هو ولينا وحافظنا جميعًا.
الشيخ جميل عبد الرحيم حمامي
القدس في كانون أُول 1999م

10
المقالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

واقع ومستقبل العلاقة الإسلامية المسيحية

في فلسطين

الشيخ بسام جرار

عاش المسيحيون منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا في أرجاء البلاد الإسلامية، بحيث
أصبح الإسلام بالنسبة إليهم راثاء، وتأثروا تأثراً كبيراً بالمجتمع المسلم الذي كان يمثل الأثرية على مدار
التاريخ الإسلامي. وقد وجدوا أنه من السهل عليهم أن يجمعوا بين مسيحيتهم واتشامتهم إلى المجتمع
الإسلامي، لأن الإسلام بيري أتباعه على حقيقة الاختلاف وحتميته، وجعل من القواسم المشتركة
روابط كافية لإيجاد مجتمع متوسط تعايش فيه القوميات والعقائد. ولا شك أن أربعة عشر قرنا من
التعايش كافية لجعل الوجود المسيحي من الحقائق الواسعة في المجتمع المسلم.

جاء في سورة المحققة: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم أن تبصروا وتعلقوا إليهم، إن الله يحب المست ан. يفهم من هذه الآية أن الإحسان في

* مدير مركز نون للدراسات والأبحاث القدائية/ البحيرة
معاملة غير المسلم من الأمور المستحبة في الإسلام، وكذلك العدل والإنصاف، بل إن العدل هو من الواجبات التي نصب عليها أدوات كبيرة. أما الذين يحاربون المسلم لأنه مسلم، وأولئك الذين أخرجوا وطردوا من وطنهم، فلا يجوز أن يكون بينهم وبين المسلم تناصراً وتفاوضاً. وقد عرّف القرآن الكريم المسلم مجتهدة المسيحية، وبين له نقاط الاختلاف ونقاط الاتفاق. من هنا ليس هناك إشكال من جهة العقيدة الإسلامية، ولا من جهة الواقع التاريخي، بل إن الحروب التي صمدتها الغرب بالحروب الصليبية، صمدها المسلمون القدماء حربة الفرقانة، ولم يخاطب المسلمون الأمور، فقد سُبِّوا بين المقاتلين القادمين من وراء البحر، والمواطن المسيحي غير المحارب.

إن الاختلاف في العقيدة والدين يشكل حاجزاً، ويجعل الاتفاق والتفاعل يشهد الكَلف والاقتراع. ويصدق هذا على الأديان المختلفة، والتي هي من صنع البشر. أما على الصعيد الإسلامي المسيحي ففي الوقت الذي يري فيه الإسلام المسلمين على الأخوة الإسلامية، أي الأخوة في جمعية الله وطاعته، ويجعل من المسلمين أمة واحدة، فهنا أحياناً يضع بعض التشريعات التي تبَّع المواقف مع الآخرين؛ كحريم زواج المسلمة من غير المسلم، ولكنه في المقابل يحص على العدل مع الآخرين؛ ويحب على التعامل بالحسن مع جميع البشر، فالإنسان مخلوق مكرّم ومستحق في الأرض. وفي الوقت الذي يحرم الإسلام زواج المسلمة من غير المسلم تحده يسمح بزواج المسلم من غير المسلمة، مع ما في هذه العلاقة من ود ومحبة وتعاون بين الناس، والقرآن ينص صراحة على هذا. والإسلام يجعل من الواقعية والوضحأ أساساً لبناء القلّة وأساساً لبناء القلّة وأساساً للنازحين بين المختلفين.
إن النظرية السريعة إلى واقع المجتمع الفلسطيني، وعلى وجه الخصوص النظرية من الداخل، تجعلنا نحكم أن صيغة التعايش بين المسلمين واللبنانيين في فلسطين هي صيغة جيدة، إذا ما قوّرت بالمجتمعات التي يمثل فيها غير المسلمين الأكبر. والمحبوب يذكر أن الغالبية من المسلمين واللبنانيين ترفض أي صيغة علنية للتمييز، بل هناك رغبة جماعية للسلام، وهناك نور من أي مؤشر يكشف عن وجود خلاف. ثم إن المعاينة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، تشبه النار التي تساعد على صهر المعادن المختلفة. ولننسى أن نسبة المسلمين في فلسطين تقلل من احتمال الصدام، وذلك تعاطف الأقلية مع الأقلية، يقابل إدراك الأقلية لحساسية موقعها، ومن هنا نستطيع لديها القدرة على التعايش، ويشبه لها الرغبة في المساحة، وهذا يحسن بوضوح في المجتمع الفلسطيني.

وبين هنا حواجز، وحرص كل طرف على عدم الجهر بوجود هذه الحواجز، وتسود روح المجاملة، ومصاداق الناس هذا الواقع، ولا ننسى أننا نشترك واقع المجتمع بعيداً عن خصوصيات ما ينشأ من علاقات حميمة وودية تقارب واقع الصدق، وإذا كان هذا هو الواقع فإن المستقبل قد يصبح أفضل، مع احتمال أن ينكس إلى الأسوأ، إلا أن العوامل الإيجابية أكثر توازناً، مما يجعلنا نشعر بالأطماع عندما نبحث العلاقة المستقبلية. ولكن لا نيمز أن تثومنا هذه العوامل وهذه المشاعر إلى موقف المعتمج عن العوامل السلبية التي يمكن أن تسود وتكبر، ومن هنا لا بد من المصارحة ومواجهة الإشكالية في سبيل واقع أفضل.

من أجل فهم أفضل
هناك أمور لا بد من أن يتبه إليها المسلم، وهناك أشياء لا بد من أن يتبه إليها
المسيحي، في سبيل فهم أفضل وتقارب أصدقاء وعلاقات أخرى.

13
على المسلم أن يفهم سيكولوجيا الأقلية، وأن يتعامل مع ذلك كحقيقة من حقائق الاجتماع البشري، وبالتالي عليه أن يفهم تحفظ الأقلية المسيحية، وسلوكها الحذر، وتشكيكها تجاه الأكبرية، وعليه أن يدرك أن سلوك الأكبرية تجاه الأقلية هو الذي يخلق لديها مواقفها التي قد تكون غير قابلة. وفي الوقت الذي تعي فيه الأكبرية هذه الأمور يجعلها أكثر تقبل وانفتاحاً على الأقلية مما يعكس إيجابياً على العلاقة المستقبلية.

عندما يتكلم المسلم عن دينه يتكلم عن الحقائق السائدة في المجتمع وعن المسلمين، وكثيراً لا يتبته إلى أن المسيحي يشعر بأن عقيدته تدان، وهذا يجعله يشعر بعدم الارتباك للموقف الجماهري الذي يضطر أن يقته. ولا يكاد المسلم يصدق أن علاقة الآخرين بدينهم يكون أن تكون قوية كثقافة المسلم، وهذا الاعتقاد يعكس في كلامه وسلوكي، مما يجعل المسيحي يشعر بأنه مهان.

الدين الإسلامي دين عالمي و الإنساني الأفق، ومن هنا يحرص المسلم على الدعوة إلى عقيدته وفكره، وهو يشعر بالسروش عندما يجد الآخرين يستمنعون الإسلام، وهذا يجعل الأقلية المسيحية تحسس إلى حد بعيد من هذه القضية، فعلى المسلم أن يفهم ردود الفعل لدى المسيحيين، وأن يتعامل معها كأمر طبيعي في مجتمع شرقي يقيم للدين وزينة كبيرة. وفي المقابل يجد بالمسيحي أن يذكر أن المسلمين لم يمارس عبر تاريخه الإجبار أو الاضطهاد الديني، بل هو يحرص على أن يكون اعتناق الإسلام على أساس القناعة.

اعتزال المسلم بدينه، ورغبته في الصويرة إلى ربه لا ينبغي أن يشكل حساسية لدى المسيحيين. والصحوة الإسلامية لا تمس مجال أوضاع المسيحيين في المنطقة إلا في الجوانب
الإجابة. لأن جهل المسلمين ومعهم عن روح الإسلام الحقيقية، يجعلهم يغرقون في حقوق بعض البعض، وفي حقوق الآخرين. بل إن التعصب ضد الخلافين هو من سمات المجتمعات الأقل وعاّ، والأبعد عن روح الدين. في المقابل لا ينبغي أن يفهم المسلم أن في إقبال المسيحي على دينه تخدياً وذنب خطر، فدرجة الدينية مكلولة منذ فجر الإسلام. أما عندما يظن المسيحي أن رجوع المسلم إلى دينه ينبغي أن يقابل بظاهرة مسيحية، فإن هذا يعني أن لديه أوهاماً، وأنه يسعى الفهم. ومن هنا على المسلم أن يفهم ذلك ويابد إلى علاجه بالحكمة.

هناك من المسيحيين من يتصوّر أن تحصين المسيحيين من تأثير الإسلام يكون بإعطاء صورة مشوهة ومغلوطة عن الإسلام، وقد يكون مثل هذا الموقف من سابق إصرار لدى بعض المبشرين، وهم يشعرون أن الغاية تبرر مثل هذه السلوكيات، ولا شك أن مثل هذه المواقف تسيء إلى العلاقة بين المسلمين والمسيحيين. وأعطي هنا مثلًا بعملية مسيحية مدنية قاتلت بقصص عال على مسمعي ومسع باقي الزملاء: يبني المسلمون المساجد في أوروبا بكل حرية، ولا يستطيع المسيحي أن يبني كنيسة في مكة!! عندما سمعت هذا الكلام لم أرده، وقدرت أنها تتعلق بعلمان من يرتفع لها الحقيق وهو لا تدري. فواضح أن من قال له هذا الكلام لم يقل لها أن مكة بقعة صغيرة جدا من العالم الإسلامي الذي تزيد مساحته عن 3.5 مليون كيلومتر مربع، وأن مكة هذه خصوصية إسلامية لا يلزم أن تبنى فيها كنيسة.击败 أن جهل أن الكنيس موجودة في العالم الإسلامي منذ وجد الإسلام، ومنذ كانت الدولة الإسلامية أعظم دولة في العالم: كدولة الراشدين، والأمويين، والعباسيين، والعثمانين. يبدو أنها لم تقرأ عن موقف أوروبا من المسلمين ومن المساجد، بل أن حداثة هذه المساجد دليل على الموقف
الغربي من الإسلام، وما قصة المسلمين في إسبانيا عنا بعيد. فما المانع أن يُدارك الغرب أخطاه التاريخية وسمح بناء المساجد الملايين من المسلمين يعيشون في الغرب؟! في المقابل لا بد أن يقوم المسلم بواجهة في إعطاء الصورة الحقيقية لوقف الإسلام من المسيحيين، فالجاهل معذور، والإنسان عدو ما يجهل، والتقاليد العظمى من الناس لا تعاد إساءة الفهم.

لا شك أن الغرب يشعر أن المسيحي أقرب إلى مشاهده من المسلم في بلادنا، وهذا أمر مفهوم نظراً لوحدة الدين. وقد يساعد المسيحي الشرقي في تقرب وجهات النظر بين الشعوب الغربية والشعب العربي والإسلامية، كما يمكن للمسيحي أن يكون حلقة الوصل من أجل الحوار الحضاري المكاني. ولكن الغرب الاستعماري يسعى للتحول المسيحيين إلى وكالة تسويق حضارته وتفاهمه، وقد ينجح مع البعض ولم ينجح مع البعض الآخر، فهو لم ينجح مثلاً مع المسيحيين الغربيين. وفي الوقت الذي يبت فيه بعض المسيحيين أن يلعبوا دور الوكيل للفصل بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة. في المقابل على المسلمين أن يدركوا أن وكالة الاستعمار يتنفس للإسلام والمسيحية، وعليهم أن يدركوا أن العلاقة القوية بين المسلمين والمسيحيين تقطع الطريق على محاولات الاستعمار بناءً لتوجيه المسيحين ضد أمني أقوامهم.

المحور في فلسطين أن المدارس الخاصة المسيحية تستطع نسبة كبيرة من المسيحيين، مما يعني أن تقد وجود الطلبة المسيحيين في المدارس العامة الحكومية. وهذه المدارس الخاصة دور كبير في عزل الطلبة المسيحيين عن الطلبة المسلمين، مما يعني الفجوة، فلا شك أن اجتماع الطلاب في المراحل الدراسية الأولى على مقاعد الدراسة يساعد في نشوء الصراعات، ويفقود إلى تفاهم
افضل. وما يخفف من مساوئ هذه المعازل - إن صح التعبير- وجود نسب لا تأس بها من الطلبة المسلمين في هذه المدارس الخاصة.

لم تتجاوز الأقلية المسيحية في فلسطين مع الحلف، بل تعرضت للاضطهاد كسائر الشعوب الفلسطينية. وهذا السلوك تجنبت الأقلية المسيحية الوقوع في أخطاء اليهود، عندما كانوا يتحالفون مع القوى المسيطرة في أكثر من بلد عربي، مما عرّضهم للاضطهاد عندما تغيرت موازين القوى. وكذلك لم تظهر هذه الأقلية كقوة احترامية في المجتمع الفلسطيني، ولم ينظر المجتمع الفلسطيني إلى عن مظاهرات من هذه الأقلية نظرًا للدين، لأن هذا الفناء جاء في سياق تطور المجتمع ككل، مسلمي وموسيحي.

من أجل مستقبل أفضل

يشير الواقع الفلسطيني، والمظاهر المختلفة إلى أن العلاقة المستقبلية بين الأقلية المسماة والأقلية المسيحية مرشحة للتطور إيجابيا، وعلى الرغم من ذلك ينبغي التنبؤ إلى أسور، حتى لا تنمو بذور الفرقة في القرن الفلسطيني:

• في الوقت الذي يفس فيه القانون الذي يساوي بين الناس، ولا يفرق بين مسلم وموسيحي،
• وفي الوقت الذي يسود فيه الناس تحق ذلك على أرض الواقع، تكون قد نجحت في نزع فتيل أي اختلاف ممكن.

لا منع أن يراعي القانون خصوصيات المسلم والمسيحي، وظهور هذا واضحًا في قانون الأحوال الشخصية، ولا يجوز أن تتكرر الأقلية خصوصية الأقلية الدينية، وكذلك لا يجوز باسم
الأقلية أن تحرم الأكثرة من ممارسة دينها كما تعقد وتعجب. ولا يعني التفاوض أن يبقى كل طرف
بدئه ومعقده.

- إذا كانت المسيحية أقلية دينية، فهذا لا يعني أنها أقلية من ناحية الجنس فهم ينتمون إلى
الأكثرة العربية، ثم هم أيضا ينتمون إلى الأكثرة الفلسطينية، أما الاختلاف في العقيدة فهذا أمر لا
يعتبر من معنى. ولا يعود من التركيز على هذه الوضعية أي رابطة الجنس والقوم.

- تمييز الأقلية على اعتبارها أقلية أمر منكر، لأنه يعرض في ضمير المجتمع أنها أقلية تخلف
عن الأكثرة ومناقضها. بل أن تمييز الأقلية يولد رداً فعل سلبية لدى الأكثرة. وقد تجلب
بعض الكتابان من المسيحيين إلى هذا الأمر، فوجدناهم يجدرون في رفض أن يكون للمسيحيين
مواقع خاصة في المجلس التشريعي، وهذا موقف مسؤول لجهة الأقلية والأكثرة، ويخترق نتائجه
الإيجابية على المدى الطويل.

- اعتادت الأنظمة الدكتاتورية في أكثر من بلد عربي أو إسلامي الاستعانة على الأقليات
المختلطة لشهرة أركان حكمها الظالم، وهذا الأمر لم يعرفه الشعب الفلسطيني حتى الآن، وليس
من مصلحة المسيحيين أن يكونوا أداة للبطش أو التآمر أو الفوز الحضا ري، لأن مثل هذه المواقف
قد تحقق المصالح على المستوى الآتي، ولكنها تخليق دواعي الرفض على المدى الطويل.

- ينبغي التنبه إلى أن التشريع بмесحية ارتبط في هذا العصر في ذهنية المسلمين بالاستعمار،
ومستقبلاً هذه المثارة قارنة حتى يستطيع الواقع أن يعبر عنها، ولا يتوقع أن تغير في الامتثال،
نظراً للممارسات القائمة، ومنها واقع الاستضعاف الذي تميزه الشعوب العربية الإسلامية.
يعتقد الكثير من المسيحيين في فهم الإسلام على كتابات المستشرقين وما حملت به من آراء سلبية تأثرت بنظرية الغربين للإسلام، وفي الوقت الذي نشهد فيه تغييرًا إيجابيًا في هذا المجال، فمن المتوقع أن تحصل الأمور في المستقبل على مستوى الدراسات العلمية الجادة.

ساهم الإعلام المحرز في تحسين الفجوة، وتعزيز الشكوك وتضخيم الأوهام. إلا أنه في المقابل أصبح من الصعب على الإعلاميين المعارضين أن يجبروا الحقائق في عالم يسمى بسهولة الاتصال وال التواصل، عالم يحكم المواعدة، ويفرض الاحتكار.

أي علاقة مستقبلية يرجى لها النجاح لا بد أن تقوم على أساس من العدل والمساواة، ولأخذ كمثال ما حدث في مدينة الناصرة من خلاف حول قضية وقف شهاب الدين، هذه القضية التي أخذت أبعادًا عالمية على مستوى الإعلام، زوّرت الأوجه بين المسلمين والمسيحيين في المدينة، وكان بعض المرجعيات تصريحات إيجابية، في حين تورطت مرجعيات أخرى بتصريحات توجّه عليها. ما الذي يبقى أن توجد القضية بمسافة، ولا تكون بسيطة حتى تستند إلى العدالة. فهل الأرض التي اخترف عليها وقينية؟ ومن هذا شهاب الدين الذي سميت الأرض باسمه، وله فيها مقام؟... الحا. لماذا لا تكون المسألة إذن مسألة عدلية قاتمة على أساس من الحق؟ وعند الاختلاف يكون هناك تحكيم. وقد يقول البعض إن السامس يقضي أن ينزل المسلمون عن هذه الأرض الوقينة للمسيحيين لاجتهادتهم إلى ساحة تكون أمام الكتبة، لأنهم أقلية. وهذا مكن الخطأ، لأنه يجب لنا أن نتصرف على أساس من الحق والعدل فقط. وقد سبق للآقلية المسيحية في الدولة الأموية في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز أن طلباً هدم المسجد الأموي الذي كان الأعظم في عصره، لأنهم ادعوا في الأرض التي يقوم عليها المسجد،

19
وبمجوع المسلمين هذه المسألة، وخرجت روح العدل، وكان عمر بن عبد العزيز على وشك أن يهدم المسجد، لم يتم تسويته القضية على أساس من العدل والمساواة.

إن قيام جهات خارجية بالتدخل في هذه القضية، وقيامهم بالضغط على أطراف مختلفة، يدل على أن هناك خلافًا في الفهم، وفي التعامل مع المسألة الإسلامية المسيحية، وهذا السلوك هو من قبل صب النزيف على النار، وهو إساءة إلى المسلمين قبل أن يكون إلى المسلمين. فالجميع يعرف أن العالم الإسلامي كان ملجأً لليهود الذين يضطهدون في الغرب، حتى أن عصور اليهود الذهبية هي العصور التي عاش فيها اليهود مع المسلمين، وعلي وجه الخصوص في الأندلس، أما اليوم فإن ما وقع من ظلم على الشعب الفلسطيني من قبل اليهود بمساندة الغرب أساء إساءة كبيرة إلى التعايش الإسلامي اليهودي. وآسأ إلى مستقبل اليهود في هذه المنطقة، بحيث لا يمكن تصور إمكانية التعايش على مدى قرن قادم، بل إن اليهودية مرفوضة تمامًا على مستوى العالم العربي والإسلامي.

أدى قيام "دولة إسرائيل" في الأراضي الفلسطينية إلى هجرات ضخمة ضمت المسلمين والمسيحيين، واستمرت هذه الهجرات وبلغت أوجها بعد حرب عام 1967 والسيطرة الإسرائيلية على كامل الأرض المقدسة، وقد ساهمت سياسات "إسرائيل" في تغيير الأرض الفلسطينية من سكانها، ولم تفرق "إسرائيل" بين مسلم وموسيحي، فقد استهدفت سياساتها كل ما هو عربي فلسطيني. واليوم يمكن أن يلاحظ الدارس أن نسبة المسيحيين في فلسطين قد تراجعت إلى حد كبير، ويدعو أن سياسة التهجير نجحت على صعيد المسيحين الذين يسهل عليهم الإدماج في المجتمعات الغربية، وجاء هذا مواجهًا لرغبات "الإسرائيليين" وحلقاتهم من
الغريبين. فالطلب أولاً، أي كل ما هو عربي فلسطيني، ولا شك أن الجماعات الغربية ترغب
في هجرة المسيحيين إليها. أشد ما يرغب في هجرة المسلمين. وقد كان للمدارس الخاصة
المسيحية الدور البارز في إعداد الطلاب المسيحي لقبل الثقافة الغربية، مما سهل عليه
المجهرة، ومن ثم الأخذ في المجتمعات الغربية. وتم ببعض المؤسسات الغربية بسهولة هجرة
المسيحيين من الفلسطينيين. إن الوجود المسيحي العربي في فلسطين يبقى من موقف
الفلسطينيين عمومًا في مواجهة المخططات الصهيونية، نظرًا للتعاطف العربي مع المسيحيين
بسبب العقيدة المشتركة.

سألت رجل دين مسيحي عن توصيفه لواقع العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، فكان
رده السريع: الوضع خطير! أنادتها هذا الجواب فسألته على الفور. كيف? فأخذه يتكلم عن
الجماعات المسيحية التي بدأت تظهر في فلسطين، وتقدم لها جهات غربية مساعدات مالية، وتهدف
في رأيه إلى تشتيت الإخوة المسيحي، وبالتالي إضعاف المسيحيين. وذكر بعض الأسماء التي
تعتبرها ذات انتهازية صهيونية. وذهب أن هذه الجماعات تود أن تطبخ على ساحة الكنيسة، ولا
تعترف إلا برجعية الكتاب المقدس فقط. ففي رأي رجل الدين هذا أن انتهازية الناس للكنيسة،
والتي انتهازم إلى المسيحية الحقيقة يعتبر صمام أمان من أجل تحقيق علاقة إسلامية مسيحية
أفضل. وهو يشعر في هذه الظروف أن هناك جهات مصنوعة تخدم الأهداف الصهيونية في المنطقة،
والتي تواجه ضد الإسلامتي وأباً، وتماهي، وهو يرى أن المسيحي الحقيقي ينسى بالتسامح
وقبل الآخر. إن المسيحية المثبتة فقد نسبي، إلى التقدم الإسلامي المسيحي في المنطقة. ولفت
انتباهي أنه نحذث عن دوره في توعية المسيحيين، وانتقاده في مواضعه لبعض المظاهر السلبية، أكثر
ما تحدث عن شكوكهم من واقع العلاقة مع المسلمين. ولا شك أن هذا موقف إيجابي يمكن أن يسر علاقات أفضل. فالآصل أن أرى المبادئ في نفسك قبل أن رأى في غيري. وينال هذا الكلام للمسلمين والمسيحيين على سواء.

عند الحديث عن العلاقة الإسلامية المسيحية قد يعمد البعض إلى إثارة الجدل حول بعض المسائل المتعلقة بتفاهيم إسلامية كفهوم "أهل الدهم" ومفهوم الجزية وعامة من أمور قليلة معدودة. والذي يبدو لي أن هذا المساءلك هو مسلك من يتعامل مع الشكل بعيداً عن حقيقة الجوهر. والأصل أن ننظر كيف يفهم علماء الإسلام هذه المفاهيم. ولا يجوز أن نصدّر أفهاماً غريبة إلى المفهوم الإسلامي. كما لا يجوز أن نتحكّم مفهوم العوام، كذلك لا يجوز إحياء ملامسات تاريخية أساسها إلى مفهوم ما في المقابل لا يعنينا كيف كان المسيح في العصور الوسطى يفهم الأمور، بل الذي يعنينا الآن كيف يفهم المسيحي اليوم مسيحيته، وكيف ينظر من خلاله إلى الآخرين. وكيف يارد على أساس من مفاهيمه هذه. ففي الوقت الذي يبنى فيه المسلم بتسامح أجداده يكون ذلك مؤشرًا إيجابيًا، لأنه لا بد أن يستلم منهم التسامح. وإذا نظرنا اليوم إلى كتابات المعاصرين من المسلمين نجد إبرازًا لمواجهة صلاح الدين المساحة، في المقابل نجد من يبشر تاريخ الحاكم بأمر الله الفاطمي ليقول إن هناك في التاريخ الإسلامي خلفاء اعتذروا الآخرون، وعلى أية حال فقد سمع أكثر المسلمين بصلاح الدين وتسامحه. ويندبر أن نجد من يقرأ عن الحاكم بأمر الله الفاطمي، بل إن من قرأ عنه يخبرك عن شخصية غريبة الأطوار وغير سوية، فالتالي يعنينا هو السائد وليس المتحي.

***************
المقالة الثانية

واقع العلاقة الإسلامية المسيحية في فلسطين

الأب الدكتور مارون مجلس

مقدمة

أظن أن المطلب ليس بناءً نظرًا أو أكاديمياً حول العلاقات المسيحية الإسلامية بنوع عام، ولا حتى في فلسطين بنوع خاص، بقدر ما هو محاولة لعرض واقع هذه العلاقات في مكان وземان محدد. أي في فلسطين الآن، عام 1999. من هنا أريد لهذا الحديث أن يشير بالواقعيه أكثر منه بالمبادئ والنظريات العامة أو الواقعي التاريخية.

1. أبدأ بتوضيح بعض المفاهيم، كنوع صرفا تناوله: فهناك التشاور وهناك الحوار وهناك النقاش وهناك الدفاع.

التعايش هو التركيز على ما يجعل الحياة المشتركة بين المسيحي والمسلم ممكنا وহنيئة.

* رئيس المعهد الأكاديمي - بيت جالا

٣٣
الحوار هو تقابل شخصين مؤمنين ومختلفين في العقيدة، بحيث يعرف كل واحد كيف يفكر الآخر وينبغي أن يكون يعيش أياً هو، ويحتم قناعاتهما وصحته وطريقة حياته.

النقاش هو ضمن فكري بحث كل واحد فيه براهينه أمام الآخر المختلف بينها إتقانه بصحة وجهة نظره.

الدفاع هو وجه يقوم به من يشعر أنه مهاجم أو معارض ليتر صحة ما يعتقد به. خلقت في ضد التفاعل، وأرجو أغذى منه.

1. العلاقة بين المسيحيين والمسلمين في فلسطين اليوم.Jجد بوعام. وهذه نقطة إيجابية يجب إبرازها وشكر من عملها على تحقيقها. والتعابير الإيجابية له أكثر من مستوى، وهذا قد مختلف التعبير.

المستوى الرسمي أو الحكومي: لا توجد مشكلة، القانون واضح، والمساواة مضمونة.

المستوى الأكاديمي: أي مستوى الطبقة المثقفة - مسيحياً وإسلامياً - لا توجد مشكلة، فالعقول كبيرة والآفاق واسعة والعلاقات جيدة والتفاعلات ثابتة.

المستوى الشعبي: أي الشارع الفلسطيني العادي. هنا نجد في الأمر تفاوتاً كبيراً. أريد أن أذكر ما أشعر به شخصياً، أو بالأحرى ما يقول به الإنسان المسيحي العادي، عندما يتعامل مع الشارع الفلسطيني المسلم. فهو يجد دائماً جهلاً أو نظره برببة، لأنه إخراجاً، ومرده أفكار مغلقة عن الدين المسيحي وعن الإنسان المسيحي. أرى أن المسلم العادي، سلم الشارع - المعنى الإيجابي لكلمة الشارع - يشعر أنه لا يستطيع أن يتعامل مع المسيحي الفلسطيني براحة تامة أو تقبل تامة، أي كفلسطيني 100%.

...
لا سيما من لا يشترط في مدرسته أو في بلده بزميل مسيحي، على اعتبار الفلسطيني المسيحي أخاً ومواطنًا متساوياً له في كل شيء، بعض النظر عن معتقدات الدين. ثم أن التربية الدينية "الإسلامية" ومنابع الوعظ والإرشاد في المساجد لم تتوصل بعد إلى الشجاعة اللازمة للخوض في هذا الموضوع. فهي أما تقائله، إما - إن تطرقت إليه - فعن باب التسامح مرة ومن باب العرض مرات. ما يطلقه المسيحي الفلسطيني هو أن من ينهل العلم من المدرسة الفلسطينية يعلم أن المجتمع الفلسطيني متعدد (بغض النظر عن النسبة العددية)، وإن العروبة تضع المسيحي والمسلم في ودقة واحدة. كما يريد المسيحي الفلسطيني أن يسمع من مكبر الصوت الصادار عن المسجد الخطاب التالي:

"أيها المسلمون، إن مسيحي هذه البلاد أخوة لكم (في العروبة إن ليكن في الإيمان)، لهم ما لكم وعليهم ما زلكم. هم براهم ما يقوم به الغرب من عمل سياسي. لهم ديهم ولكم دينكم، وأنتم وإناهما في خدمة وطن وسياسي واجتماعي واحد، لكم تاريخ واحد وصيرور واحد. هذا الخطاب لم يسمع بعد.

وأما إن تطرقت إلى المسجد إلى رجال الدين، فلست واضح: فالدين - في الشرق - ينفذ إلى جميع مجالات الحياة الخاصة والعامة وينتميها وينثر فيها إما سلباً وإما إيجاباً. من هنا، فإن

25
لصوت رجال الدين وتوجهاتهم أثرًا حاسمًا في نفوس المؤمنين، لا سيما من الشعب العادي أو البسيط، بالمعنى الإيجابي دومًا.

2. نقطة جديدة إلى توضيح:

أقول ذلك لأنني لا أريد أن أتكلم عن أزمة بالمعنى الحمصي، ولا عن سوء تضاهم صادر عن موقف مبدئي. أجل ذلك، بل أقول أن تسبب إزعاجًا وحاجة إلى توضيح، لا سيما إن كان الفلسطيني المسلم غير عالم بما أو غير واعًا:

• ربط المسيحي الفلسطيني والمسيحي العربي ببعض عام - بالنصر الذي يدعى "مسياً"، لا سيما في المجال التاريخي (في الماضي) والسياسي والأخلاق (اليوم).

هذا أمر يزعج الإنسان الفلسطيني المسيحي. فهو تاريخياً لا علاقة له بما قام به الغرب من حروب في الماضي البعيد أو استمرار في الماضي القريب. يشعر المسيحي الفلسطيني هنا بتحاليل موضوعي وشخصي. كما أن لا علاقة له بالسياسة التي ينتهجها الغرب اليوم.

تجاه القضية الفلسطينية بالتحديد أو الشرق الأوسط ببعض عام.

• عقلية الأكثري والاقلية. هذه مشكلة، مشكلة لأنها تفاعلات في داخل الأكثري والاقلية، وهذه التفاعلات تحكم في تصرفات الجبهات التي تعود إلى الكثير من المواقف المزعجة والمؤثر وسوء الفهم وردود الفعل المبالغ فيها. أبدأ بكلمة "اقلية"، فهي برشة (تدل على واقع 3% مقابل 97% من المجتمع الفلسطيني) لا مانع، يبد أن هذا الواقع اصطدم في الماضي مريحًا وظروف أطر فكرية واجتماعية لا يضافها المسيحي الفلسطيني اليوم (نظام الظلم الإسلامي)، نظام المئة التركي، إحدى الأقليات الغربية.

26
الوجودة في البلاد حسب التفكير الإسرائيلي "دروز" "باهتون" ...]. الفكرة الكامنة
وراء ما يرفضه المسيحي الفلسطيني اليوم هي فكرة "الأقلية" التي تتجلى إلى حماية أو
رعاية أو احترام مشاعر أو تسامح أو حرية عبادة أو نظام اجتماعي خاص أو حتى
إمكانيات. تعبير آخر، أقلية تتحمل أثراً وتخصها. يقبل المسيحي الفلسطيني أنه
يشكل 3% من نسبة السكان، ولو عن مضض. لكنه يعتقد أن النسبة العددية شئ
والحقوق والواجبات شيء آخر. فنجد كونه فلسطيني (أو أردني أو مصري...) يختاره
الحصول على 100% من الحقوق ويرفض عليه 100% من الواجبات، فالحقوق والواجبات
أساسها الإنسان لا العدد، وكتماء المواطنة مأثرة من إنسانيته (وإنه إنه إذ أن المسيحى
والمسلم يؤمنان كلاهما أن الإنسان محترم على صورة الله وملائمه، ولديهما معتقدة لا
من "كراء رجالة". من هنا يفضل المسيحي أن يقول عن نفسه أن "عده فليل" بدلاً من
أقلية معنا للانتباه. وعقلية الأغلبية والأقلية تعود إلى تصرفات مرفوضة من قبل الأغلبية
ومن قبل الأقلية على حد سواء. فالأغلبية تشعر بسهولة أنها الأقوى وإنها تستطيع أن
تستعمل مشاعر الأقلية وتعمد أن الأقلية أضعف من أن ترفع صوتها الح.. (مثل حديث
جد: الفيلم عن السيد المسيح. مثل آخر التعدي على أراضي الغير). ومن ناحية
أخرى، تشعر الأقلية أنها مهددة في هويتها وقعودها الأساسيًا إلى إبتسام ذلك
بمظاهر سالفة فيها تؤدي مشاعر الآخرين (مثل آخر حديث: رفع الصبيان على سطح
البيوت في بيت لحم) ما المطلوب؟ سنأتي على ذكر ذلك في نهاية حديثنا.

27
الثيرة الدينية في المدارس الحكومية. المقصود هو المربية والمساءلة التامة لتدريس مادة الدين المسيحي للطلاب不小سجين في المدرسة الحكومية، مما كان نسبتهم إلى بقية الطلاب، حيث يطبق عليهم في هذا المجال ما يطبق على الطلاب المسلم من مناهج ونشاطات وتأهيل معلمين ومكافحة نافذة... يحد الأمر سهلاً، وهو بالفعل سهل التطبيق وتطبيقه حاصل – بنسب متفاوتة – في مختلف الدول العربية. يبد أن وضع السائد في الأردن – وهو أقرب الدول إلى فلسطين – والوضع السائد حالياً في المناطق الفلسطينية ما زال بعيداً عن الهدف المنشود.

لا شك أن العالم الإسلامي يشهد صحوة شاملة على مختلف الأصعدة. ليس هذا موضوع حديثاً ولكن هذه الصحوة – والتي هي نتيجة تفاعلات تاريخية وسياسية – أوفرت عقلية تتسم بنظرة إسلامية جيدة تشمل جميع جوانب الحياة. هذه النظرية لا تتيح للمسيحي الفلسطيني. ففلسطين لم تعد "عربية" بل "عربية إسلامية"، والقدس "وقف إسلامي" حتى فلسطين "وقف إسلامي"، والدين عند الله الإسلام، وما يقيم به الغرب "حملات صلبية جديدة"، وأعداء الأمة هم الكفار وال"المشركين"...

4. ما العمل؟
أول ما يجب القيام به هو الوعي لهذه الأمور التي لا تصل إلى درجة الأزمة بالمعنى الحقيقي، وأمل أن لا تصل – تخريج المسلمين في فلسطين اليوم. فكثيراً ما تصدر عن الإنسان أمور تؤذي الغير دون أن يشعر. وجمال أن يعرف الإنسان ذلك لا سيما أن تتمتع بحسن الطوية، ولا أشك في ذلك.
يجب عدم السماح أن تأخذ أي قضية في موضوع العيش المسيحي الإسلامي بما هي عليه في الحقيقة الراصدة، مس بالشعور الديني، تحركات، والمثل وارد من كلا الجهتين. يجب العمل على إيجاد مجموعة من الحكفاء عند الطرفين لإعادة الأمور إلى حكمها الصحيح وحل الأزمات أولاً لكي لا تسبب جفاءً بين الأخوة.

على القيادة الروحية، من كلا الطرفين - أن تسنير عكس التيار في بعض الأحيان. فالرسالة التي يجب أن يسمعها الفلسطيني المسيحي والمسلم هي أن البدع الإسلامي جزء لا يتجزأ من الهوية الفلسطينية كما أن البدع المسيحي جزء لا يتجزأ من الهوية الفلسطينية المسلمة. فالرايخ الفلسطيني واللغة والحضارة والفكر والفلسفة مختلف موارد العلوم والنهضة العربية الحديثة في القرن الماضي والقضية الفلسطينية والمقاومة والشهداء والمعتقلين والدولة إن شاء الله، كلها أمور سار فيها الفلسطيني المسيحي والمسلم جنبًا إلى جنب. ونشر هذه الرسالة يحتاج أحيانًا - كما ذكرت - إلى السير عكس التيار لأن هناك عقليات تكونت وردود فعل أصبحت في حكم الوعي الباطن وتحيزات وأحكام مسبقة أصبحت شبه مسلمات. وهذا صحيح بالنسبة للمسلم كما هو صحيح للمسيحي الفلسطيني. المطلوب هو السير عكس هذا التيار والأمر صعب وطول لكي ضروري.
وفي الختام

ما ورد لا يقصد شخصًا بالتحديد، ما قيل يتجه إلى عالم المؤسسات والأفكار العامة لا إلى الأشخاص. فالعلاقة بين الفلسطيني المسيحي والمسلم - في النهاية - ليست مقارعة خصوم. وإن حدثت مقارعة على نقطة ما أو أكثر، فهدف الوصول إلى الحقيقة. عندما تصبح المقارعة عمل محبة يهدف إلى فتح عيتي الآخر ومساعدته على السير في الطريق السليم في التفكير والتعامل. وهذا يصبح بالفعل خليقة الله، كونًا بكرامة الله وأخًا حقًا وصالحًا لكل إنسان.

***************
بسم الله الرحمن الرحيم

واقع العلاقة الإسلامية المسيحية

الشيخ حسن يوسف

تقرير

من بدءات الأمور أن الدين الإسلامي رباني التنازل، وجاء لعموم البشر كي يخرجهم من الظلمات إلى النور، وهو ليس محصوراً في مكة دون أخرى ولا مكان دون آخر، ولا زمن دون زمان آخر، وهو يمكن مع حياة البشر في شتى مناحي الحياة وجوائزها وفي كل الأحوال والظروف.

معنى أن هذا الدين ليس محلياً ولا إقليمياً بل عالمياً شمولياً ملباً لاحتياجات البشر ومنافعهم. وهو دين مرن يمتد في القاعتي من عدم وجود أو أبوابخف أو رفض للغير أو التكرار في الإفلاس، أو إنهاء من واقع الحياة، لا بل يقر بواقع الفجر بكل جلاء وتفاء.

رئيس قسم الزكاة في مدينة الأوقاف - رحم الله

٣١
من هؤلاء الذين يقر الإسلام بواقفهم أهل الكتاب وعلى وجه الخصوص المسيحيين.

وإسلامنا يفرض على أتباعه الإيمان بالأنباء السبعة، ويقر أنهم حملوا رسائل هادئة لأقوامهم، وبالتالي فهو كما أشرنا دين من يعمر في علاقته بالآخر على الخاورية، قال تعالى: "لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم".

إن من ينكر نبأ من الأنبياء والمرسلين الذي سبقوا محمد صلى الله عليه وسلم أو كتاب من الكتاب السماوية هو خارج من دائرة الإسلام. وهذه هي قوة النظرية الإيجابية للغير من غير لبس أو غموض. إن أساس التعامل والعلاقة مع غير المسلمين في المجتمع المسلم ومن هم خارج المجتمع المسلمين من أهل الكتاب المخطوف العريضة والواعظة التي يرسها القرآن الكريم في قوله تعالى: "لا يهلك الله من الذين لا يستسلمون من الدين ولم ينجحوا من ديارهم أن تبروا وتتقوا إلىهم إن الله يحب المتقين، وإن يهلك الله من الذين فاتولوا من ديارهم وأخرجوا من ديارهم وظاهروا على إخراجهم أن تولوا، ومن يتقلبون فأتلكهم الظلمون".

وهناك حشد هائل من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ومواقف الصحابة والتابعين.

وقبل الإسلام ترسم طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تكون بين التصاريح المسيحيين.

ويبني الإسلام معهم علاقات اجتماعية وطيدة، فأحل الله لنا أكل طعامهم وزواج من نساءهم. والزواج يعني من بين ما يعني أنه من أجل الود والرحمة، فقال تعالى: "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حليكم وطعامكم حليهم، والخصان من المؤمنات .

---

1 سورة الطور، آية 46
2 سورة المتمحطة، آية 9-18
والمختصات من الذين أثروا الكتاب من قبلهم إذا تبسوهم أجورهم • محصين غير مسافين ولا متخذي أخذان.

ومن سعيد بن المسبح  "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن من تصدق بصدق على أهل بيته من اليهود فهُم تجري عليهم"  1 • ومانع أم الحارث بن أبي ربيعة وهي نصرانية. فشيعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان بعض أجلاء التابعين يعطون نصيباً من صدقة الفطر لرحبان النصارى، وذهب بعض علماء المسلمين إلى جواز إعطاءهم من زكاة المال نفسها  2.

ودكر القاضي عباس في ترتيب المدارك، قال الحديث الدقيق أن القاضي إسماعيل بن إسحاق (من أعلام الملكية) دخل عليه الوزير عبدون بن صاعد النصراوي وزير الخليفة المعتصم بالله العباسي، فقام له القاضي ورحب به. فرأى إنكار الشهود لذلك، فلما خرج الوزير قال القاضي إسماعيل قد علمت إنك ركك، وقد قال الله تعالى: "لا يهلك الله من الذين لم يقتلكم في الدين ولم يجرحوكم من دياركم". وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين وهو سفير بيننا وبين المعتصم وهذا من البر  3.

---

1. كتاب الأمور - ص ١١٣
2. المحيي لابن حزم - ج ١٨ ص ١١٧
3. فقه الزكاة - يوسف القرضاوي
4. فقه الزكاة - يوسف القرضاوي - ص ١٧٤

---

٣٣٣
إن أساس النظرية المتساوية التي تسود المسلمين في معاملة مخالفتهم في الدين يرجع إلى الحفاظ التي غرسها الإسلام في عقول المسلمين. فنحن نعتقد بكرامة الإنسان أي كان دينه أو جنسه أو لونه والإطار العام لذلك قولة تعالى: "ولقد كمنا بني آدم".

وقد مرت جنزة من أمام النبي عليه الصلاة والسلام فقامت لها وافقاً فقيل له: "يا رسول الله إنها جنزة يهودي فقال أليست نسا" (رواية البخاري).

وأخرج لنا مكلفين أن تحاسب الكفار على كفرهم، إذا كان لهم الله سباقهان وتعالى وحده، وهو عز وجل يجازي الحسن بالمحبة والمسى بالعقوبة، قال تعالى: "فإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كتب في مخالب".

وأخرج توأتم أن الله يأمر بالعدل، ويسعى المسلم جاهداً لتجسيد ذلك وإقراره حتى لو كان عند طرف آخر، قال تعالى: "ولا يحرمكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدوا هو أقرب للفقيه".

والأسلام يدعو أهل الكتاب دوماً إلى الحمارة وتحديد نقاط التقاء مجتمعية وحول قضايا كبرى هامة. قال تعالى: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ بعضنا بعضًا أرباباً من دون الله.

وأما الممارسات العملية والسلوكية مع أهل الكتاب فهي تقوم أيضاً على أساس الاحترام والتكرم للنفس البشرية فلا يجوز إداوهم وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أذى ذميًا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله".

1 سورة الأسراء آية 70
2 سورة الحج آية 28-29
3 سورة البقرة آية 8
4 سورة آلان عمران آية 64
وقال عليه الصلاة والسلام "من ظلم معاوضة وأنتقصه حقاً أو كله فور طاقته أو
أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فلا حجيجه يوم القيامة" 3. والقصص بالإدراك ببل صورة
مادياً ومعنويًا.
ولا يجوز الاعتداء كذلك على الكافئ أو مضايقته، ولا يجوز لمن الزوجة الكابية من
الذهاب للكنيسة حتى ولو كان زوجها مسلماً، والصورة الجلية ترسمها لنا المهدة العصرية: حينما
فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بيت المقدس. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين
أهل أبلاء من الأثنا. أعطاه أماناً لأنفسهم وأموالهم، وكرايينهم وصلاباتهم، وسقيهم وورنها
وسائر ملكها. أنه لا تسكن كرايينهم ولا تهم ولا ينزع منها ولا من حيزها، ولا من صليهم، ولا
من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضاه أحد منهم. ولا يسكن بأبلاء معهم أحد
من اليهود..." (رواية الطبراني)
إن نظرة التسامح التي يدبيها الإسلام تجاه النصراء وعموم أهل الكاب وتعملهم في
المجتمع المسلم ومشاركتهم في حقوق المواطنة من دون تكلف أو مواقف شفعة أو أي، إذا هو موقف
استراتيجي وثبت أن الإسلام هو الذي غرس هذه الأسود في قلوب المسلمين وضماناتهم.
هذته النظرة ينبغي التأكد عليها كون أن هذه النظرة تكون من خلال ما تعلمه علينا
عقيدنا وفهمنا لإسلامنا الذي يبني عليه أي موقف وأي خطوة تحتويه تجاههم.
إن النصراء لنا منهم موقف خاص كونهم عاشوا ولا زالوا بالمالعين بين ظهراننا، ولذا
نعاطف خاص معهم، والقرآن الكريم مرجعنا ومصدرنا الأساسي سجل ذلك في قراره ينرى إلى يوم

4 رواية الطبراني بإسناد حسن
5 رواية أبو داود والبيهقي

35
القيامة، فمثلاً حينما أنصر الفرس عبادة النار على الروم النصارى، حزن المسلمين كثيرًا، عن هزيمتهم في الصراع الدموي الذي كان مع الفرس، وطمأناً الله المؤمنين أن الله ناصر النصارى خلال فترة وجيزة، فقال الله في محكم النزل: "غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيدمون في بضع سنين الله الأمر من قبل وهم من بعد وصمد ففرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحب. "

بل ويحكى القرآن الكريم ويؤكد أن النصارى هم أقرب إلينا من أهل الكتاب فقال:

"ولو تجدن أفرادهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إن نصارى ذلك بأن منهم قبيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدموع مما عرفها من الحق يقولون ربي آننا فآركنا من الشاهدين."

ومن هذا الأمر يتبجي بأروع صوره حينما دفع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه المتهورين والمستضعفين من قبل تجار قريش للهجرة مرتين إلى الجحشية ليعيشوا تحت مظلة ملكها النجاشي كأنه لا يظلم أحد كما أشار بذلك النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ففسح لهم الجناح والأبواب على مصاريعها لحرية الاعتقاد والعبادة والحركة، بل ويتحدى قريشًا أنه لم يسلم لهم رغم وسائل الضغط والإغراء والعباءة والتلويح بعمى الترهيب من قبل قريش، وهو موقف مسجل بدار المدح والتقدير في تاريخنا العزيز.

1 سورة الروم / آية 61
2 سورة المائدة / آية 81
إذا أردنا من خلال سردنا لما سبق وهو يشير من كثير ولا مجال لمصره هنا أن نضع بين يدي القارئ ولن يبحث عن الحق والحقيقة وصدق محركا وحركنا عمليا وليست قولنا في التعامل والتعاطي مع النصارى لا نشيء إلا لأنهم أقرب من غيرهم لنبين مع توضيح أمر لا بد منه ان درجة قرب النصارى متنا من منطلق واحد لا ثاني له ألا وهو مدى قريهم أو بالأحرى تعلقهم بفكرتهم التي تقوم بها ابتداء بغض النظر عن رؤيتنا وملاحظتنا العقيدة والسلوكية عليها، ونحن نبين أنه كلاهما بعدها عن فكرتهم ومبدعتهم ودخلت كذلك عوامل أخرى ودراهم ومثيرات توصية أو نفعية فإن واقعنا الإسلامي أرضًا وقبلها إنسانا تعرضوا لأصناف من الأديان والأديان يشهد بذلك.
ووجب أن لا نغفل التوجه بتنافسه وتتصاريح وتضع النقطة على الحروف أن ما أقدم عليه الصليبيون في حروبهم ضد شرقا وشرينا وحضا نا، وما تنبه بقرار الاستعمار الغربي من مختلف دوله ومحاورته هي نتيجة ما أشرنا إليه في الفقرة السابقة الذي لم ينج منها المواطنون في الشرق بن فيهم النصارى هنا الذين يعيشون بين ظهورنا واكتروا نا را كما أكونا نحن المسلمين.
مع التأكد أننا لا نؤمن بالنار ولا يوجد في قاموسنا وأدبنا وأخلاقيتنا بارد على النار بالمثل خاصة مع من لم يتلومنا في جحيمها ولا أدله على ذلك من أنه حينما نشر صلاح الدين الأيوبي عبد الصالح المسانع على أحفاد أولئك الذين عالمنا في دارنا الفاضد والطيب والطيب لم يتعامل معهم إلا بكامل السكاح وما نعنيه هذه الكلمة من معاني، ومن أراد الاسترداد فعله العودة إلى ذلك. مع يبيننا أن الحملات الصليبية لم تكن دفاعا عن نصارى الشرق ولا عن الأساكن المقدسة

٣٧
وإذنا هي حرب استعمارية توسعية مستهدفة للشرق بكل قيمته الأخيرة. ولذا عندما انتهت تلك الحروب لم تخلف جراحًا وإنما خلفت واقعاً.

نحن نرى واقع الفيبر ولا نسعى وليس في خاطرنا لإلغائه الفيبر بل تعامل معه الشرك في الآلام والآمال والطموحات وعندنا الخروج الهائل ورصيدنا الزاهر الذي يسمع للآخرين، فليسنا منغلقين ولا نفض أسنا عن الواقع. نحن أصحاب فكرة تجارية نضوي الطريق وتربو لنا ولغيرنا.

قال تعالى:

"كتب أنزلنا عليك ليخرج الناس من النظرة إلى النور إذن رجع إلى صراط العزيز الحميد".

نحن أصحاب فكرة هدفهم وغانباً تعبير الناس لرب العالم ومن الجنور والظلم إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

نحن لا نستطيع ذرعاً وجرحاً بالتعامل مع من يختلفنا في الفكر والنهج وحتى في الأهداف، فنؤمن بحرية الاعتقاد والتجديد واحترام الرأي الآخر راجع للفيبر الحكر والسداد، وإن كان بين أيديهم حق تمسكاً به وتمتنعاً في حدبته معهم "الحكمة ضالة المؤمن أمن وجدها فهو أحق بها".

فهذا هو خطابنا السياسي النابع ما عقد به، ودلكا عليه الأفضل والأقول، وبرد تطبيق النصاري وغيرهم من أهل الكتب أن التراكب التي روج لها الإعلام والمشردون، والشكوك التي حاول أن يضعها العدو المشترك الذي لا حرم له إلا أبث الأرجح هي مقصودة لإبقاء على الفجوة أو إثارة معارك وهمية لا أساس لها ولا وجود ولا حتى رصيد، لأن الواقع يكنها.

١ سورة إبراهيم/ آية ٢٢
نحن لا نجامل ولا ندل من فقد أن هناك خلافات جوهرية مع النصارى في المعقد والنظرية
الإله والكون والحياة، ولكن مع ذلك نحن أبدنا لهم دوماً وندفع ونسجل أيّة ومسيلة لأية تفاعلات
وقضايا مشتركة همّ وهم واحد، خاصة إذا كنا مستهدفين من جهة ومن جهة واحدة هدفاً طمس كل
شيء لنا ولفتننا وتبديد كل خير قائم فوق أرضنا، وتجريم كل معاني ومعلومات النهوض في هذه
الأمة وتراثها.
نحن نسجل بكل عرفان الجهد الذي ضمه النصارى لجهود كل قطاعات شعبنا وقوام من
عرق ودماء ومعاناة، ويعيش ويعيش أمّاlam وأمال واحدة، لقد شاء الله أن ألقى خلاص مكوثي في
السجون وملايين عديدة مواطنين نصارى وتحت عباءة معظم التنظيمات الفلسطينية بما فيها
الإسلامية، نحن لا نتكرر لذلك، ونفتر بعود من عائلي ونكتله به مثلاً من قبل سلطات الاحتلال الذي
غضب أرضنا وحقوقنا ومقدساتنا جميعاً.
نحن مع عملية اصطفاف من كل قوى شعبنا وطوائف النصارى في سبيل التحرر
والوقوف أمام أولئك الذين يترقبون لنا الارتقاء، لأن المشروع التحرري يتطلب حشد كل القوى في
وجه الخطر الداهم الأكبر الذي يريد سحق كل شيء وذلك لتفويت الفرصة عليه وكشف خططه
وتوجهاته وبالتالي دحره ويل الاستقلال والعيش مجرد وكامة.
إذا كنا ندعو إلى ما سيائق (وهذه قناعات وليست نكتيات) فلسنا تحت أي ظرف
معنيون بإثارة قافلة طائفية بشغلاً في إشكالات جانبية تلهينا عن الأهداف المرجوة في دحر
الأخطار المحدقة بنا جميعاً.
وعلى فرض أنه حصلت نوع من الإشكالات (وهي ليست نزتاً ونهاً لحالة المجتمع الذي
يضم مسلمين ومسيحيين) هي أمور لا تكاد تذكر وهي حالة وصورة لما يقع في أي بيت في هذه
dنياً، وهي صورة طبيعية فالبشر يعترفون الخطأ والصواب، فهم ليسوا ملكة وليسوا معصومين عن
الخطأ.

ومع ذلك لبعضنا المواطنين المسيحيين الفلسطينيين من نظرتنا إلى العالم الغربي وبهوه
وأيديولوجيته وتوحشنا منهم، وذلك لما شهدنا من قضايا الأمة واليات القضية الفلسطينية، إذ تسبروا
في الكثير من الماسى، فكان لهم السبب في تلك من لا يملك أصلاً وما وعند بلوغنا إلى مثالاً على
ذلك، بإعطاء اليهود وطناً قومياً لهم في فلسطين، ولن يوقف الأمر عند هذا الحد بل الرعاية شبه
الكاملة للهولر، ودعمهم المنقطع النظير مادياً ومعنويًا وإعلامياً وباطئ كل ذلك على حساب شعبنا
أرضًا وإنسانًا، والعالم الغربي كله ونسب متناوة شاركت في ذلك وفي مقدمتها بريطانيا وأمريكا،
والمواطنون المسيحيون أصابهم ما أصابنا شنّنا أم أننا من معاناة وتشريد ...

وهذا الفعل الذي أشارنا إليه فقد أخلّ بل ونقد الغرب كل اليهود والمؤثر معنا فلا بد
من تمسيم العلاقات من جديد وعلى أساس واضحية العالم كما كان عليه الحال في الماضي، بل نوضح
في ارتفاع هذه العلاقة، خاصة وأن ضوابط هذه العلاقة ثابتة لا تغير.
ولا يفوتنا في هذا المقام إلا أن نذكر بهشادات بعض المعكرين من الغرب نفسه عن النظرة
الإيجابية لنا كمسلمين تجاه المسيحيين، والتي تؤكد على عمق الروابط بينهم. فهذا دول دوارنت

قول:
لقد كان أهل الامة المسيحيون والزرادو اليهود والصابون يسعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا تجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام. فقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائرهم ويهودوا بكتاتهم ومعابدهم (وهم) كانوا يسعون يحكم ذاتي يخضعون فيه لزعامهم وقضائهم وبواطنهم.

وأشاد تروتن بتسامح المسلمين فقال: "والكتاب المسلمون كريم في تقدم فضل هؤلاء من على غير ملهم حتى ليسون حين برس أطباء عصره وهبة الله بن تلمسيد بأبو قراط عصره والجاهنوس دهور".

وأعرب تروتن "بتسامح الحكام المسلمين وليس أول ويد على ذلك من كتلة استحداث الكائس وبيوت العبادة في المدن العربية المعاصرة، ولم تجعل دواوين الدولة فقط من السماح الصارم واليهود بل أعمال كنا بولون في بعض الأحيان أربع المناصب وأخيرا فأكثروا الثروات الضخمة وتكثرت لديهم الأموال الطائلة كما اعتاد المسلمون المساهمة في الأعيان المسيحية.

وهناك لا أقل خات بآلاف من الشهداء في هذا الإطار من المت acompaña بالصلاة والموضوعية. إن هذه الشهداء ومن أقوام غير المسلمين إذا تؤكد أن الحضارة العربية الإسلامية هي مملكة للجميع مع التوجه أن الحضارة الغربية لا علاقة لها بنصرى الشرق وجب أن لا ينقلوا موقعهم الحضاري مما كانت الظروف فهم أبناء هذه الأمة وجزء من نسيجها. هذا من

1 قصة الحضارة دول ديوانة ج 13 ص 131
2 أهل النهضة في الإسلام ص 170
3 أهل النهضة في الإسلام ص 256
ناحية. ومن ناحية أخرى، إن ما سبق يؤكد أن النصااري لم يكونوا في ظل دولة الإسلام مواطنين من الدرجة الثانية أو دونها، وإنما كان لهم دورهم البارز في إثراء الواقع لما لديهم من علوم ومعرفة وفي شتى الميادين.

تعود وتركز على خصوصيتنا هنا في فلسطين أن العلاقة الإسلامية المسيحية تميزت بالتفاوت، فلا صراعات ولا مشاجرات، ولا اعتداءات ولا مضاعفات، والحياة اليومية تسير بسلاسة وتفهم.

وي Tháng، وقف الروتين في خندق واحد في مواجهة واقع واحد.

ولا يفوتنا في هذا المقام أيضًا أن نشهد ونقول بأن الحركات الإسلامية في فلسطين وفي مقدمةها حركة المقاومة الإسلامية حماس تتميز بإيجابية عالية وروح رافحة تجاه المواطنين المسيحيين، فلم تسر في أدبياتها ونشراتها ولا حتى سلوكها المسيحي لقولًا ولا عملًا، وشاركت المسيحيين في مناسباتهم الساخرة والمؤثرة. بل لقد عدل خاص حماس وأنزلت بيانًا استنكر فيه بيان دعو للإضراب في ذكرى استشهاد البطل المجاهد عبد الله عزراً اتفقت دعوتهما بالإضراب كون هذا الإضراب تزامن مع ذكرى ميلاد المسيح عليه السلام كما أصدرت الحركة بيانات تندد وتستنكر

الاعتداءات الإسرائيلية على أُمُّلًا كنيسة الأرثوذكس في القدس وكنيسة القدس أقتحم في يا.. كما وأشارت الحركة بتصريحات وبيانات رسمية بوقف الكنيسة القبطية المصرية عموماً وموقف البابا شنودة خصوصاً إزاء قضية القدس ورفض التطبيع مع الكيان الإسرائيلي. كما وأصدرت حماس وثيقة دبلوماسية تضمنت سياسة الحركة تجاه النصارى في فلسطين، وهي تعكس نظرة إنسانية وحضارية مقدمة، والسياسات التي أشارت إليها الوثيقة هي:

47
1. اعتبار نصايص فلسطين جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني والأمة العربية وهي نواة الحضارية.

2. للنصائر الحقوق المدنية ما لبقة أبناء الشعب الفلسطيني وعليهم من الواجبات ما عليهم.

3. تذكرهم بأهمية ارتباطهم بمبادئهم والأرض التي يعيشون فوقها من مناطق دينية ووطنية.

4. الإشارة إلى أعيادهم ومناسباتهم الدينية في بيانات وفعاليات الانتفاضة، ومشاركتهم في الممكن فيها.

5. دعوهم لعدم الهجرة بسبب ضغوطات الاحتلال وما رست ضد أبناء شعبنا.

6. التأكيد على أهمية اشتراعكم في الحياة السياسية والجبهة الفلسطينية في فترة الاحتلال وبعد التحرر والعمل على استقطابهم في العمل والمؤسسات الوطنية.

7. العمل على منح علاقات مشتركة مع قياداتهم الدينية والسياسية وتحليها في المواقف الوطنية والعامة ومشاركة زعمائهم في شؤون البلاد العامة.

8. استمرار سياسات الإشارة لهم ومناسباتهم في بيانات الحركة وأدبياتها.

أما ندعو إلى إزالة كل التوجيهات التي تولدت نتيجة بعض العوامل منها الاحتلال، ولا بد من الشروع فورًا في عملية اتصالات تحدثنا عنها سابقاً في مواجهة الأخطار المحيطة بنا محليًا وخارجيًا، وهذا يتطلب عدة فعاليات وخطوات عملية:

أولاً: إعادة قراءة للواقع ووضع النقاط على الحروف للخطر الداهم الذي يستهدف الجميع لطمس كل خير قائم على الأرض ويشمل الإنسان والأرض والمقدسات والتراث.
ثانياً: عقد لقاءات دورية تساهم في توطيد العلاقة وبالتالي إزالة أي التباس وسوء فهم من طرف

آخر.

ثالثاً: تشكيل لجان مراجعت لترسيم العلاقة ومواجهة الواقع الذي يعيشه.

رابعاً: دعوة كل المؤسسات الرسمية والشعبية، وأعمال العبادة على وجه الخصوص لقيام بالدور

الموشط بها وإزالة كل الرواسب وسوء الفهم وتصويب النظرية لكل وفق نظرة الشرع لنا.

خامساً: القيام بجولات مشتركة وبالذات للعالم العربي تبين حقيقة ما يجري على الأرض الفلسطينية

بين المسلمين والمسيحيين من احترام متبادل.

سادساً: تشكيل قوة مانعة للتصدي لكل أشكال الفساد والانحراف الأخلاقي الموجودة في المجتمع

وتطبيقه وتحقيق رواسته والقضاء عليه.

سابعاً: التأكيد على أن الحركة الإسلامية هي حركة تحررية تقوم بإجهاض للدفاع عن كل أبناء

الشعب الفلسطيني وحقوقهم ومقدساتهم هذا الواجب الذي تزدهر الشرائح السماوية والأعراف

والقوانين الدولية، وليس كما يروج البعض إلى أنه صراع ديني.

ثامناً: التعاون في العمل على تقديم المجتمع الفلسطيني وازدهاره ودعوة المستثمرين للارتقاء

بالاقتصاد الفلسطيني واعتباز ذلك واجب ديني وأخلاقي ووطني.

نابعاً: التعاون السياسي، وذلك بكشف طبيعة الصراع فوق الأرض الفلسطينية، وحق شعبنا

العقيدي التاريخي فيها وما حق بعبنا من ما في ويلات.
وأي من البديهي في النهاية أن نشير أن طبيعة العلاقة التي كانت ولا زالت بين المسلمين والمسيحيين لا تعني بأي حال أن يطلب من المسلم تجديد لأحكام دينه وشرعة ربه ومنهجيته لواقع الحياة، فليس هذه حالة التسامح التي قد يفكر بها البعض، بل "أما ينبغي أن يقوم التسامح على ما أمر به ديننا وما يعتقد به المسيحيون من حقين الجوار وحب الخير للمجتمع وواجب العدل مع المجتمع".

إذا كل دين له مقوماته الجوهرية وخصائصه الذاتية فلا يجوز إغفال هذه المقومات والخصائص من أجل جماليات سطحية أو كسب معارك وهمية.

1. غير المسلمين في المجتمع د. يوسف الفرضاوي، ص 80.
2. نفس المصدر السابق.
وفي النهاية نلحص ونختصار فنقول:

• لقد عاش النصارى في كشف حضارة الإسلام العظيمة وسمحتها وافقها الإنساني

• الالحادود والتي قدمن النصرة المذهل الأولي في الحضارة والتماسح وعدم التزام في الدين.

• لا تشهد الأراضي المحتلة طوال العقود الماضية أي حوادث يمكن تصنيفها تحت عنوان

• العنف الطائفي، وإن جرت أحياناً - وهي نادرة - إنها جرت تحت عنوان العنف السياسي.

• وحتى أن الصراع الحالي اليوم مع اليهود فوق أرض فلسطين ليس صراعاً دينياً وإنما هو

• سياسي وكروم محال ومغتصبي أرضنا ومقدسنا.

• هذه نظرة عامة إلى واقع العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فوق أرض فلسطين نأمل أن تكون كذلك في

• المستقبل بل العمل على تطويرها وترقائها.

هذا وبالله التوفيق وآخر عووانا آن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته
واقع العلاقة الإسلامية المسيحية

في فلسطين

الد. عاطف الله حنا

هناك ناحيتين متلازمتين للحديث عن موضوع العلاقات الإسلامية المسيحية: أولاً

العلاقات بين الدينين التوحيديين المسيحية والإسلام وثانياً العلاقات بين المسلمين والمسيحيين.

الناحيتان الأولى: تتضمن مبادئ العبادة والأخلاق بين الدينين، والثانية: ترتبط بالحياة العملية والعيش المشترك بين أبناء الدينين، والناحيتان مترابطتين، ذلك لأن الدين لا ينظم العلاقة بين الخلق والمخلوق أو بين الله والإنسان فحسب وإنما ينظم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان بين المخلوق والمخلوق، وهذه العلاقة لا تنحصر بين أئمة من دين واحد أو من بيئة واحدة وإنما بين سائر خلق الله من سائر الديانات والانتماءات العرقية، ويستد المؤمن في علاقته مع الآخرين على تعاليم دينه، لذلك قبل البحث في موضوع العلاقة بين المسلمين والمسيحيين هناك ضرورة ملحة إلى أن تحدث ونشير (ما هي العلاقة بين الدينين التوحيديين الإسلام والمسيحية)؟
العلاقة بين الإسلام والمسيحية

لقد عرف الإسلام المسيحية منذ نشأته وقد كانت المسيحية منتشرة في بعض القبائل العربية، وفي الجزيرة العربية، ويدعو القرآن الكريم المسيحيين تأثراً بالنصارى، وتأثراً بأهل الكتاب، وقد جاء في سورة آل عمران: "لا إله إلا هو الحرف القيوم"، "أنزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه، وأنزل النوراء والإنجيل من قبل هدى الناس وأنزل القرآن". أن هذه الآية تبرز موقف القرآن من المسيحية وأن الإنجيل هو كلام الله. ويدعوهم إلى الإيمان به والسير بوجهه، ومنذ البداية اعترفت الشريعة الإسلامية للمسيحيين في تبنيهم لا كأسراد فحسب بل كجماع، لذلك وجد في المجتمع الإسلامي على مدى العصور تعددية دينية، لكن هذه العقدية فرضت ترتيبًا معيناً وهو نظام (أهل الديانة) إذ ضمنت لهم حرية العبادة.

إن هنالك أهمية قصوى لتعزيز اللحمة الوطنية والأخوة الإسلامية المسيحية وذلك من خلال الحوار من أجل بناء علاقات وطيدة في الحياة والعيش المشترك، والحوار الديني يطلب:

أولاً: الاعتراف بواقع الاختلاف في بعض الأمور العقدية وتلبية التوترات على نقاط التوالي في الاختلاف والعملية بين الإسلام والمسيحية. واعتقد بأن العلاقات الإسلامية المسيحية لا يمكن أن تبنى بشكل سليم إلا انطلاقاً من الاعتراف أولًا بواقع الاختلاف العقدي بندية، فالعلاقة بين الديانتين تفرض أولًا الاحترام المتبادل لمعتقدات الطرف الآخر وتعاليمه الأخلاقية حتى وإن اختفى.

وهذا الاحترام إذا قبلاً ووضعاء في أسس علاقاتنا يفرض علينا سلوكاً جديداً يسمى من الاستمرار في خطأ أساسي وقنا فيه في العصور السابقة ولا يزال يفسد أذهاننا ويلوح بنشأة الاجتماعية وعلاقاتنا المتبادلة، إلا وهو التكثير المتبادل، فإن اعترف كل منا في حق الآخر أن يكون
لا يجوز للمسلمين أن يتهموا المسيحيين بالثنى بدل التوحيد ولا يجوز للمسيحيين أن يدعوا الإسلام بدعوة وهرطقة كونهم لا يؤمنون بالسماح كخلاص.

والاختلافات في العقائد ناتجة عن كون كل ديانة تستند في تحقق عقائدها إلى كتب مقدسة.

تبرئه أنياً من عند الله، لذلك يجب على كل ديانة أن تحرم اعتقاد الديانة الأخرى. ليمكن الدخول معها في حوار بناء. إن المشاجرات حول عقائد الدين والاعتقادات المتبادلة لن تفيد شيئاً للمسلم سبيقي مسلمًا، وهكذا يجب أن يكون المسلم سبيقي مسيحياً، وهكذا يجب أن يكون المسيحي والإسلام ديانتين مختلفتين وستكونان مختلفتين حتى يوم القيامة، والحوار والتفاهم الإسلامي المسيحي لا يهدف إلى الوصول في نهاية إلى الاتفاق حول دين واحد، وفي هذا سبيقي قوي أبي العلاء المغربي قائلًا:

ما بين أحمد والمسيح
وذلك بذلته تضحية
هذا ناقد بدق
كل يعزز دينه
نأليت شعري ما الصحيح

إن الهدف من الحوار هو إزالة الإتباسات والأفكار الخطئة لدى كل من الطرفين حول عقائد الطرف الآخر، وذلك بهدف الوصول إلى تعاون أخوي واحترام متبادل. فقد يعتقد مثلاً أن المسيحية تشترك بعذابة الله، ففي حين أنها قد مثلت مناهضات الشهداء، لا يقتضي إيمان كل من المتساولين في الاحترام المتبادل لإيمان الآخر، فبكل أن يقول كل من دينه هو الصحيح والآخر

على ضلال مبين تقول أن المسيحية والإسلام طرفان متوجوان يقودان كلاهما إلى الإله الواحد.
الأحد، النظرية القديمة ينتج عنها احترام الآخر ورذله واعترابه كافراً، أما النظرية الجديدة فسينتج
منها الاحترام المتبادل والمحبة المتنوعة لحق الآخر في أن يكون مختلفاً، وال الحوار بين الإسلام والمسيحية
يجب أن لا يوقف فقط عند الأمور المختلف عليها بين الشعوب بل يجب أن يركز أيضاً على الأمور
المشتركة بين الدينين من أجل عيش مشترك وتفاهم دائم، وهناك نقاط كبيرة للتفاقي بين الإسلام
والمسيحية:

1) على صعيد العقيدة: فالإيمان بالله الواحد خالق السماوات والأرض يجمع المسيحي والمسلم،
وقانون الإيمان المسيحي يبدأ ب أؤمن بالله واحد لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ولا ينقص منه شيء. وما
ينقله المسيحي عن الأب والابن والروح القدس هو أنه الله واحد، وهنالك أيضاً الإيمان بأن الله كتب
بأبياته ولأن الله رحيم حب للبشر فا حب في المسيحية ورحبان رحيم في الإسلام، والله هو
الجازي لكل إنسان حسب أفعاله بقدر ما عملته يداه، كما أن القرآن الكريم يذكر الكثير عن
السيد المسيح والسيدة العذراء، وهناك نقاط أخرى كبيرة للتفاقي بين الإيمان المسيحي على
صعيد الإيمان والعقيدة.

2) أما على صعيد الأخلاق فالإيمان يجب أن يقتصر بالأعمال. إن الصلاة والزكاة والصوم أمور
مشتركة في الإسلام والمسيحية وإن اختلطت في طريقة تطبيقها إلا أن المهد واحد، وهناك أمور
مشتركة في أخلاق الدينين، في الدعوة إلى الفضيلة والمسك بالقيم والابتعاد عن الخطايا والأشياء
المتنوعة، ولذا الحديث أن المسيحية والإسلام يجمعان على أهم الأمور الدينية على صعيد
العقيدة والأخلاق، فإذا كان الإسلام يرى في الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج أركانه الخمسة،
عالقات التعاون بين المسلمين والmissionaries

إن التفاهم بين الإسلام والمسيحية يجب أن يقود إلى تعاون بناي بين المسلمين والمسيحيين في مختلف مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية وهذا التعاون ليس أمرًا مستحثًا. إن له نتائجًا عريقة، ويجب العمل على أن يسمح ويتوسع ويتطور وفقاً لمقتضيات العصر وطمعات أبناء شعبنا خاصة في هذه الدنيا المقدسة. في الماضي تعاون المسلمون والمسلمين بعد الفتح العربي في مختلف الجماهير، ولا سيما في الفلسفة والطب والعلوم، وفضل هذا التعاون عرف الشرق ازدهاراً حضرياً شهد له التاريخ، ونرى بأن استمرارية التعاون ضرورية ولكن من الأمور أن يكون العمل على تدعيمه وثقوبه، وهذا التعاون ضروري، إن على الصعيد العالمي أو على صعيد الوطن العربي وفلسطين بشكل خاص، هناك أهمية خاصة لملح هذا التعاون خدمة للبشرية وعلى المجتمعات والدى تتجاوزها، إنه تعاون في خدمة خليقة الله ومن أجل صيانة كرامة الإنسان المهددة في كثير من الأحيان، إنه تعاون على تقدم المجتمعات والدى تتجاوزها، تعاون في مجالات الحياة كافة ومنها الوطنية والسياسية، وما يقال عن التعاون الإسلامي المسيحي في العالم يصبح أيضًا على صعيد المشرق العربي وفلسطين بشكل خاص فالمسلمون والمسيحيون وهم أبناء شعب واحد هم مدعوون إلى المساهمة في بناء الدولة وتطويرها هم مدعوون إلى بناء دولة الإنسان دولة القيم دولة سائر...
المواطنين، هذه الدولة التي تحمي فيها الحقوق الأساسية للإنسان، وتعوي فيها المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية القادرة على تأمين وضمان هذه الحقوق.

نحن نؤمن بأننا من خلال معاونتنا لقضايا الوطن يجب اعتماد عدد من المبادئ الهامة:

أولاً: الوحدة: نحن شعب واحد مع تعداد ارتفاعاتنا الدينية أو الحزبية
ثانياً: الحرية وهو مبدأي شرطًا أساسيًا للحياة والاستمرار، والحرية لا تعني انفصال والإباحة، وإنما العلاقة المبنية على الاحترام المتبادل.
ثالثاً: الوفاق إذ نحن في مسارنا الوطني نحتاج إلى الحوار والوفاق فنبدأ النوري من شأنه أن يساهم في نجاح مسيرتنا الوطنية نحو مستقبل أفضل.

ومنها تتحدث عن المسيحية تقول بأنها ليست عنصرًا دخيلة على الشرق ولكنها عنصرًا أصيلًا وهاماً فيه، لا بل المسيحية من مقوماته، ومن ينظر إلى بلادنا من دون ينظر إلى المقومات الروحية فيه فقد أخطأ المهد والتحليل والمسيحيون العرب كانوا موجودين على الأرض العربية منذ زمن طويل وكما ورثنا لكمшей العربية، وهم جزء أصيل من الأمة العربية وليسوا من مختلف الفصائل الصليبية، حان الوقت الذي ندرك أننا مسيحيين ومسلمين كساوية في مواجهة الفتن الصليبي، وهذه البقعة من الأرض لم تتحمل إلى العالم رسالة واحدة بل رسائل: الرسالة المسيحية والرسالة الإسلامية، وأن الوجه الحقيقي لبلادنا لا يتجلى في أصواته إلا إذا ارتقي فيه صوتان معاً صوت مسلم وصوت مسيحي، وفي الواقع هما صوت واحد لشعب واحد وأمة واحدة، فالمسيحية والإسلام هنا توأمين لا يتناقضان.
وهناك تحديات كثيرة تواجه المسيحيين العرب، وهناك ردات فعل للمسيحي عليها.

يجب أن نن سي الأهمية الادبية، وهي الأرض والذوق، والاستسلام وأخيرا الهجرة، وإن ما
يقال هنا وهناك وشاع عن اضطهاد إسلامي للمسيحين هو كلام غير دقيق وغير صحيح. يهدف
إلى الإساءة والمحاسبة عالية شعبنا الوطني، ولكن هذا لا يمنع أن نعمل سواء على تقوية الوحدة
الوطنية وأن نحل أي أشكالته إن وجدت، وأن نزل الغشاعة عن الأنصار، ومن الطبيعي أن تكون
إشكاليات وعثرات في مسيرتنا الوطنية فالعلاقات بين أفراد العائلة الواحدة لا تخلو من مثل هذه
العثور وهذه الصعوبات والعثرات قد تكون عن بعض المفاهم الخاطئة وقفة الحوار والتفاهم.

وإن مستقبل المسيحين العرب في فلسطين مرتبط بمستقبل إخوان المسلمين ونحن نرى في
اللاقة الإسلامية للمسيحي هدفاً حيوياً وأساسياً استراتيجياً ووطنياً في المقام الأول وما يسعى إليه
المسيحين العرب هو التوقي إلى القربي واكتشاف مواقع اللقاء، وما ينظر إليه المسيحي من أحيانا
المسلم هو أن يعمل على إشاعته بأنه ليس أقلياً لحاجة إلى حماية، ومن واجب المسيحي أيضاً
التصدي لتجربة الهروب والاستسلام والرضوخ والانمز والهجرة وليكن المسيحي واعياً بالقدر
الكافي لراية وهويته ووعوده وأن المسلم ليس غرباً عنه وأنه أكثرب بالالتزام إلى هذا الوطن.

حذار من الانثقاق من هويتنا العربية، حذار من أولئك الذين يحاولون تجربة المسيحين عن هوامهم
العربية الأصلية، فنحن مطردون وكيستنا مشروقة ومرجعين مشروقة، كنا ما حل بنا من العرب.
الذين كانوا يستعملون المسيحين في الشرق جراء تحقيق أطمحهم تحت شعار حماية المسيحين،
لأن نحمي ونحافظ على الحضور المسيحي العربي سوى المسكن بالهوية العربية المسيحية، وعوتنا
الصادقة الإسلامية المسيحية، نحن نريد من المسلم أن يكون المحامي الأول عن الحضور المسيحي.
وهنا فإن يدرك أن المسيحية جزء أساسي من تاريخ وحضارة وحياة هذه البلاد، علينا ألا نقلع
لمصير المسلمين في العالم العربي بل نقلي لمسيرة المسلمين والمسيحيين على السواء لأن لنا مصيرًا
واحدًا.

إذا ندعو إلى التضامن الإسلامي المسيحي في العالم العربي وشخص خاص في فلسطين،
إن المسيحيين هنا جزء لا يتجزأ من الهوية الحضارية للمسلمين والمسيحيين، ويجب أن نبحث عن صيغة لا للتعايش فحسب وإنما للتواصل والانقلاب المثير الذي يضم الاستمرار والأمان
للجميع، بعيداً عن الحقد والعصبة والتفاوت، وأن لنا من القيم الروحية الإسلامية والمسيحية ما
يساعدنا على ذلك وما يفرض علينا أن ننظر إلى بعضنا البعض بين الانتقادات لأن الإنسان عدد ما
يجهل.

وموضوع العلاقة الإسلامية المسيحيّة في فلسطين موضوع هام وحيوي وعلى جانب
عظيم من الأهمية خاصة في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ شعبنا مرحلة البناء وتحقيق
التطورات الوطنية الفلسطينية، ونحن نعلم بأن هناك من لا يريدون لشعبنا أن يحيا في لحظة وحدة
وطنية وهنالك من يسعى إلى جعلنا مشروعين متناقضين، ذلك لأن في التشرذم والتفرق يمكن الضعف
وفي الوحدة الوطنية تكون القوة في الوقت الذي فيه تحدث عن علاقة العلاقة الإسلامية المسيحية
في فلسطين علينا جميعاً كأبناء شعب واحد أن نقوم الفرصة على أعداء شعبنا وأسنا، وفي الواقع
عندما تحدث عن المسلمين والمسيحيين في فلسطين والوطن العربي لا تحدث عن شعبيين أو
جماعتين أو فئتين وإنما تحدث عن شعب واحد وأمة واحدة في تعددية دينية إسلامية ومسيحية.
فبالرغم من وجود الخصوصية الروحية الدينية لكل من المسلم والمسيحي إلا أننا شعب واحد لنا

54
لغة واحدة وحضارة واحدة وتراثاً واحداً ومعاناتها واحدة وطموحاتها الوطنية واحدة، فالاحتلال البغيض لم يميز في يوم من الأيام بين مسجد وكنيسة بين حي مسيحي وحي مسلم بين شاب مسيحي وشاب مسلم. فالكل عاني وعاني من الاحتلال وإذا كانت هذه العلاقة في بعض الأحيان بوعى من التطور هذا شيء طبيعي إذا أن الأزمات تعصف في كثير من الأحيان بالعائلة الواحدة وأصحاب الدين الواحد، وظهور هذه الأزمات يكون في كثير من الأحيان نتيجة تدخلات خارجية تأتي من لا يريدون مصلحة شعبنا ووحدته الوطنية. فأيما تكون الفرد يكون هناك دور للاحتلال أو لجهات عميلة ولكن هذا لا يعني أننا لا نتحمل المسؤولية، فالفرز في كثير من المواقع لاقت أرضها خيبة ولاقت أشخاصاً يروحون لها ويعملون على تأجيجها من خلال إطلاق الكلمات والخطاب التي تثير المشاعر الدينية الفاسدة من جهة ضد الجهة الأخرى.

إذن نرى بأنه هناك حاجة ماسة لمزيد من الوعي، نحن حاجة إلى حملة توعية إذا صح التعبير، لأن هناك إشارات كثيرة وتزويج كثير وأفواو تبت هننا وهناك، وهناك أفكار ومشاعر مغلطة التي إذا ما وصلت إلى البعض من عددي الوعي الوطني، أو أصحاب التطرف الأعمى جعلتهم يتأثرون بها ويلدون بها، يجب هنا أن نتحمل مسؤوليتنا كرجل دين مسلمين وسادة وكرجال فكر وعلم وثقافة علينا أن نترك الساحة لروح الإشاعات، وناشرى المواقف المعادية لمصلحة شعبنا ووحدته الوطنية، ولنتذكر ما حل لنا من نكبات قبل عام 48 وبعدها وكيف أن المعاناة كانت مشتركة نحن شعب واحد وأمة واحدة ولكن هناك من يجعل على أرض الواقع عكس ذلك، هناك من لا يريد لنا أن نكون أمة واحدة وشعباً واحداً. هناك أهمية قصوى للفعّال الإرسالي المسيحي في فلسطين، لقاء الإنسان بأخيه وعليها أن يشعر على
وحدتنا الوطنية وحافظ عليها. وهنا أود أن أشيد بالمرأة الفلسطينية الهاشمة في هذا اللقاء والمحاربين ومنها مركز اللقاء ومركز الباريس وغيرها.

واقتراح الأفكار التالية:

1. التأكيد على أهمية التربية ودور مؤسسات التعليم والمناهج في تعزيز روح الحب والتسامح بين أبناء البلاد وتدعم أواصر الوحدة الوطنية.

2. تعزيز الوعي التذكاري وتوظيفه لترسيخ قيمنا العربية.

3. دعوة الباحثين والمفكرين والعلماء الفلسطينيين إلى القيام ببحوث ودراسات تحليلية وميدانية ممتومة للقضايا المجتمع الفلسطيني.

4. أن تقوم وسائل الإعلام المحلية بدور هام في نبذ الفق والدعوة إلى الوحدة الوطنية.

5. التعرف بأهمية الأراضي المقدسة والأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية وفرار الحضور الإسلامي المسيحي في فلسطين.

6. المبادرة إلى عقد ندوات ومؤتمرات إسلامية مسيحية في الأماكن التي تعرض للفرق وغيرها من الأماكن.

***************

56
المقالة الخامسة

الجزية

حسين محمود أحمد المهدى

الحمد لله ﷺ ﷺ ﷺ ونستعينه ونستغفره ونستedeبه ونعود بالله ﷺ ﷺ ﷺ من شرور أنفسنا وسنا وسياط

أعمالنا من يهدى الله ﷺ ﷺ ﷺ فلا مضل له ومن يضل فلن تجد له نجاة من الله ﷺ ﷺ ﷺ وحده

لا إله إلا الله ﷺ ﷺ ﷺ وحده ﷺ ﷺ ﷺ وهو لا معبد ﷺ ﷺ ﷺ ولا مناداة ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ 

ونادر في كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة القدس

57
شيئًا، تقول العرب جزت ديني إذا قضيته، ولغة العصر أقول هي مبلغ من المال أو قيمته عينًا
تفرض على بالي من رجل أهل الكتب والجيوش غير ذوي الأعذار
دليل مشروعيته: الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى "حفظوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ولا يجرون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين آمنوا الكتاب
حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون".

وأما السنة فما روى المغيرة بن شعبة "أنه قال جل جلاله Bootstrap أمرنا نبيه رسول
ربنا أن تقاتلكم حتى تعملوا الله وحده أو تؤدوا الجزية" أخرجه البخاري وعن بريدة أنه قال;
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على سرية أو جيشاً أو وصى بقومه تعالى في
خاصة نفسه ومن معه من المسلمين خيراً، وقال له "إذا أتيت عدوكم من المشروكون فادعهم إلى
إحدى ثلاثة، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجبروك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فادعهم إلى
إعطاء الجزية فإن أجبروك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم" في أخبار كثيرة
واجمع المسلمون على جواز أخذ الجزية في الجملة ولم يأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من
الجيوش الجزية حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذها من
جيوش هجر في البحرين.

---
1 المغني لابن قدامة المقدسي ج 8 ص 495
2 سورة النورية آية 29
مُنْتَقِب: لا تُقِبِّلِ الجزية إلا من يهودي أو نصراني أو مسيحي إذا كانوا مقيمين على ما عهدوا عليه لما أسلفت من الأدلة، أما غيرهم من الكفار وعبدا الأوثان فلا تقبل منهم ولا حياة لهم في دار الإسلام، ولا على ذلك قول الله سبحانه وتعالى "فإذا اسلم الأشهر الحرم فاقتلو المسلمين حيث وجدتموه".

ثم لا تقبل: ولا جزية على صبي ولا زائر عقل (مجني) ولا امرأة ولا على فقير ولا شيخ فان ولا زمن ولا أعظم، فهذا نص علماء الإسلام على عدم أخذ الجزية من أولئك في حين أن الزكاة في الإسلام واجبة على كل مسلم إن بلغ ماله الثمان وخمسة اليتم شملة الأمر، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "اتقوا بمال اليتم حتى لا تأكله الصدقة". وأما الجزية فنرى إلا على البالغ العاقل لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "خذ من كل حالم دينارا". وهذا يدل على أنها لا تجب على غير بائع ولا تفرض على المرأة ولو بذلت الجزية بنفسها، أخبرت بأنها لا جزية علىها وإنما الفقيه المعجز عن أذائها فلا جزية عليه وقد جعل عمر رضي الله عنه الجزية على ثلاث طبقات، جعل أدناها على الفقيه الخمس، فبدل على أن غير الخمس لا شيء عليه ولأن الله تعالى قال "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها". ولأن هذا المال يجب بلجول الدول، فلا بذم الفقيه المعجز كاذبة، فأخذ الجزية يتناول الأخذ من يمكن الأخذ منه، ومن لا يمكن الأخذ منه، فالأخذ منه مستحب فكيف يؤمر به؟

أولًا: سور الروعة لـ "القرآن الكريم"

الثاني: المغني لأبن قدامة الحنفي جـ 8 ص 87 510
بداية مشروعيتها: لم يأخذ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الجزية من أحد إلا بعد نزول
سورة النبوة "براءة" في السنة التاسعة، فلما نزلت آية الجزية (قائلاً الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ولا يحرون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون) 1، أخذها من الجنوس وأهل الكتاب ولم يأخذها من يهود خبر، فظن
من غلط أن يختص بأهل خبر، وهذا من عدم عمق فقهه، فإنه صالحهم قبل نزول آية الجزية، ثم
أمره الله أن يقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فلم يدخلوا في ذلك، لأن
العهد كان قديماً بينهم وبينهم على إقرارهما وأن يكونوا عمالاً في الأرض بالشطر، فلم يطالبهم بغيره
وطلب سواهم من لم يكن له عقد معهم، فما أبلغهم عمر، تغير ذلك العقد، وصار لهم
حكم غيرهم من أهل الكتاب، ولما كان في بعض الدول التي أختننها السنة، أظهر طالفة منهم
كباب قد عققوا وزرووه، فيه أن صلى الله عليه وسلم أسقط عن أهل خبر الجزية، وفيه شهادة
علي بن أبي طالب وسعد بن معاذ وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم، فراح ذلك على من
جهل السنة وظنوا صحته، فأجروا حكمة حتى القي إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله،
وطلب منه أن يبين على تفديته، ففحص عليه، واستدل على كذبة بعشرة أوجه منها: أن سعدا
توفي قبل خبر، ومما أن الجزية لم تكن نزلت بعد، وبما أنه أسقط عنهم الكفاف والسخر، ولم
تكون في زمنه صلى الله عليه وسلم، وإنا هي من وضع الملكة الظلمة، واستمر الأمر عليها
ومنها أنه هذا الكباب لم يذكر أحد من أهل العلم ولا من أهل السير، ولا من أهل الحديث، ولا من

1 التوبة إيه 29

60
غيرهم، ولا أظهره في زمان السلف لعلمهم أنهم يعرفون كذبه، فلما خففت السنة زوروا ذلك، وساعدهم طبع بعض الحلفتين لله ورسوله، ولم يستمر حتى كشف الله أمره، وبين خلفاء الرسول بطلانه وكذبه.

خصوصية أهل الكتب في قبول الجزية

إن الإسلام أنزل أهل الكتب والجبوس منزلة ما أنزلها غيرهم أبداً، ففي الوقت الذي قبل منهم الجزية وسمح لهم أن يقيموا في الدولة الإسلامية كمواطنين لهم حقوق وعليها واجبات، لم يقبل الجزية من غيرهم ولم يجعل لأهلهم من الحليات إلا الإسلام أو القتل، وفي ذلك يقول الله تعالى: " فإذا استلغ الأشهر الحرم فاقطوا المشركين حيث وجدتموهم " ويقول صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلا الله، فإذا قالوا عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحقها ومعظم أن هذا عام خص منه أهل الكتب بالآية، " من الذين أوترن الكتب حتى يتلوا الجزية عن يد وهم صاغرون " والجبوس " بشهادة عبد الرحمن بن عوف أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من جبهس هجر " فإن عداهم من الكفار يبقى على قضية العموم.

ولم يقف الإسلام في تساعه مع أهل الكتب في قبول الجزية منهم، وإنما أجاز لنا أكل طعامهم ونكاح نسبتهم، وفي ذلك قوله تعالى في سورة الساماء " وطعام الذين أوترن الكتب حل لكم وطعامكم حل لهم والحصص من المؤمنين والمحصصات من الذين أوترن الكتب من قبلكم إذا

١ زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٢ ص ٢٠٣-٢٠٤
ونشأ من أجورهم محصنين غير مساعدين ولا متخذي أخذان، وهذه خصوصية لأهل الكتاب.

دون غيرهم وفي ذلك إكرام وتقدير لهم.

وفي الوقت الذي ألمى فيه المسلم المالك لنصابة الزكاة بدفع زكاة ماله على سبيل الواجب.

وباستخدام فعل الأمر كما جاء في قوله تعالى "خذ من أموالهم سهمة تطهيرهم وتركهم بها "،

ويستوى في ذلك من أقام في الدولة الإسلامية أو أقام خارجها، بينما يختلف الأمر بالنسبة لأهل

الكتاب كما جاء في قوله تعالى "حتى يعطوا الجزية" وفرق بين فعل المضارع والأمر ولا يخفى ذلك

على أحد من أهل اللغة.

حقوق وواجبات

والذي تقبل منه الجزية، ويلزم بإعطائها في كل حي ويلزم بأحكام الإسلام، وهو قبل ما

يحكم به عليهم من أداء حق أو ترك حرم لقول الله تعالى "حتى يعطوا الجزية عن بد وهم صاغرون

من فعل هذا واللزم به يحظى بحقوق المواطنة في الدولة الإسلامية، ويجب أن يعقد له عقد دمّة

مؤيد، ويكون آمناً في نفسه وماله وعرضه ويستفيد من الخدمات التي تقدمها الدول الإسلامية.

ويلزم له ولي الأمر يذله مقتين اثنتين:

أحدهما: الكف عنه وعدم التعريض له

ثانيهما: الحماية له

المائدة: آية 5
التوبة: آية 103
وذلك ليكون بالكف آمن، وبالحماية محروض، وقد روى نافع عن ابن عمر أنه قال:

"كان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم احفظوني في ذستي، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: "من أذى ذنياً فقد آذاني""
نافذ من التاريخ الإسلامي

1- يروي أن أبا عبيدة أخذ الجزية من أهل حمص ونواحيها، وبعد ذلك شعر بأنه ليس بمقدوره الإستمرار في حمايتهم وتوفير الأمان والآمن لهم وذلك لأن الروم قد حصدوا حشداً عظيماً، وكان المسلمون قلة والجزيرة إذا تؤخذ ليتكفل المسلمون بحماية أهل السنة، ولما كان الأمر كذلك أرجع الجزية لهم، وقال معاوناً بالحقيقة، لقد حشد الروم حشداً عظيماً لا ندري أنتم أم لا، فإن لم ننصر فأصلكم بين أيديكم وإن انصرفنا خذناها سنكم لأننا نكمنا من حمايكم، فقال الناس وهم نصارى: أعادكم الله علينا، قالوا لأن الروم كانوا قد ظلمواهم.

2- كان عمر بن عبد العزيز في سياسة المالية يوصي عمله بأن يخففوا من فرض الضرائب على الناس وموقته الشهرة، اتبعوا لهم لحماً يعانون بها شحوماً، وقال: إنما بعث محمد صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعث جابياً.

لكنما ذكرت ليس لأحد أن يوجس خيبة من فرضية الجزية لأن المسلم مكلف أكثر من الذمي وعلى عاتقه كثير من الواجبات ومن قبل الحرمة الدينية في الإسلام. إذ لا يكلف غير المسلم بأشياء لا يعتقد بها وهذا عن العدالة والرحمه. ففرض الجزية ليس فيه ظلم ولا إجحاف، وقد فرض على المسلم بالمقابل الزكاة والجهاد الذي شرع لهاماً الدين ونشره وحماية الرعايا الذي يعيشون في كف المسلمين أياً كان معتهم.

ولما أن الإسلام يدعو أي معاملة غير المسلمين بالحسن ويحرص على حماية حرتهم الدينية وحظر حقوقهم وحسن رعايتهم كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده، كان من
حق المسلمين الذي يشكلون أقلية في بعض دول العالم أن يجدوا مثل هذه المعاملة وأن يترك لهم حرية
ما رسة شعاعتهم الدينية وتنظيم حياتهم وفق تعاليم الإسلام من قبل المعاملة بالمثل على أقل تقدير.

الوسطية في الإسلام:

وبعدها تمايز الأشياء وإن كنت أقول كما قال الشاعر: ألم تكن النسر ينقض قدره،
إذا قبل أمسي من الحشوب ومع ذلك وحتى أغنى مدى سماحة وعدل الإسلام لا بد من الحديث
بإيجاز عن أحوال الناس الاقتصادية في ظل الإمبراطورية الرومانية والفارسية.

وأما عن الإمبراطورية الرومانية فإن الإمبراطور كان كل شيء وارادته هي المصدر الوحيد
للموان، وهو رئيس الإدارة المالية وهو رئيس الدولة وهو نائب الله، يقول "ملف" في تاريخ مصر
وهو بصد ملامح النظام المالي لمصر في ذلك العهد وكان تقدير كمية الضرائب التي يجب أن
تدفعها مصر للخزانة الإمبراطورية من اختصاص الإمبراطور يعتمد على عام إلى عام، وكانت مؤنة
النفقاتeli من الشعب المصري الذي لا يبق له شيء، ولم يكن هذا النظام المتبع في تقدير
الضرائب وجبائها خاصة لمصر، بل كان هو النظام العام المتفق في جميع أقاليم الإمبراطورية،
وكانت الحكومات تصرف الموارد البلد على أن تدفوه في نهاية العام مما يثبت إليها فائدة قد ردها
1/6 ملل، وكانت هناك ضرائب مفرطة تفرض تناهض منها ضرية تسمى "نوبين" يقول "ملف" ملل
عنها أن الغرر منها مجهول، ولكن يُستدل من الوثائق التي أوردها "جودن إس" أنها كانت من
أجل تطهير القنوات، وقد بلغت في حالة مائة درهم على الفدان الواحد.

65
وهناك ضريبة على الرؤوس والأراضي والماشية كل فضيلة على حدة، الثيران والجمال والفخم والماعز والحمير، وكل أنواع المهن التجارية حتى الباعة المتجولين والإسكانيين والمغتربين كانت تتكشف حساب الإيرادات المسلم كل شهر، ولكن مقدار نسبتها غير معروف، فهذه كانت بيئة ضريبية دخل وقد أثبتت الوثائق العديدة ووجودها، وكان مفروضاً على المبيعات ضريبة بنسبة 10% نسمى "انكيكولين". وهناك ضرائب على النقل، وهذا غيض من فيض من الضرائب التي كانت تفرضها الإمبراطورية الرومانية على مواطنيها.

وأما عن الإمبراطورية الفارسية فلا تقل عن سابقتها في ظلم رعاياها، يقول ابن خلدون، وهو يدل على أن الظام مؤذن بجازب العمران والدولة "وانظر في ذلك ما حكاه" المستوي. "في أخبار الفرس عن "الموذان"صاحب الدين عندهم أيام "هرايم بن هرابم"، وما عرض به، أي "الموذان" لم يكن في إكثار ما كان عليه من الظلم والغلط في عاندها على الدولة، يضرب المثال في ذلك على لسان اليوم، حين سمع الملك أصواته وسأل عنه همومها، فقال له: أن بوماً ذكر يوم لحظ أنتي، وأنت شرطت عليه عشر لقين قرب من الحروب في أيام هرايم، قبل شرطها، وقال لها إن دامت أيام الملك أوقفتك ألف قربه، وهذا أسهل مرام! قتته الملك من عينته، وخلا "بالموذان" وسأله عن مراده فقال له: "أيها الملك، إن الملك لا يلزم عزر إلا بالشرعة، والقيام لله ببطاعة والصرف تحت أمره وفنيه، ولا قوام للشرعة إلا بالملك، ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا بالصمة، ولا سبيل إلى الصمة إلا بالعدل، والمعدل

الخراج والتنظيم المالية للدول الإسلامية / محمد ضياء الدين الريس ص 59-62
الميزان المنصوب بين الخليقة نصب الرب وجعله له قيبًا وهو الملك وأنت أبا الملك عندت الوضاع
فاترّعها من أربابها وعمرها، وهم أرباب الخراج، ومن تُؤخذ منهم الأموال، اقتصاتها الحاشية
والخدم وأهل البطالة، فتركوا العمارنة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع، وسوخوا في الحراج
لقرون من الملك، ووقع الحيف على من يبني من أرباب الخراج وعمر الضياع، فاجعلوا عن
ضياعهم وخلاص ديارهم، وآووا إلى ما تُؤخذ من الضياع فقسونها، فقلت العميره وخرت الضياع
وقلتهم الأموال، وهلكت الجند، والرغبة، وطبع في ملك فارس من جاورهم من الملوك، لعلمهم
بأن قاطع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك إلا بها، ثم ذكر بعد ذلك أن الملك لم يسمع هذه العظة أو
هذا النذير عاد إلى صوابه، وأقبل على النظر في ملكه، وانتزع الضياع من الحزينة فردها إلى
أربابها، فعمرت البلاد، وكربت الأموال عند جباه الخراج، وقويت الجند وشحت الثور.

هذه القصة الرمزية وإن كانت تفيد أن هذه الحالة وقعت في عهد "هريام" إلا أنها جمعت إلى
أدلة أخرى تبين أن مثل هذه الحالة وجدت في غير ذلك من العهد، وأن الظلم والاضطربات
الاقتصادي وجدوا قبل ذلك العهد وعده.

وقد كان ملك كسرى يقاسم الأراضي وأصحاب الأرض محصولهم وكانت نسبة المقاومة على
ما ذكر "ساليكس" "تتراوح بين العشر والنصف، وروية الجلبي في تحالف ذلك إذ يقول: وكان
ملك فارس يقاسم الناس على جماعهم وغلائهم وكان أكثر ما أخذوه الثلث وأقله السدس،
وكناك كذلك يفرضون ضرائب معلومة علىLooperos فقد جعلت ضريبة الرأس واجبة على كل
رجل من سن الشهرين إلى الخمسين.

٦٧
لقد كانت دولتا روما وفارس في رخاء ونفوذ، فالصراع تدفق إلى خزانات الملك وصل إلى سالح هائلة، وفخامة ورفعة عاصمتيها كان يضرب بها المثل، ولكن هذا كله كان في الظاهر أما في الحقيقة فإن ديننا كان يسب عمله ليودي بجيزة الإمبراطورين، فقد كنا نزخ تحت نظام حكم استبدادي ساحق. في ذلك الوقت بدأت حركة الفتح الإسلامي وكانت دولة الإسلام التي تكونت في الجزيرة العربية وأسندها محمد ﷺ.

أين هاين الإمبراطورين في ظلمهما من عدالة دولة الإسلام التي جعلت من الجزيرة مسبحة بالحماية والكف وتقدر محدد بدأنا أو موكولة للإمام واجتهاده وعلى حسب طبقات الناس الثلاث الأخلاقي والأوساط والعمال، شامانيا وأربعين، وأربعة وعشرين واثني عشر درهماً على الترتيب، وجري على هذا أبو يوسف، وهذا الذي صنعه عمر رضي الله عنه.

الدولة الإسلامية دولة مدنية

الدولة الإسلامية دولة مدنية تحترم الإنسان وتزعج من قدره وتعطيه حقوقه بغض النظر عن دينه وقد تحدد وضع الناس في أمة الإسلام على النحو الآتي:

1- إن هذه الأمة تجمع شمل كل المسلمين بلا استثناء، فمن عاش داخل العالم الإسلامي أو خارجه.

2- أن هذه الأمة موجودة بالفعل سواء تجمعت أوصالها في دولة واحدة أو مجموعة دول.

المصدر السابق ص 57-58
3- أن هذه الأمة تحقق صدرها وذراعيها لم يكن مسلماً ويعيش مرتبطاً في المكان ومشاركاً في مسؤولية الحياة مع المسلمين.

والإسلام لا يكره أحداً على إتباعه قال تعالى "لا أكره في الدين قد تبين الرشد من الغي". وقال تعالى "ولوضع ربك لآمن من في الأرض كلههم جميعاً، أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.

ومنه يؤكد عدم إجبار أو كراهية الإسلام الناس على الدخول فيه وجود طاقة من أهل الكتاب يعيشون بين ظهري المسلمين في فلسطين وغيرها من أرض الإسلام، فلو كان الإسلام يكره أحداً على الدخول فيه لما بقي أحد على غير الإسلام.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

***************

1 سورة البقرة أية 256
2 سورة يونس أية 99
الإسلام وأهل الذمتون
أهل الكتب

20 إسماعيل نواضه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

يقول الله تعالى: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا تعبد إلا الله ولا نشرك به شبيهاً، ولا نخص بهما بعضًا أربابًا من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأننا مسلمون".

إنه دعوة منصفة من غير شك، دعوة لا يريد بها النبي صلى الله عليه وسلم أن يتفصل عليهم وهو ومن معه من المسلمين كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد، لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يتسرب بعضهم بعضًا. دعوة لا يثبتوا إلا أثبتت مفسد، لا يريد أن يفيء ال

* عميد كلية القرآن والدراسات الإسلامية - جامعة القدس - القدس

سورة آل عمران 24

71
الحق القوي، إنها دعوة إلى العبادة لله وحده لا يشركون به شريكًا، لا بشرا ولا حجرا، ودعوة إلى
الآلا يتخذ بعضهم بعضاً من دون الله أرباباً، لا نبياً ولا رسولًا، فكلهم الله عبد، وإنما اصتفاهم الله
للبلغ عنه، لا لمشاركهم في الألوية والربوية، فإن أروا عبادة لله وحده دون شريك.
وهما المظوران الذين يقرران موقف الصيد من الألوهية إن تولوا يقولوا لنا مسلمون، والإسلام
هذا المعنى هو الدين عند الله وهو الذي جاء به كل رسول من عند الله.
لقد أرسل الله الرسول بهذا الدين ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة لله، ومن
جور العباد إلى عدل الإسلام، فمن تولى عنه فليس مسلماً بشهادة الله، مما أهل المؤولون وضلل
المضلون، فإن الدين عند الله الإسلام

سكان الدولة الإسلامية

قسم الفقهاء المسلمون السياسيون سكان الدولة الإسلامية إلى أنواع ثلاثة هي:

1– المصلون
2– الذميون
3– المستأمنون

يشكل المسلمون والذميون رعايا أو مواطني الدولة الإسلامية لأنهم يقيمون فيها إقامة
دائمة، أما المستأمنون فيهم الأجانب لأنهم يدخلون دار الإسلام لأمد محدود.

1 سورة آل عمران أيه 18
والدولة الإسلامية تمارس سيادتها عادة على المواطنين جميعًا. وعلى جميع الذين يقيموا في نطاق حدودها، ولا يصح أن يستثنى فرد أو طائفة من القانون السائد والتشريع المطبق، ولا يعترف الدولة بالاختلاف في أديان السكان وجوائزهم، فلا يصح أن يصبح ذلك استبعادًا لرؤياء الأفراد أو الطوائف لأنهم مناقصون لسيادة الدولة.

ومسلمون في الدولة الإسلامية هم الذين يؤمنون بالإسلام دينًا ونظامًا، فهم يربطون بالدولة ارتباط وطبيبة وعقيدة. والمسلم رعوي إسلامياً إذا كان موطئاً، ولا يصح أن توضع أمامه الحواجز والحدود، بل ياحله التنقل والعمل في جميع أقطار المسلمين. أما الحدود التي توضع في وجهه الآن، فإنها ليست من الإسلام في شيء، والمسلم يرتسلم المسلم إذا كان موطئاً. كما أنه يعاقب بعقاب الإسلام إذا ارتكب جريمة في غير دار الإسلام، ودار الإسلام تعتبر وطن المسلمين جميعًا.

ومسلمون: هم الذين يقيمون بين المسلمين بإمامة دائمة بموجب عقد الدمة، فهم رعويين إسلاميين أو مواطنين، وإذا كان ارتباط المسلمين بالدولة ارتباط جنسية ودين، فإن ارتباط الذين قاصر على الوطنية والجنسية، والذين هم أولئك الذين كانوا من سكان البلاد التي فتحها المسلمون وفضلوا البقاء فيها فدخلوا في دما المسلمين.

وإذا دخل المواطن في دما المسلمين، فقد التزم بكيف ما يبيط لقاء حماية المسلمين له، وازدادوا أيضًا بتطبيق أحكام المعاملات المالية والعقوبات التي تضعها الدولة. وبعض من الحقوق للقانون العام فيما يتعلق بالحقوق الشخصية (الزواج والطلاق والمراث)، لأنها تتعلق بأمور دينية ولا
يصبح أن يجبر عليها، وقد كان وضع الذميين في الدولة مجالاً لبحث كثيرة وافتراضات ودس على الإسلام والمسلمين، وأكثر ما ينصب افتراضاتهم على واجب دفع الجزية الذي يرتبه عند الذمة على الذمي - فما هي هذه الأقوال؟

لا بد من الإشارة إلى أن خصوم الإسلام يهبون القاعدة المعرفة الهجوم أفضل وسيلة للدفاع. فهم حين يهبون باستعمال السيف والعدوان على الأمم فإنهم يوجهون التهمة إلى الإسلام. فيقولون إنه دين السيف، حتى يشغل المسلمون عنهم بالدفاع عن أنفسهم، وحين يهبون بأنهم أساروا إلى المسلمين الذين يعيشون في كنفهم واضطهدوا فإنهم يوجهون إلى المسلمين تهمة التصبية واحتراز غير المسلمين وضروب على ذلك مثلًا بالجزرة 1. فما هو قول الحق في هذا الجوال؟

قال الله تعالى: "فقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يفرومون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يجعلوا الجزية عن يد وهم صاغرون" 2.

هذه الآية والآيات التالية لها في السياق كانت تمهيدًا لغزو تبوك ومواجهة الروم وعصابهم من الفرسان المسيحيين من العرب. وذلك ليهمن أن الأوصاف الواردة فيها هي صفات قائمة بالقوم الموجهة إليهم الغزوة، وإنها إبادة حالة واقعة بصفاتها القائمة، وهذا ما يدل عليه السياق القرآني في مثل هذه المواضيع، فهذه الصفات القائمة لم تذكرها على أنها شروط لقائها أهل الكتاب ؛ إنما ذكرت على أنها أمور واقعة في عقيدة هؤلاء الأقوام وواقفهم، وإنها مبارات وروف دفع للأمر بقتلهما، وتنظيم في هذا الحكم كل من تكون عقيدته وواقفه ك💸دة وواقفهم.

---
1 انظر معلَم الثقافة الإسلامية عبد الكريم عثمان طه الثالثة ص 223.
2 سورة التوبة آية 29.
وقد حدّد السياق من هذه الصفات القائمة:

1- أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
2- أنهم لا يحرون ما حرم الله ورسوله
3- أنهم لا يدينون دين الحق

إن هذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بقتل أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، والذي يقول بنو عزرية أو بنو المسجح لله لا يحكم أن يقاتل عنه: إنه يؤمن بالله. وكذلك الذي يقول: إن الله هو المسيح بن مريم أو إن الله ثان ثلثة أو أن الله يجسد في المسيح 100 إلى آخر التصورات الكيسية التي صاغها الجناح المقدسة على كل ما بني من خلافات الذين يقولون: أنهم لا يدخلوا النار إلا أباما معدودات مهما أرتكروا من آثام بسب أنهم أبناء الله وأحباؤه وشعب الله المختار.

والذين يقولون: إن كل معصية تفتر بالإتحاد بالمسيح وتناول العشاء المقدس، وأنه لا مفر إلا عن هذا الطريق. هؤلاء وهؤلاء لا يقال: إنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذه الآية تصف أهل الكتاب هؤلاء بأنهم "لا يحرون ما حرم الله ورسوله."

وسواء كان المقصود بكلمة رسوله، هو رسول الذي أرسل إليهم، أو هو النبي فالمعنى واحد أن الآيات التالية فسرت هذا بأنهم يأكلون أموال الناس بالباطل. وأكل أموال الناس بالباطل محرم في كل رسالة وعلى يد كل رسول.

وأقرب النماذج لأجل أموال الناس بالباطل هو المعاملات الروبية وهو ما يأخذ رجال الكنيسة مقابل (صك الغفران) وهو الصد عن دين الله والوقوف في وجهه بالقوة وقتنة المؤمنين.
عن دينهم، وهو تعبيد العباد لله وإخضاعهم لأحكام وشروط لم ينزلها الله، فهذا كله ينطبق عليه، ولا يجوزون ما حرم الله ورسوله. وهذا كله قائم في أهل الكتاب، كما كان قائمًا يوم ذلك.

كذلك تصفهم الآية بأنه لا يدينون في الحق، وهذا واضح بما سبق بيانه، فليس بدين الحق أي اعتقاد بروبية أحد مع الله، كما أنه ليس بدين الحق التعامل بشرعية غير شرعية الله، وتلقى الأحكام من غير الله، والدينية لسلطان غير سلطان الله وهذا كله قائم في أهل الكتاب، كما كان قائمًا فيهم يوم ذلك.

والشرط الذي يشترطه البعض للكف عن قتالهم ليس أن يسلموا فلا أكره في الدين، ولكن أن يعطوا الجزية عن يد وهم صغيرون، فما حكمة هذا الشرط، ولماذا كانت هذه هي الفائدة التي ينتهي عنها القتال؟ إن أهل الكتاب بصفاتهم تلك حرب على دين الله اعتقادًا وسلوكًا. كما أنهم حرب على المجتمع المسلم، حكم طبيعة التعارض والتصادم الذاتيين بين منهج الله ومنهج الجاهلية المتمثلة في عقيدة أهل الكتاب وواقعهم وفق ما تصوره هذه الآيات - كما أن الواقع التاريخي قد أثبت حقيقة التعارض وطبيعة التصادم وعدم إمكان التعايش بين المهجين، وذلك بوقف أهل الكتاب في وجه دين الله، فإنه يعلن الحرب عليه وعلى أهله بلا هوية خلال الفترة السابقة لنزول هذه الآية وخلال الفترة اللاحقة لها.
يُعلم: بوصفه دين الحق الوحيد القائم في الأرض، لا بد أن ينطلق لإزالة العوائق المادية من وجهه، وتحرير الإنسان من الدينية بغير دين الحق، على أن يدع لكل فرد حرية الاختيار بلا إكراه منه ولا من تلك العوائق المادية كذلك.

وإذن فالوسيلة العملية لضمان إزالة العوائق المادية، وعدم الإكراه على اعتناق الإسلام في الوقت نفسه، هي كسر شوكة السلطات القائمة على غير دين الحق، حتى تستسلم، وتعليم استسلامها بقبول إعطاء الجزية فعلاً. وعندما تم عملية التحري فعلاً، لضمان الحريّة لكل فرد أن يختار دين الحق عن اقتراح، فإن لم يتّبع بقي على عقيدته، وأعطى الجزية تحقّق عدة أهداف:

أولاً: أن يعلن بإعطائها استسلامه وعدم مقاومته بالقوة المادية للدعوة على دين الله الحق.

وثانياً: أن يساهم في نفقات الدفاع عن نفسه وماله وعرشه وحرومه التي يكملها الإسلام لأهل الجماهير، الذين يؤدون الجزية فيصبحون في دما المسلمين وضماناتهم، ويدفع عنها من يريد الإعفاء.

عليها من الداخل أو من الخارج، بالجماعات من المسلمين.

وثالثاً: المساهمة في بيت مال المسلمين الذي يضمن الكفاية والإعاقة لكل عجز عن العمل، بما في ذلك أهل الجماهير، فلا تفرّقة بينهم وبين المسلمين، وإنما الرعاية.

ومفهوم قوله تعالى: "حتى يعطوا الجزية" في تأويلان أحدهما: حتى يدفعوا الجزية، والثاني:

حتى يضمنوا لأن يضحى بذل الكف عنهم.

في الجزية تأويلان:

أوهمها: أنها من الأسماء الجميلة التي لا تعرف منها ما أريد بها إلا أن يرد بعوان.

1 في تفسير الطالب للشيئي سيد قطب، ص. 3، ص. 1631-1322.
فقد حصل مثالاً أن أمر أبو عبيدة برد أموال الجزية لجميع مدن الشام حين علم أن الروم حشدوا جيوشهم على حدود الدولة الإسلامية في الشمال، وذلك خشية أن لا يستطيع الدفاع عنها، وفي كتاب لأمراء الأجناد تفضيل هذا الأمر طلب إليهم أن يقولوا لهم: إنما ردنا عليهم أموالكم لأننا قد بلغنا ما جمع لنا من الجمع ونكرك استرطط علينا أن نمنعكم ونحن لا نقدر على ذلك، وقد ردنا عليهم أموالهم بالفعل وكان من نتيجة ذلك موقف رائع يذكر التاريخ، فقد قال لهم أهل هذه المدن من الدوسر: رذكم الله علينا ونصركم عليهم (أي الروم) وهم على دينهم، فلو كانوا لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي لنا كما حصل أن رد صالح الدين الجزية

13

انظر الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المالوري

الطبعة الأولى ص 142 - 143
إلى صوار الشام حين اضطر إلى الانسحاب منها، وتكرر نفس التقدير الذي ظهر لدى الذين أقام
أبي عبيدة حين لَبَسَ صلاح الدين.
وعلق آراؤه على ذلك في كتاب (الدعوة إلى الإسلام) بقوله: لقد سكوا إلى الحكم الإسلامي ودعوا مستبدين، كما استمر الحكام المسلمين على عاداتهم القديمة من النساح وعِمة الصدر لأهل الملّة الأخرى.
وإذن فإن الجزية تم الحماية، وهي لا تعادل إلا مقداراً بسيطاً محاكاةً لما كان يدفعه المسلم من تكاليف مالية كالزكاة والعشور وغيرها. والجزاء ليست من مبتداعات الإسلام، وإنما هو نوع من المعاملة بالمثل، فقد كانت موجودة لدى الأمم الساكنة كاليونان والرومان والفرس، وحين طبقها الإسلام طبقها على صورة لم يعدها مجتمع من المساحة والعدل ومراعاة الفروض والأحوال.
وقد حفظ الإسلام للذين احترموه في مراة عباداتهم وعقائدهم، وسمح لهم بأن يبقوا بكل ما يتعامه به المسلمون من حقوق التجارة والكسب والعمل والتمernal حتى أنهم يتعون بكثير مما لا يحق للمسلم أن يتعوهم، فمعظم الفقهاء يبيحون للنصارى تعاطيه الحمر والخنازير والتجارة فيها إذا كانت غير موجبة في دينهم، بينما لا يباح للمسلم أن يتعاطى هذه الأعمال.
فظم الدمى وماله مصوناً، وحرمه وكرهته محترمان، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا في أحاديث عدة منها: "من أدى ذمياً فأنى خصمه يوم القيامة ومن خاصصه في قربته."
"كأن الخليفة عمر كان يسأل عماله الأول ما يسأله عن أحوال أهل الدنيا.
ولعلنا نذكر جميعًا كيف أمر عمر بن الخطاب بضرب ابن وايل مصر عربو بن فصر لأنه أساء إلى ذمياً، ثم قال قوله الجالدي: "متى استبعدتم الناس وقد ولدتكم أمهاتهم أحراً؟"
وقد جاء في عهد الأثمان لمصر على لسان عمرو بن العاص، أنه أعطاه الأمن على أنفسهم وملتهم وأملاهم وكاتبهم وصلبهم، وهرهم ويجهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينقض، ومن دخل في صلحهم من الروم والندوب فله مثل مالهم وعليهم مثل ما عليهم، ومن أبقى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا، ومن بقي لا يمنع من تجارة صادرة أو وارد.

وبلغ من رعاية الدولة الإسلامية لأهل الدنيا أنها كانت تعرض لهم من بيت مال المسلمين إذا كانوا في حالة لا يكسبون بها، وكان هذا يدخل في عهد الدنيا أحياناً، فقد جاء في عهد خالد لأهل الخيره: "وجدتم لهم آثار شيء ضعف من العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافصروا أهل دينه يتصدرون عليه، طرحتم جزئه وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ما أقاموا بدار الإسلام.

وقد ذكر الإمام الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية الشروط المستحقة في عقد الجزية وهي:

1- أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بطلبه فيه ولا تخوف له.
2- أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنكذبه ولا ازدراؤه.
3- أن لا يذكروا دين الإسلام بذلمه ولا قرح فيه.
4- أن لا يصبروا مسلمًا ولا باسم نكاح.
5- أن لا يذكروا مسلمًا عن دينه ولا يعرضوا ماله ولا لديه.
6- أن لا يثبتوا أهل الحرب ولا يودوا أغنياءهم.
هذه السنة حقوق ملزمة، قتازهم بغير شرط وإنما تشتطر أشعارًا لهم وتأكيدًا لتغطى
العهد عليهم ويكون ارتكابها بعد الشرط قضاً لمهدهم.
وهناك شروط مستحقة قد ذكرها الفقهاء أيضاً وهذه الشروط لا يلزم بعقد الذمة حتى
تسترط قصير بالشرط ملزمة لا يكون ارتكابها بعد الشرط قضاً لمهدهم. ولا أرى ضرورة في
الاستطراد إلى الخلافات الفقهية حول من تؤخذ منهم الجزية ومن لا تؤخذ منهم، ولا مقادير هذه
الجزاء، ولا عن طريق ربطها ومواضع هذا الرعت ذلك أن هذه القضية برضوة ليست معرضة علينا
اليوم كما كانت معرضة على عهد الفقهاء الذين أثروا فيها واجتهدوا بأيهم في وقتها يقول سيد
قطب رحمه الله حول هذا الموضوع ما نصه:
إنها قضية تعتبر اليوم "تاريخية" وليس واقعية، إن المسلمين اليوم لا يجاهدون !!! ذلك
أن المسلمين اليوم لا يجدون! إن قضية وجود الإسلام وجود المسلمين هي التي تحتاج اليوم إلى
علاج.
والمنهج الإسلامي - كما قلنا من قبل مرايا - منهج واقعي جاد يأبى أن يناقش القضايا المتعلقة
في الفضاء، ويفرض أن يتغلب إلى مباحثات فقهية لا تطبق في عالم الواقع لأن الواقع لا يضمن مجتمعاً
مسلمًا تحكمه شريعة الله، وصرف حياة الفقه الإسلامي - ويتمقر الذين يشغلون أنفسهم ويشغلون
الناس بعده هذه المباحث في أقضية لا وجود لها بالفعل، ويسمىهم الأوروبين الذين يقولون: "أريد
نعمل على ما وقع لنا هو الحكم؟ "
إن نقطة البدء الآن هي نقطة البدء في أول عهد الناس رساله الإسلام، أن يوجد في بقعة من
الأرض ناس يدينون دين الحق، فيشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ومن ثم يدينون لله

81
وحده بالحاكمة والسلطان والتشريع وطبقاً بهذا في الواقع الحياة، ثم يحاولون أن ينطقوان في الأرض بهذا الإعلان العام لتحرير الإنسان. ويوميند - ويوميند فقط - سيكون هناك مجال تطبيق النصوص الفقهية والأحكام الإسلامية في مجال العلاقات بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات.
ويوميند - ويوميند فقط - يجعل الدخول في تلك المباحث الفقهية والأنشطة بـ "الأحكام، وال المواطنين للحالات الواقعة التي يواجهها الإسلام بالفعل لا في عالم النظريات".

***

1 انظر تفسير الأفعال ج 3 ص 1634 – 1645

82
الموامض:

1- سورة آل عمران آية 64

2- سورة آل عمران آية 18

3- انتظر معلوم الثقافة الإسلامية عبد الكريم عثمان طه الثالثة ص 223-232

4- انتظر تفسير القلال للشهيد سيد فطح 3 ص 1631-1632

5- انتظر الحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الطبعة الأولى ص 142-146

6- انتظر تفسير القلال ج 3 ص 1634-1645
المقالة السابعة

العلاقة الإسلامية-المسيحية

الحوارات بين المسلمين واليهود في فلسطين

د. محمد عبد القادر عابدين

المقدمة

هناك وضح مقلق، حيث ينظر بعض المسلمين إلى المسيحيين نظرة غير سلمية بعيدة.

والظلم والحنقد، أو - على أحسن ووجه - يتوجهون خيفة من حكم الإسلام وصحة المسلمين.

وأيضاً ينظر بعض المسلمين إلى المسيحيين نظرية غير سلمية أو جانبية للحق، مما يترك جرحًا نازفاً.

وبخاصة في فلسطين المحتلة.

ومع جانب آخر، هناك تركز الآخرون - على الخطابات الدينية والعقائدية - حيث تصبح نتائج في خانة مواجهة الدين على اعتبار أن ذلك مطلب للنظام العالمي الجديد، وأنه يمكن الدول المسيطرة من مواجهة التيار المدني (الإسلامي) الذي يقف في وجه الهيمنة العلمانية الاستعمارية الغربية والصهيونية.

* محاوار في جامعة القدس - القدس

85
هآتان نقتطان تقيدان إلى البحث في الحوار بين المسلمين والنصارى (الصليبيين) على وجه الخصوص، وهو أمر يلزم توضيح المقصود بالحوار، والبراءته، وأسسه، أهدافه، ومقاصده.

الحوار بين المسلمين والنصارى (الصليبيين)

الحوار في الإسلام مبدأ أصيل وليس مستحدثاً. وقد جاء في القرآن الكريم جملة أطروحة من الحوار، منها: الحوار بين الله تعالى وملاكك، ونبيك، ونبيه تعالى، وإليه، وكذلك الحوار بين الأنبياء وأقوامهم، ونبي، أصحاب الجنة، وأصحاب النار. والسيرة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم تبين أنه عليه الصلاة والسلام حاور قومه من المحاصرين والمعاندين ومنهم الوليد بن المغيرة، وأبو سنفان، وحاور عدي بن حاتم بعد إسلامه.

وفي كل الأحوال كان الحوار سبباً على المجادلة ومحاولة الإقناع، وليس على التهديد أو الإشاعة أو الفئة أو القمع. وقد أشار سعد الدين المولى ١ إلى أن الحوارات التي تلقاها القرآن الكريم تحمل في سياق مضامينها وأبعادها المعني التالية:

الاختلاف سنة إلهية. (وَلَكَ نَهْدُكُمُ الْهُدْيَةَ وَالْخِيرَاتَ ﴿۸﴾

الاختلاف رحمة للناس. (وَلَكِنَّ اللَّهُ ذُو فضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿۷﴾

١ ١٩٩٦، ص ٣٤٣٣
٢ المائدة، الآية ٤٨
٣ البقرة، الآية ٢٥٦
الاختلاف ركن المعرفة. (إِنَّ أُمَّتيَّاتُكُمْ إِنَّهاُنَّ خَلْقَتُكُمْ مِنْ تَمَارِعٍ وَخُطُّتُكُمْ شَعْوًا)

(4) الفطرة قبل الآخر وال الحوار معه. (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكُ لَآخَرُ مِنْ فِي الْأَرْضِ كَلِمَتُهُمْ جَمِيعًا، أُقِيِّضَتْ نُكْرُوَانَا جَمِيعًا بَكُونَا مُؤْمِنِينَ)

(5) الحكم الأخير هو الله عزّ وجلّ، والحقيقة ضالة المؤمن بأذى وجدها. (إِلَى اللَّهِ مَرْحَبُكُمْ جَمِيعًا، فَبِكُونُكُمْ بَعْضُكُمْ بِمَا كُتِّبَ لَكُم مِّنْ هَذِهِ الْكِتَابَفَ لَكُمْ مَا كُتِّبَ لَكُم مِّنْ هَذِهِ الْكِتَابَ) (بِالحَجَّةِ بَيْنَنَا وَبِكُونُنَا اللَّهُ يَجْعَلُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)

(6) شرط الحوار هو الإسلام لرب العالم، أي الوقوف على أرض واحدة. (فَلْيَا أَهْلُ الْكِتَابِ تَعَاوَّنُوا إِلَى كُلِّ مَشَارِقٍ بَيْنَنَا وَبِكُونُنَا)

وحقيقة الحوار أنه فعل أو عملية تتطلب ووجود طرفين أو أكثر - بحيث يسمي كل طرف استعداداً نفسياً وذهنياً لها. فلا يمكن أن يتأنى الحوار نتيجة ضغط أو دافع إجباري، أو أن يكون إملاءً فعلياً من القوي على الضعيف، أو أن يكون مجرد رد فعل على اتهامات أو متغيرات متعددة.

---

1. الحجرات، الآية 13
2. يونس، الآية 99
3. البقرة، الآية 48
4. الحج، الآيات 68-69
5. الشعرى، الآية 15
6. آل عمران، الآية 14
وحيّة تحدث عن الحوار الإسلامي-المسيحي في فلسطين، فهل يوفر الاستعداد النفسي
والذيني له؟ أما أنه يجري امتداد لرغبات الغرب، أو محاولة لدرجة محاجزة الانتماء بالطرف والعداء
للآخرين، أو جريا وراء "الوضعية" في البحث عن حوار الحضارات والأديان وأكشاف "الدين
الإبراهيمي المشتركة؟

يلاحظ أن الحوار المقترح أو المنادي به فلسطينيا لم يייצِّل من دائرة الصراع بين الغرب
والإسلام، ولا من دائرة التوجيه الفاتيكان، ولا من دائرة الحواف من سيطرة الآخرين، ما جعله
غامض الأهداف، بل ومُعرّضًا للفشل.

فالغرب -وهو يَخْلُصَه من عدوي الشيوعي- يتخذه من الإسلام عدوًا، ويسعى إلى
تحطيم المسلمين، ومحاصرة العرب منهم، بشري الوسائل. وهاكم ما يحصل في فلسطين والعراق وليبيا
والسودان وأنغولا وغيرها، وما نادي به الأمركي صموئيل هنتنفون في كتابه "صراع
الحضارات" شاهد على ذلك. وإن الغرب يسعى لترسيخ العداء مع المسلمين ليعطي لنفسه المبرر
لتطبيق سياسته الجزائرية بوجه الشعوب العربية والإسلامية وتحقيق رغبته المجاعة بفرض سيطرته
عليهم. والغرب المسيحي، ومحاصرة الأمركي الإنجيلي، يقف إلى جانب دولة "إسرائيل" ويدعو إلى
dعمها وتأييدها من منطلق ديني ذي تفسير مربح لمبادئ في الكتاب المقدس، بل إن استحلال
اليهود القدص وهجريهم إليها مشروع غريب بروستاني، والفاتيكان كان يقيم نظرته -إلى عهد
قريب- على أن انتشار الإسلام خطأ على الكنيسة، وأن الصحوة الإسلامية العالمية كارثة لا يُقَال
خطرا على الشيوعية. علاوة على أنه خطأ غريباً مسيحياً للإسلام متصلاً في التاريخ في
التراث النصراني الذي نظر إلى الإسلام على أنه حركة "مؤقتة" (السماك، ١٩٩٨ م؛ وآمن وعمرة،
الكتب المقدسة، إذ اقتُلع من العهد القديم عبرات ومضار يخدم اليهود وحقق مآرهم.
"وإن المسلمين لم يアクوا من العالم المسيحي [الغربي] سوى القليل من العاطفة والودّ...
وإن الغربيين، وهم العلماء والمختصين، أظهروا شغفًا وتفهماً لكل ما يتعلق بأهداف دراستهم,
ولكن تقهم للإنسان وتقظفهم معه كان أقلّ... وهذا ما يأخذه المسلمون عليهم في أمانتهم هذه.
وفي أكثر الأحيان، عرف المسلمون العالم الغربي من خلال الأنظمة الاستعمارية. وابحثت
يجب أن نعي بكلّ موضوعية أن المسيحيين لم يحققوا بعد كمجتمع عديد الشرط الأول والأهم الذي
يؤهم لأن يكون موجودين وحاضرين في العالم المسلم كنا هو حققه.***
إن الحوار المشدد، كما يحدّده طارق البشيسي (1997) ليس مجرد كتاب أو كتابة بين
الأطراف المتحارة، وإنما هو أيضًا ممارسة من خلال الاعتراف ب Guinea كل طرف في الوجود والحياة
والمارسة، مما يتطلب أن تكون مواقف كل طرف نحو الآخر متينة على قناعات أصلية، وليس
مجرد دعاوى وافتراضات.
والعودة إلى واقع المسلمين والسياسيين في فلسطين نرى أن هناك خوفًا لدى المسيحيين من شعار
"الإسلام هو الحل" ومن الصحوة الإسلامية العالمية، وهو خوف لا مربر له. فحين ينادي المسلمون،

"(السماك، 1998، ص 5) نقل السماك عن دراسة لباب جوزيف كوك والأب لويس غارديه
في كتاب "من أجل حوار إسلامي مسيحي: موقف المسيحية من الإسلام كما صوره الفاتيكان"،
ترجمة سليم البيض وزيه مارديني، بيروت، دار الجديد، 1982، ص 1.31.

89
وهم السواد الأعظم في فلسطين. *** بأن يكون الإسلام هو الحل، فهذا لا يعني قط إكراه الناس حتى يكونوا مسلمين. لأن الحل في الإسلام هو ألا يكروك الناس حتى يكونوا مسلمين. إذا الشعار إقرار بأن الإسلام في عقيدته، ومهجه، ونشرته، ونظمه، وحلفظه للإنسان وكرامته وحقوقه هو القادر على إخراج الناس من العبودية الظلماء، ومن النكد والفساد والصراع الذي يعيشونه، ومن استبداد الإنسان بأخيه الإنسان إلى الحرية والعدالة والكرامة والأمن والسلام. ورفع هذا الشعار والدعوة إليه حق طبيعي مقدس لأنه يكفل للمسلمين والنصارى (المسيحيين) على حذ سوء - حقوقهم الإنسانية والدينية والدنونية. وفي ظل هذا الشعار ينادي بقوة عالى: (إذا أتيت الناس احتذروا، ركوب الذي خلفكم والذين من فلككم لحكمكم تعلمون) 1، ويقوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا ونبينكما ألا تغلب إلا الله ولا تشرك به شيئاً وليتجرد بعضكم بعضًا أربعاً من دون الله) 2.

واو إن رفع شعار "الإسلام هو الحل" هو إقرار من يرفعوه بأنهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والسالة. وليس دعوة منهم إلى اضطهاد غيرهم أو ظلمهم. وحين يفهم الآخرون هذا الشعار على أنه دعوة للشعوب والبلاد الإسلامية للخروج عن الارادة الغربية وتهدئة مصالحها فذلك كبار أو استبشار وظلم وجهان منهم.

وما دام الأمر كذلك، أي: ما دام المسلمون في فلسطين يرفعون شعار "الإسلام هو الحل"، فعلام الحوار كيقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين (1996، ص 15) في شأن الحوار:

*** يعتقد أن نسبة السكان المسلمين إلى المسيحيين في فلسطين هي (19 : 1). ومن الغريب أن دائرة الإحصاء المركزية الفلسطينية قد تجاهلتها متغيرات الدينية في تعدادها السكاني الذي أجرته عام 1997، ولم يتم الإشارة إليه حتى ا⁸حدهما، في حين ا⁸تبت بمثلهم كثيرة نحو المهنة، والإعاقة، ونوع السكن، وعدد الغرف، والدخل، وعدد أفراح الأسرة، ... الخ.

1 البقرة، الآية 27
2 آل عمران، الآية 64
"الإسلام عالمٌ فقهيُّ لأتباعه، والمسيحية عالمٌ فقهيُّ لأتباعها. وإن الإسلام يميز عن أي دين آخر بعقيدة تتضمن مفهومًا معيناً للكون والحياة والإنسان، وشريعة تعكس العقيدة في علاقات الإنسان وضرورة حياة أخلاقية تتجاوز الشرعية إلى مساؤات في السلوك أعلى مما تقضيه حرفية السلوك. والإسلام بما هو عالمًا فقهيًا، يصوغ شخصيات أتباعه وفقًا لعقيدة وشرعية ومعايير السلوك الأخلاقيَّة فيها. وبين الإسلام والمسيحية مواعيْن اختلاف في العقيدة لا يمكن تجاوزهما، ولست موضع بحث ولا موضوع جدل في الإسلام، كما أنها ليست موضوعًا للإسهام، فإن الإسهام الإسلامي إنما هو في حقل الأحكام الشرعية لا في المقدمات. وبين الإسلام والمسيحية مواعيْن اختلاف في الشرعية لا يمكن تجاوزها، ولا يمكن أن تكون موضوعًاً للمناقشة لغاية تدبيدها لأنها من ثوابات الشرعية. أما ما ليس على هذا المستوى من الثواب في الشرعية من الأحكام والقضايا فهو موضوع للإسهام، ولكن ليس لأي إسهام كان، وإنما للإسهام من داخل الإسلام، وفقًا لأصول الإسهام المرعية عند الفقهاء منذ أقدم العصور الإسلامية.

وعليه، فليس المقصود من الحوار أن يُتم تقدير أحد الدينين من الداخل لبِحَد مع الآخر، ولا أن يصل المسلمون والمسيحيون إلى "دين إبراهيمي" أو "إيمان إبراهيمي"، إذ لا يمكن أن تكون العلاقة أو الحوار الإسلامي-المسيحي في فلسطين علاقة أو حوارًا بين دينين، بل هو حوار بين فهتين تعيشان معاً في بلد واحد، غابت عنه السيادة الإسلامية التي تكلف هم جميعًا حقَّ المواطنة- وكل منهم مطالب بأن يؤدي ما عليه من واجبات نحو دينه ووطنه وقومته وجيرانه، دون المساس بحقوق الآخرين، أو القروض بما عليه من واجبات في عاجل أمره أو أجله.
إن الحوار بين المسلمين والنصارى (المسيحيين) لا يمكن أن يكون عقائدياً - على الرغم من أن المسلمين مطالبون بدعوة الناس بالمعروف إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى والملائكة ورسله واليوم الآخر، وهي دعوة الأنباء جميعاً - ذلك أن هذا الحوار يواجه إشكاليتين يؤديان إلى الافتراق كلًّا على دينه.

الإشكالية الأولى: الاختلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام (أو لنقل ألوهيته). فالمسلمون يعتقدون أن المسيح عبد الله ورسوله وكلمه أُتِمَّها إلى مريم، وأن مثوله عند الله كمثل آدم، بينما النصارى -ثبأت بينهم- يعتقدون بألوهية بما يصفونه بالأقليد الثلاثة.

الإشكالية الثانية: الاختلاف حول نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فالمسلمون يعتقدون أن محمد عبد الله ورسوله وما بين النبي جاء مصدقًا بما سبقه من الأنباء والرسائل، بينما النصارى ينكرون نبوة عليه الصلاة والسلام. وأقسم ما أقر به النصارى ما جاء في الدستور العقدي للكنيسة اللاتينية من "أن المسلمين يتعون ملة إبراهيم، وعبدون معنا الإله الواحد الحني الفقي الرحيم ... وأن المسلمين هو أبناء إسماعيل، يتركون بأبيهم ويؤمنون بالله، وهم ليسوا غزاة عن الوحي الذي نزل على الأنبياء".

إذن، فالحوار مع النصارى في العقيدة غير مستحيل، وهذا ما أظهره هويدي (1994) في مراجعته لموقف علماء الأزهر الشريف حيال الحوار، بدليل قوله تعالى: (فَلْتَوَّلَّوا فَتَقُولُوا أَشْهَدْنَا بِأَنَا مُسْلِمُونَ)، بينما يمكن أن يكون الحوار في الأمور الدينية التي تتعلق بالمعاملات التي تدور في إطار

---

1 السماك، 1998، ص 42
التعابيش والبر الوجيبي في علاقة المسلمين بهم. والتحريج العقلية تدعم هذا التوجيه أيضاً، فقمة
نحاً عقديًّا حققيًّا بين الإسلام والمسيحية، والتفاوض فيها يؤدي إلى التحرير، إذ القرآن الكريم
ينص على كفر من قال بالوثبت ومن لم يؤمن صلى الله عليه وسلم، بينما يرفض النصارى تهم
التكرير والشرك وتحريف الإنجيل.

ومن هذا التوجيه لا يتوافق أن النصارى أنفسهم يرفضون أن تكون العلاقة معهم
على أساس عقديًّا. يقول المطران كيرلس بيترس "إن العلاقات بين المسيحية والإسلام لا يمكن أن
تبنى اليوم في المستقبل على أساس ما ورد في القرآن الكريم. فالسماحة اليوم ليست النصانية التي
تاقاه القرآن، والنصائي اليوم ليسوا أهل كتاب وحسب، كما يرد ذكرهم في القرآن، وتعاليهم
ليست العامل الذي يكثره القرآن. هذا ما يجب تأكيده بكل جرأة وصراحة، وذلك ليس من باب
المساءلة بل من باب الأمانة الحقيقية." وتابع المطران بيترس قائلاً: "فالسماح يتساءلون: كيف
يدخلون في حوار ديني مع مسلمين يعتبرونهم كفرة؟ والمسلمون يؤمنون من جهة أن القرآن كلام الله,
وبردون من جهة أخرى الدخول في حوار ديني مع المسلمين، ولا يعرفون السبيل إلى ذلك.
والطريق الوحيد لحل هذه المشكلة هو الإقرار بأن ما ورد في القرآن حول إبان أهل الكتاب
النصاري لا يعتبر التمييز الصحيح عن الإبان المسيحي الذي يصفه المسيحيون اليوم.

وهكذا، فالحوار في العقيدة مع النصارى يقود إلى سأرقاً، إذ لا يمكن مطالبة المسلمين
بتناخي عن معتقداتهم وما ورد في القرآن، ولا إبانا مسلمين، كما أن النصارى لن يخرجوا من
نصوصهم ولا يطلبون بذلك كسر الحوار، ولاكانوا مسلمين.

١٩٩٤، ص ٢٢٥
ومهما يكن من أمر الحوار الإسلامي-المسيحي في فلسطين في جانبه العقدي، فإن لكل واحد من الدينين: الإسلام وال kristية جمال حلف من خلافهما:

الجالس الأول: العمل مع أتباعه والمؤمنين به في توجيههم، وتعليمهم، وتربيتهم وفقاً لصالحهم وأخلاقه

واخذهم بأحياء سننهم وتعطيم شعائرهم.

الجالس الثاني: العمل المشترك مع الطرف الآخر من خلال المساحات المشتركة بين الإسلام والكristية. بحيث تتوجه الجهود نحو إنقاذ الإنسان الذي ضل طريقه وكاد يفقد إنسانيته، فوقع في الرذيلة والدمار، واعتد على الدين، والنفس، والممل، والنسل.

ويقول العلماء إن واجب المسلم الصادق بالحق ودعوكل بنى الإنسان للإنسان والتوحيد بالحكمة والموظعة الحسنة والحادلة بما هي أحسن، لإقامة الحجة عليهم دون محاسبتهم على اختيارهم الذي ورده الله عز وجل العالم.

وهذا يسأل صاحبنا: وماذا حين يبقى غير المسلم على دينه، وبخاصية النصارى على نصائبه؟ هل يعانيون ألم يتىعون؟ وإذا الجواب على اختصار هو قوله تعالى: (لا تهلك الله عمّ النّاس ولا يكلفون في الدين ولا يخرجوك من دينك أن تموك وتقطعوا أبدًا إلّى الله) إلّا أن الله سبحانه وتعالى لم يقل في الدين، ولم يخرجوك في الدين. إنما تهلك الله عمّ النّاس، الله يكلفون في الدين، وأخرجوكم من دينك في كلها. وظاهره على إخراجكم أن تولّؤم، ونس بدنكم نأولك نس في الطLeaks). ولل salarié صلى الله عليه وسلم قد عقد حلفاً (وتوقيف مدينية) مع اليهود في المدينة المنورة لحمايته وتوزيب أوضاعه رغم بقاهم على دينهم.

المتحدثة، الأثيوان 9-8

94
والخلاصة أن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين اليوم تقوم على أن كلهما مواطن في فلسطين. وحيث إن فلسطين الآن معترف عليها، وتحتفل، ومهددة في مقدّساتها من قبل طرف ثالث، فإن المطلوب من الطرفين التعاون للوقوف في وجه المعادي، ورد الحق لآخريهم، ولترتيب أوضاعهم المدنية والدينية دون إجتاح حقوق الآخرين، أو محاولة لاحتلالهم. وبالنسبة للمسيحيين الفلسطينيين، فلا بد من وقفة حاسمة حول العلاقة مع الغرب في مواجهة الكيان السياسي اليهودي في فلسطين، إذ إن مواجهته بل إزالتها "لا تنوي إلا بإزالة الكيان من عقول الغربيين ومن عواطفهم، لأن الدول الكبرى، وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا، مميتة بهذا الكيان. ويعيب على العرب مقاومة اتخاذ الدول العرف المبين والسمن بالسن، فلا ينبغي الأعملية عسل أديمة الغربيين من الأباطيل التي حشها في اليهودية الحقيقية."

وبناءً على ما مضى، يمكن تحديد الأهداف التالية للمعلاقين الإسلامية المسيحية في فلسطين:

1. إبزز المساحات المشتركة بين المسلمين والمسيحيين في الإحياء وفي الأخلاق والتسامح.
2. تعميق المساحات المشتركة للطرفين في مجالات الحياة الدينية اجتماعياً واقتصادياً وصحياً.
3. تعميقمقاطع العمل المشترك والتعاون في النوايا والجماعيات ومؤسسات التعليم والصحة.

الخلاصة والمسيح الفيالي الأخلاقي في المجتمع.

1 الهزيمة، 1997، ص 207
4. المحافظة على الوجود المشترك في الديانة المقدسة، وعلى أملاك ومقدسات كل طرف فيها.

5. منع وقوع خلافات بين المسلمين والسيكوسين، وحل أي أزمة متزايدة في الأصول الدينية والاجتماعية جدًا عن اللجوء إلى الغرب مملًّ في مؤسساته الدينية (الفايتاكان)، ومؤسساته السياسية، بحيث تقصد الأبواب في وجه الفن والصراعات الدينية (الطائفية).

وكي تكون تلك العلاقة صادقة، يكون الحوار جديًا، فلا بد من أن تقوم على قاعدة حسن النية، والصورة الذهنية والنفسية، والثقة المتبادلة، بعيدًا عن سوء الظن، وعن حملات الشهير المزعج، والاتهامات الباطلة، والأرواح الصدئة، ومحاولات الاستدراج والتمسق وراء اختلافات عقدية أو موضوعات فرعية جزئية. إنه من الصعب أن يضع كل في ذره أهدافًا غير معلنة للحوار بحيث يتم توظيفه أو توجيهه على نحو غير صادق، كان يقصد منه استدراج المسلمين، وإثارة الشك لديهم، أو إشعالهم في قضايا فرعية جزئية كحقوق المرأة، وتحديد الرسول، ونظرة الدين إلى السلام، أو الخفيف من أزمة الضمير بفعل ما سببته الاستشراق والاستعمار والحروب الصليبية، أو كأرضي بين المسيحية العربية والحركة الصهيونية.

إن النتائج المرجوة من الحوار الإسلامي-المسيحي في فلسطين هي:

- تعزز فهم كل طرف لآخر، بحيث يزول الخوف من شعار "الإسلام هو الخلل" أو الشعور بالأقلية لدى المسيحيين، وتوقف الربط الإشراطي بين المسيحيين الفلسطينيين والعرب الغربي المسيحي لدى المسلمين.

- إزالة شبهات الصراع الديني الذي يُروج له ويتوجه أعداء الطرفين، بحيث تعالج أية خلافات دينية محلية بين الطرفين وفقًا لطبيعتهما وليس باعتبارها خلافات دينية.
تعزز روح الإتحاد والعمل المجتمعي والوطني المشترك بين الطرفين، خاصة وأن معاناتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية تكون مشتركة.

حماية المسيحيين من حالات التوقيع والانعزال والسلبية، ومن تيار الهجرة إلى الخارج، ومن تيار الأجرار وراء ضلالات الصراع بين الغرب المسيحي والمسلمين التي تشكل كلها ردود فعل حالات خوف.

وما توفرني إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنتُ، وإليه المصير، والحمد لله رب العالمين.

********************************************
المراجع:


98


المقالة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المواطنة في الدولة الإسلامية

الشيخ حسن يوسف

عطاءً على ما سبق إنا لا نتكرر لوجود الفيبر ولا نسعى لإخفائه وتهميشه، بل نقر بواقعته ونذهب أبعد من ذلك إنا ننظر إليه الشروك الكامل في الحديث وحركة الحياة، كي يسفاد منه ويسطع في مجالات الخيرة والخصوص والإبداع إلى غير ذلك من المجالات المختلفة. والإطار العام الذي يكشف هذا الأمر ووضحه ما قاله الرسول الكريم ﷺ عن جميع أهل الكتب الذين يعيشون بين ظهورنا "له ما لنا وعلىهم ما علينا".

إن هذا حقوق المواطنة الكاملة دونا نقص، فليس من الحقوق ما لأي مسلم، وعليهم من الواجبات ما على المسلمين من واجبات. فهي ليست مدة يفضلها من يشاء وقت ما شاء بل هي حق وواجبا، وهذا ما صدقه الواقع ولا يزال يصدقه. إننا لا ننظر لأهل الكتب أنهم مواطنون من الدرجة الثانية أو الثالثة أو ما هو دون ذلك، إنهم مواطنون من الدرجة الأولى ليس إلا، والأبواب...
مفتوحة أمامهم على مصاعرها وتكافؤ الفرص مشرعة لهم كذلك، والارتفاع في الواقع هي منحة
لحمل بقدر ما تحتوي أوضاعهم للدرب فيها.

وهذه الأمر نابع من معايير وقيم العدل والمساواة التي يجذرها الإسلام في قلوب وضمائر
وحياة الأمة على كل صعيد وفي كل زمان ومكان. وإن كرامة الإنسان في الإسلام هي معيار
أساسي في النظرة الإسلامية للإنسان كإنسان. وبغض النظر عن دينه ولونه وجنسه وعرقه وغير
ذلك من الوعود الأخرى.

وبما أن هذه هي نظرة الإسلام لأهل الكتاب. وكومن التنصاريهم الأقرب، فنذكر أن
هذا المواطن كي يكون منتجاً وواضحاً، فلي يؤدي ما عليه من واجبات وتدعيم له حقوقه الكاملة
وغير المتكئة، فقد أعطا الإسلام حق أن يحافظ على دمه وعرضه وممتلكاته، وأن لا تنتهك
حرياته بل وتصان، والدفاع عنه من كل عدوان غادر، وتجرب كل ما يعج صدورهم أو يؤديهم
في أنفسهم أو أهلهم وذريتهم.

إن أهل الكتاب كمواطنين في ظل الدولة الإسلامية - ويعيشون بين ظهري المجتمع المسلم
بالإلهيم وآلههم، أتزاحوا وأفراحوا في أن واحد لهم وضمهم الخصوصي، فإنهم nipples ما يكون المحكم
ذاتي في ظل دولة الإسلام تقيمون طقوسهم ومعتقداتهم ومناسكهم وفق معتقداتهم دونا اعتراض
لا من الحاكم ولا المحكوم. وبق الإسلام واقعهم الثقافي والحيائي دونا إكراه أو حتى مجرد سخرية أو
استهاء. والمسلمين كلهم - على مستوى الحاكم والمحكوم - هم في هذا الأمر سواء ويتطلب هذا
الأمر أن يعطوا ولاء ووفاء لدولة الإسلام، والالتزام بالسياسات العامة المرسومة للدولة المسلمة التي
يخصها لكل رعايا الدولة المسلمين وغير المسلمين على حد سواء.
وفي تدريباً أن أهل الكتب لم يجدوا من العناية والرعاية والحماية ما وجدوها في ظل دولة الإسلام، وشهادة مؤرخين وكابهم من مشاه وطواب مختلف.

وهذا ترتون يقول "فقد كان أهل الزمة المسيحيون والزوار والوثنيون واليهود والصابرين يسمعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا جد لها نظرة في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فقلنا أحوراً في محاولة شعائر دينهم واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، (ووضيف) وكنا

"يسمون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاءهم وقوانينهم.

"وعترف ترتون، بتسامح الحكام المسلمين وليس أدل على ذلك من كثرة استحداث الكبائر وبوت العبادة في المدن العربية الخالصة، ولم تُحلك دواوين الدولة فقط من العمليات النصاري واليهود بل أنهم كانوا يسكونون في بعض الأحيان أرفع المناصب وأخطرها فاكتورن النزوات الضخمة.

وكتأوا لهم الأموال الطائلة كما اعتاد المسلمون المساهمة في الأعياد المسيحية.

فهذا دليل قاطع على أن أهل الكتب هم مواطنون بنفس الدرجة كما هو الحال بالنسبة للمسلمين، وفي مجال الأمور الحياتية من حرية العمل والكتب ومزاولة ما يحتواه من المهنة الحرة، وبباشرة ما يجده من ألوان النشاط الاقتصادي شابهم في ذلك شأن المسلمين.

"وقد قرر الفقهاء المسلمون أن أهل الزمة في البيع والتجارة وسائر العقود والمصابلات المالية كالمسلمين وليستنا من ذلك إلا عهد الدنيا فإنه حرم عليهم كالمسلمين" كما يمنع أهل الزمة من بيع الحنون والخلاير في أمور المسلمين.

---

1. قصة الحضارة دول دوارات ج 12 ص 131
2. أهل الزمة في الإسلام ص 170
3. غير المسلمين في المجتمع المسلم د. يوسف القرضاوي ص 212-21
قال آدم ميتر، وليكن في التشريع الإسلامي ما يلغي دون أهل الذمة أي باع من أبوب الأعمال وكانت قد حملتهم راسخة في الصنائع التي تدر الأرباح الوفيرة، فكانوا صيامًا، وتحرب، وأصحاب ضياع، وأطباء، بل إن أهل الذمة نظرو أنفسهم بحيث كان معظم الصوبية الجاهدة في الشام مثلًا، هودا، على حين كان أكثر الأطباء والكتب نصارى، وكان رئيس النصارى في بغداد وهو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود وجهادهم عندهم.'

وأما فيما يتعلق بتوظيف الدولة فألهل الكتاب الحق في تعيين ووظائف الدولة كالمسلمين إلا ما غلبت عليه الصيغة الدينية التبديلة كالمسلم، ورئاسة الدولة، والقيادة في الجيش والقضاء بين المسلمين. فالإمام والإخوة رئاسة عامة في الدين والدنيا، خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز أن يخلف النبي في ذلك إلا مسلم، ولا يعقل أن يفتح أحكام الإسلام وبراعها إلا مسلم، وقيادة الجيش ليست عملًا مدنياً صرفًا بل هي عمل من أعمال العبادة في الإسلام إذ الجهاد في قننة العبادات الإسلامية".

و ما عدا ذلك من وظائف الدولة يجوز إسناده إلى أهل الذمة، كالوزارة مثلًا، والحكم الإداري، وحق الانتخاب والترشيح في مجلس شورى الدولة، (البرلمانات أو مجالس الشعب والأمة)، والحكم المحلي من مجالس بلدية وقوية ومعايير خصمائية. إذا توفرت قيام شروط الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة. "فإن تمليك الوزارة في زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة منهم نصر بن هارون سنة 239 ه وعيسى بن نسطور سنة 280 ه".

---

1 الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري / آدم ميتر ج 1 ص 86
2 غير المسلمين في المجتمع المسلم، د. يوسف القرضاوي ص 23
3 غير المسلمين في المجتمع المسلم، د. يوسف القرضاوي ص 23
ويقول آدم متر في كتاب الحضارة الإسلامية: "من الأمور التي تجوب لها كثرة عدد العمال وكيار الموظفين والمتصريين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام. 1

"وآخر ما سجله التاريخ من ذلك ما سارت عليه الدولة العثمانية في عهدها الأخير حيث أصدر كبير من وظائفها الحامية والحساسة إلى رعاياءها من غير المسلمين، وجعلت أكثر سفرائها ووكالاتها في بلاد الأجانب من النصارى". 2

وأما أن الكابي كما أشرنا له حقوق المواطنة الكاملة، فإن الإسلام يدعو أبناء المجتمع المسلم إلى الحفاظ على روح هذه المواطنة بكل أمانة وصدق وهو نابع في الأساس من المبادئ الإسلامية التي تربت عليها أجيال الأمة فأصبحت نماذجًا هما دونا تكلف أو نفاق اجتماعي أو ما يسمى بمصطلح الاستهلاك الحلي.

وقد النزيم المجتمع المسلم بهذه الأخلاق، فشتهر أهل الدمة بكرامتهم وإنسانيتهم في ظل الإسلام وما قصة ابن عمرو بن العاص حينما تنبأت القطبية النصراني، إذادل واضح على ما نقول، فقد حكم عمرو بن الخطاب الخليفة الراشد رضي الله عنه أن يرد للقطبي اعتباره وكرامته فأمر بأن يعلم عمرو وإبنته علماً أن عمرو بن العاص رضي الله عنه وال مصر آنذاك لم يسيء إلى القطبية، ولكن تفسير عمر رضي الله عنه أن ابن عمرو لم يقم بذلك إلا لأنه استقوى بوضع أبيه، ثم

---

1 آدم متر. الحضارة الإسلامية ج1 ص 105
2 غير المسلمين في المجتمع المسلم د. يوسف القرضاوي ص 205
نظر عمر رضي الله عنه إلى والد عمرو بن العاص قائلاً: "يا عمرو، ما استهدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

"أجسال الوليد بن يزيد من كان يفبرض من الذين، وأرسلهم إلى الشام محقها، وغلب عنفعه وعامة المسلمين واستطاعوا ذلك منه، فلما جاء يزيد بن الوليد وردهم إلى وقبره استحسنه المسلمون.

وبعدهم من العدل وذكروه في مناقبه.

وهناك شاهد وأولاء بالآلاف لا مجاهدة خضرة وإنما للدليل من خلال ذكر القليل. على أنه حال طالما أن من له حق المواطنة التي كلفته لها الشريعة، فإن عليه واجب الأداء كي تكمل الدائرة، لأن الحق يقابل الواجب. فما هي واجبات أهل الكتاب في الدولة التي ترعاها وتسره على رعايتي وحريتهم وكرامتهم؟ وقد حددت الشريعة الإسلامية ثلاثة واجبات وهي:

1- أداء الجزية والحجز والضربة التجارية وهذه هي واجبات مالية.

2- التزام أحكام القانون الإسلامي في المعاملات المدنية وفنها.

3- احترام شعائر المسلمين ومشاركتهم.

أما أعلم أن كل واجب ما ذكرت بحاجة إلى توضيح ومجابهة إلى كاب كامل، كما وانني لا أريد أن يكون هناك تداخل في الأوراق مع الأخوة الذين كبدوا في هذه المناوين، ولكن هي إشارة سريعة طالما أن عوانى هذه الورقة هو "حقوق المواطنة لأهل الكاب".

----------
1 غير المسلمين في المجتمع المسلم، يوسف القرضاوي ص 27
2 فتوح البلدان للمؤرخ البلاذري ص 72-71
3 غير المسلمين في المجتمع المسلم، يوسف القرضاوي ص 31
ولكن مع ذلك لا بد من إعطاء صورة إجمالية ومحترفة عن مسألة الجزية التي يحظر
كبارهن فيها. فالجزية هي أشبه ما تكون بضربة تأخذه الدولة المسلمة من غير المسلمين من
أهل الكتب مقابل حمايتهم. وفي حالة أن أحداً منهم انتظم في صفوف قوة الحماية فستسقط عنه،
وهي لا تؤخذ من راهب ولا حبر ولا شيخاً متقدمًا في السن ولا إمرأة ولا ملزم لا يستطيع العمل،
وبعد كل هذا ما الذي تأخذه الدولة.

ثم أن المسلم في ظل دولة الإسلام كمواطن هو يدفع ما يقابل ذلك عن طريق الزكاة.
وهي أمر ملزم على من يستطيع وملك النصاب. وإن كان يعيش في ظل الدولة كمواطن تتوفر له كل
المزايا والظروف لماذا لا يساهم. ويشارك حتى يشعر بمباطنته؟

ثم نبحث في كل أرجاء المعمورة هل يوجد دولة في هذا العالم لا تأخذ من مواطنيها
نصبًا محددًا كحق لما عليهم وكي يشعر هذا المواطن أن عليه واجب لدولته التي ترعاه وتكفله
وتحميه وتقدم له الخدمات التي لا تتخطى على أحد يجب أن يؤده؟ وفي حالة عدم قيام الدولة بذلك
فسقط الجزية. وقال عمر بن الخطاب أمير المؤمنين "لا تضربوا على النساء والصابان".  
ويقول المؤرخ آدم ميرز "كان أهل النمة مجمع ما يتسعون به من تسامح المسلمين معهم ومن حمايتهم
لهم، يدفعون الجزية كل منهم بحسب مقداره، وكانت هذه الجزية أشبه بضربة الدفاع الوطني،
فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح، فلا يدفعها ذوو العاهات ولا المشردين وأهل
الصوام".  

*************

1 غير المسلمين في المجتمع المسلم، يوسف القرضاوي، ص 32
2 الحضارة الإسلامية، أم متين، ج 1، ص 36
وحدة الدين

"إن الدين عند الله الإسلام"

د. سعيد سليمان الفقي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبئاء وسيد المرسلين سيدنا محمد

وعلى الله وصحبه أجمعين.

لقد كانت بعثة سيدنا محصل صلى الله عليه وسلم تصححاً لمسار الحياة الدينية التي أسدها الهوى وأخ舸 بها المزاج الخاص، وتركته فيها تعاليم الله التي أوجها إلى أبنائه لسلك الناص على منوالها درب الحياة حتى يصلوا إلى يوم الحساب فقد حرفوا أتباع الأنبئاء وأخرجوا وبدوا وغيروا ونقصوا وزادوا. يقول الله تعالى: "قالت رسول الله في الله شك فاطر السماوات والأرض بعوك ليغفر لكم من ذنوبكم ويعفوك إلى أجل مسمى".  
من هنا يتبين أن موضوع رسالة النبي واحد فهمه رسول مبشر ومنذتون لذا يكونوا للناس حجة بعد ذلك، قال تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا

---

* رئيس دائرة الدعوة وأصول الدين - جامعة القدس

1 سورة إبراهيم آية 10
من بعد ما جاءهم العلم بنا بيهم ومن بكر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي الله ومن اتبعني وقل للذين أوتوا الكتب والأمر أن أسلمت فإن حاجوك فقل أسلمت فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنا عليك البلاء والله بصير بالعباد.

وقبل الحديث عن هذه الحقيقة "الدين واحد عند الله - وحده الدين" سوف أقوم بوضوح مفهوم الدين لغوا وارتباطه بالمفهوم الشرعي.

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن كلمة الدين تتخذ من فعل متعده بنفسه "داني" ومن فعل متعده باللام "دان له" ومن فعل متعده بالباء "دان به". ولكل حالة من تلك الحالات معان خاصة بها يكمن تلخيصها على النحو التالي:

الأولى

دان به دانيه وتعمي ملكه حكمه وساسة، ودوبره، وحاسبة، وقضي في شأنه وجازاه وكافه. وقد جاء في الحديث "الكيس من دان نفسه". ومنه: حكمه، وضبطها، وحاسبة والدين الحاكم الفاضلي.

الثانية

دان له وتعني أنه أطاع وخضع له فادينه هنا بمعنى الخضوع والطاعة والاستسلام والعبادة والورع، وذكرنا الله يصح أن تكون الحكم لله والخضوع له.

---

1 سورة آل عمران أية 19
2 الخريج الإمام أحمد بن حنبل في مسند ج 124 ص 435
дан بالشيء وتعني أنه أتخذه دينا ومذهباً أي اعتقده أو اعتاد عليه أو تخلقه فيه فادين هو المذهب أو الطرق التي يسير عليها المرء نظراً أو عملاً، فإنما هذا ديني وديني أي طبيعي ومنهجي في الحياة. وهذا فكمة الدين تشير إلى علاقة بين طرفيين بعمم أحدهما الآخر ويخصى له.

إذا وصف بها الطرف الأول كان خضوعاً وتفاقداً وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أورا وسلطاناً وحكماً. وإذا نظر إلى الربط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم للك علاقته أو المظهر الذي يعرف عنه المرء الذي يتميز بالأخلاق له. والفرق بين كلمة دين يفتح الدال وكسرها هو أن أحدهما وهو يفتح الدال يتضمن في الأصل الزاماً مالياً والآخر يكسر الدال يقتضي

إليزاماً أدباً، وجمع دين أدبان وجمع ديانة ديابات.

ولا يعني أن هذه المعاني جميعها متلازمًا فإن المعنى الثاني لازم للمعنى الأول والمعنى الثالث لازم للمعنين الأولين فكلمة دين تشير إلى علاقة ما بين طرفيين بعمم أحدهما الآخر ويخصى له بجمعها من الأفكار والمبادئ والشباخ الموحدة بهذا التنظيم وهذا الخصوص. على أن هناك معاني أخرى لكلمة دين تضمها هذه الحالات منها المكافأة والحساب والخدمة والقضاء والسياسة والقرض والملك والسلطان...الخ.

---

1 أنظر ابن منظور لسان العرب مادة دين و كذلك محمد مرتضى الزبيدي / تاج العروس
المعنى الإسلامي لخلاصة الدين

من الواضح أننا لو أضيفنا كلمة "الدين" إلى آية أمة أو شعب لأصبح المعنى الناتج من الجمع بين الدين والأمة هو "مجموعة من المعتقدات والمبادئ التي تدين بها تلك الأمة أو الشعب" وما يتزامن على اعتناق هذه المعتقدات من قضايا عملية درج العلماء على تسميته "الشريعة".

فإذا أضيفنا كلمة الدين إلى الإسلام، يصبح معنى الدين الإسلامي "علماً" على جميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم" من قضايا نظرية وعملية وكذلك لو أضيفنا هذه الكلمة إلى اليهود أو إلى النصارى أو إلى آمة من الأمة لأصبح المعنى يختلف عن معنى الدين الإسلامي وأعطي مجموعة من المبادئ والمبادئ والأمور العملية التي تتميز من آمن بهذا الدين أو ذاك.

وعن طريق الدين الإسلامية

هو ذلك المنهج الذي أنزله الله إلى عبادة عبر رسله وأنبيائه مشتملاً على العقائد والمعارف والأخلاق والأوامر واللواحي، ومهيمنة إصلاح الفرد وسياسة المجتمع وفق نظم معين حدد هذا الدين مساره. وقد أطلق القرآن على هذا الدين عدة عناوين سماه إسلاماً، وإيماناً، وحالة، وشريعة، فكل واحد من هذه الأسماء عالم على الدين كله ولكن اعتبارات مختلفة قادت باعتبار وجوب الاستسلام لتعاليمه والأخلاق له "إسلام"، ومن حيث التصديق بالله وما جاء من عند الله "أذان" واعتبار أن وكتب هو علامة وباعب رأ أن الله سنة وأبداء هو: "شريعة، فالإسلام والإيمان عنوان الدين كله. وكل منهما شامل للاعتقاد والقول والعامل والأخلاق وإطلاق

١ نحو ثقافة إسلامية لصيلة ص ٧٣ عمر سليمان الأشقر

١١٢
الإسلام على الدين كله فدل عليه قول الله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام" 1 - وإن الله واحد "إن الدين عند الله الإسلام" - وحده الدين. يمكننا توضح هذا المبدأ الراسخ في قلوب المؤمنين من خلال الحقائق التالية التي يبينها القرآن الكريم.

أول: إسلام الكون الله تعالى

قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأرْضَ مُتَّابِعَةً قَيْسًا عَنْ قَيْسٍ أَوْ كَرَّةً فَإِنَّهَا فِي الْأَرْضِ طَائِقَةٌ".

قد اقتاد الكون للانسان الإلهي واتصلت حقيقة الكون بخلقه اتصال الطاعة والاستسلام لله. وتضمن آية من سورة الشورى هذا الاستسلام والانقياد "نُكَادُ السَّمَوَاتُ وَالْأرْضُ لِسَبَحَانَهُ" يفنطرون من قوتهن وململكة يصبحون محمد ربه يستعفون من في الأرض.

إن السماوات الهائلة الضخمة التي تراها تعلو ولا نعلم عنها إلا جانباً سيراً... إن هذه السماوات تنظر من خشية الله وعظمة وعلوه ويشاقا من أجراب بعض أهل الأرض ونسائهم

عظمة الله التي يحسها ضمير الكون ونستشع ويكاد ينشق من أعلى مكان فيه. لم يبق في هذا الكون مستوراً على هذا الاستسلام لعظمة الله إلا الإنسان وهو في تعله هذا خاطب بلا إكراه لاناس الكون الذي خضع الله رب العالمين. فهو لا يملك أن يخرج عنه وهو أقل بكثير من كروسي صغير جداً في عجلة هذا الكون الهائلة والقوانين الكونية الكلية السومادية التي تسري عليه سواء رضي بها أو لم

---

1 سورة آل عمران
2 سورة فصلت أيه
3 سورة الشورى أيه

١١٣
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
فتلاشي آحاد الزمان وأعاد المكان وتغيير الأقوام، واختلاف اللغات، أما وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسول ووحدة الطبيعة التي تميزهم كأياباء، ووحدة الخلق الذي بمعهما ورسلهم. ووحدة الأتجاه الذي يدعوون إليه الخلق، يقول الله تعالى: "يا أيها الرسول كوا من الطبيبات وأعملوا صالحا إنما تعملون على أن هذه أسكنهم أمة واحدة وأنا ربي فأتيوني". قال ابن كثر في تفسيرها: دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، هذا قال: "أنا ربي فاعبدون". وقال تعالى: وما أرسانا من قبل من رسول إلا نوح، إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون. 

ووحدة دين الله لأنبيته تبدو جليا في غمود القرآن الكريم لها من عدة نواحي:

1- من ناحية موضوع المصدر
2- من ناحية موضوع الموضوع
3- من ناحية التسليم بالإسلام أو وحدة التسمية.

أما فيما يتعلق بوحدة المصدر: ففي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تنص على أن المصدر لكل رسائل الأنبياء هو الوحي من عند الله، يقول الله تعالى: "إنا أوجينا إليك كما أوجينا نوح والنبيين من بعد، وأوجينا إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وعيس وأيوب ويوسف وهرون وسلماني آدم وداود وزاورا".

---

1 سورة المؤمنون آية 52-51
2 سورة الأنبياء آية 25
3 سورة النساء آية 123

115
أيمن موكب واحد بتراءى على طريق التاريخ البشري الموصل ورسالة واحدة بهدي
واحد للإنذار والتنبيه، موكب واحد يضم هذه الصفة المختارة من البشر موكب من
الأنبياء لشتى الأقواق وكلهم نطق الوحي من الله.

أما فيما يتعلق بوحدة الموضوع: فالموضوع الذي جاء به الأنبياء والرسول هو موضوع
واحد يقول الله تعالى: "وأما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إلى أنه لا إله إلا أن
فاعدون".

وسورة الشعراء تعلق موضوعية رسالة الأنبياء جميعاً بأسلوب واحد يقول الله
تعالى: إذا قال لهم أخوهم نوح، "لا تنقون أنك رسل أمين فاتقوا الله وأطيعون".
"إذا قال لهم أخوهم عور، "لا تنقون أنك رسل أمين فاتقوا الله وأطيعون".
"إذا قال لهم أخوهم لوط، "لا تنقون أنك رسل أمين فاتقوا الله وأطيعون".
"إذا قال لهم شعيب، "لا تنقون أنك رسل أمين فاتقوا الله وأطيعون".
وقالها موسى لفرعون: "قل رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم مؤمنين".
وقالها عيسى للحواريين (... اتقوا الله إن كنتم مؤمنين).

وبهذه الوحدة موضوع رسالات الأنبياء جميعاً يوجه القرآن الكريم سؤالاً في سورة
الزخرف" وست من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن إله يعبدون".

1 سورة الأنياباء آية 25
2 سورة الشعراء آية 106-107
3 سورة الشعراء آية 44-44
4 سورة الشعراء آية 127
5 سورة البقرة آية 113
6 سورة الزخرف آية 45

116
وحول هذا السؤال يكون الجواب: إن التوحيد هو أساس دين الله الواحد من أقدم الرسل. وهذا الجواب قلله سيدنا عيسى يوم يجمع الله الرسل. قال لهم إلا ما أمرتي به أن اعبدوا الله.

وبالنسبة لوحدة النطق بالإسلام أو وحدة التسمية فإن الأنباء جميعاً قد أشاروا بأنهم على دين واحد هو دين الإسلام، ونظروا بهذه التسمية باللغة الصريح، وقال نوح عليه السلام: فإن تولين فما سألكم من أمر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين. وقال سيدنا إبراهيم: "قال أسلمنت لوب العالمين."

وصي بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني أن الله أصلحني لكم الدين فلا تزرن إلا وأتمنى مسلمين. وقد نفى القرآن الكريم في سورة آل عمران عن سيدنا إبراهيم أنه كان على ملة غير الإسلام قال تعالى: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصارياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين."

وكان سيدنا سليمان مسلمًا فقد قال وهو يعبد الله على ما آتاه من الملك والثروة "لا وعُننا العلم من قبلها وعنا مسلمين."

وعلى درب الموكب الموحد المسلم الموكب الذي تحمل الأمانة الكبرى، نصح سيدنا موسى قومه: "وقال موسى يا قوم إن كنت آمنت بِالله فعليك أن تكلموا إن كنت مسلمين."

---

1 سورة يونس آية 72
2 سورة البقرة آية 131-132
3 سورة آل عمران آية 67
4 سورة النمل آية 42
5 سورة يونس آية 84
وعلى العهد واليثاب الذي وفِي به الأنبياء السابقون كان سيدنا عيسى يدعو حواريهم إلى الإسلام فقد قال لحواريهم "فَلَمَّا أَحْسَسَ عَيْسِيَ مِنْهُمْ أُكْفِرَ قَالَ مِنْ أَنصَارِي إِلَى الْحَوَارِيْنَ: "هَيْنَّا أَيْنَ بِلَاءَّ، وَأَمَامَ أَيْنَ بِلَاءَّ مُسْلِمُونَ".

وإذا كان الأنبياء والمشركون قد نطقوا بالإسلام دينا اعتراها منهم بحجة الله التي وهبها لآخرين ونا اختصوا به من نشر دين الله الذي ينسجم مع الكون في التسليم لجلال الله وإسلام الوهج لكبرياته فإن الله ملكه وإلهه الأول العالم كذلك يشهدون أن الدين عند الله الإسلام.

قال ابن كثير في توجيه قراءة: أن الدين عند الله الإسلام فتحه همزة "أن" ذكر ابن جرير: إن ابن عباس قرأ: "شهد الله أنه لا إلا هو والمملكة وأولوا العلم قائما بالقبض لاألا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الإسلام بكسر " إنه" ففتح "أن" الدين عند الله الإسلام، أي: شهد هو المملكة وأولا العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام.

أما الجمهور فقد قرأوا "إن" بالكسر على الخبر فكيكون معنى الآية على هذه القراءة المشهورة: إن الله يخبر بأنه لا دين عند الله إلا دين عباده من أحد سوا الإسلام وهو أتباع الرسل فيما بعثه الله به في كل حين حتى ختموا بحمد صلى الله عليه وسلم فمن قرأ الله بعد بعثه محمد صلى الله عليه وسلم بدین على غير شريعة الإسلام فليس بقابيل منه.

كما قال تعالى: "ومن يتبع غير الإسلام فلما قُلِّم يقبل منه" وهذا الرفض لكل دين غير دين الإسلام جاء في أعقاب المباني الجليل الذي قطعه الله على أبنائه.

---

1 سنة آل عمران أيه 52
2 التفسير الموضوعي لأيات التوحيد في القرآن الكريم ص 73 عبد العزيز الدريدر
ثالثة: ميثاق الله ووحدة الدين

قال تعالى: "واذ أخذ الله ميثاق النبي لما آتيكم من كتاب وتحكيه ثم جاءكم رسول مصدق
للمعكم تومن به وترسنو قل أقرت وأخذتم عليه ذلك إصرى قالوا أقرنا قال فأشهدوا
وأنا معكم من الشاهدين فن تويل بعد ذلك فالله هو القاضون".

فهتان الأئم تدلان على أن الله تعالى أخذ العهد وميثاق على سائر الأمة السابقين وجميع
أبنائهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن الإمام بن أبي منصور فإن الله
عليه وسلم جاء مصدقًا لما جاء به سائر الأنباء من التوحيد وسائر كتب الدين وأصوله. فمن
أعراض عن شيء من هذا فهو من الفاسقين وبعد أن بين الله تعالى ذلك عبره ببيان أمن كل من كره
الإمام محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وما تلق ذلك بالقبول والإخلاص والرضى النافم فإنه
يكون بمنأى عن الحق بعيدًا عن الرشد فينستحق من الله تعالى العقاب الأليم. فقال عز من قال:
"أفغير دين الله يغون وله أصلم من في السماوات والأرض طوعاً وكروهاً فيبه يرجعون".

رابعًا: الإسلام هو دين الحق المقبول من خير الله

أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغ على الدنيا كلمة الحق التي جاء
بها وأن يخبر كل من يأتي منه الخطاب بأن الدين الحق المقبول عند الله تعالى هو دين الإسلام
وأن كل ما سواء فهو باطل لأن رسله صلى الله عليه وسلم خلقت الرسالات ودين الإسلام
الذي جاء به ناصح لكل دين سواء.

1 سورة آل عمران الآية 81
فقد قال تعالى: "قل آمنا بِالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وآله ويعقوب والأسماء والأنبياء وموسى وعيسى والنبيين من بعدهم، لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبع إسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"، المعنى: قل يا محمد لمن جادلك من أهل الكتب وغيرهم فلهم جميعا: أنت أنا وأتباعي بوجود الله تعالى ووحدانيه، واستجبنا له في كل ما أمرنا به ونهانا عنه.

وأما كذلك بما أُنزل علينا من قرآن يهدي إلى الهدى ويخرج الناس من ظلمات إلى النور وآمنا كذلك بما أنزله الله تعالى من وحي على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسماء.

وأما أيضا فيما أتنا الله موسى من توراة ومعجزات وما أنا تفاصيل من ينجي ومعجزات ونحن مع ذلك كله لا نفرق بين جماعة الرسل فنؤمن بعض ونكر بعض كما فعل أهل الكتاب.

وإذا قال قادر لم خص هؤلاء الأنباء المذكورين في الآية بالذكر؟ تقول خصائصه بالذكر، لأن أهل الكتاب يعفون أنهم يؤمنون بهم ويشعونهم وقاد القرار الكرم أن يبين لهم أن زعمهم هذا باطل، لأنه لا يكونون مؤمنين بهم حقاً، إلا إذا أتينا ي водоهم " وقد خير القرآن أن الكفر واحد من الأنبياء يؤدي إلى الكفر بهم جميعاً وذلك يؤدي بدوره إلى الكفر بِالله تعالى. لأنهم جميعاً جاءوا بشرع الله وتوجيه فديتهم جميعاً الإسلام الذي هو توحيد الله وأفراذه بالإسلام والقيادة إليه جل وجعلاً وليس بينهم "عليهم السلام" من تفاصل أو اختلاف إلا في فروع الدين والتشريعات التي تختلف نظراً لاختلاف الأمم والأمم.

جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفس محمد بعده لا يسمع بي أحد من الناس يهوداً كان أو نصارياً ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلته به إلا كان من أصحابٍ".

١٢٠
النار" 1. وقد توعى الله تعالى من رغبة عن دين الإسلام ، ومال إلى غيره بالحبة والخسران في الآخرة لمحامته من ثواب الله واستحقاقه العقاب جزاء ما قدمه بدنه. وقد ذكرنا ذلك في نابعات هذه المقالة.

وفي الحديث الشرف: "من عمل عملًا ليس عليه أمري فهو رد 2. أجل مدون عليه وغير مقبول منه، هذا هو الموقف القرآن الكريم من حقيقة الدين الحق الذي ارتداء الله لهباه وعليه وبه يكون مصيرهم يوم الدين. ولكن لا غنى لنا عن عرض موقف الإسلام في الدنيا من الأقليات النصرانية واليهودية داخل الأقطار الإسلامية لموقف الإسلام الصحيح موقف واضح محكم روح الإسلام ومبادئه ونصوصه الثالثة وسماعته الإنسانية ويوقد على الحوار التالية:

أولاً: إن الأقليات غير الإسلامية ضمن المجتمع الإسلامي تتمتع بشرط وولائها للدولة بالحرية الدينية والحماية الدينية والحماية التامة وعدم الإكراه على اعتناق دين معين قال تعالى: "لا إكراه في الدين".

وقال أيضاً: عسى الله أن يجعل يبتسم وين bí্ওذين عاديتهم مود والله قادر والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يكونواكم في الدين ولم يخرجوك من دياركم أن تبهرهم وتشطروا إليهم إن الله يحب المتسامحين. إنما ينهاكم الله عن الذين فاتلكم في الدين وأخرجوك من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تعلموا ومن يتولم فثلك هم الظالمون. 3

1. أخرجته مسلم في كتاب وجوه الإمام بررسالة نبينا من كتاب الإمام
2. رواه الشبلان عن عائشة رضي الله عنها / نظر كشف الخفاء ص 210 ج
فأطلاقاً من هذه الآيات الحكيمة فإن المواطنين من أبناء الأقليات الدينية الذين يعيشون
مع الأغلبية المسلمة وشاكونهم الانتماء للوطن والولاء له مشاركة في المواطنة لهم" السبر
والعدل" فريضة من الله فرضها على الأغلبية المسلمة.
ثانياً: المساواة الكاملة بين المسلمين وغير المسلمين بحيث يتسعون جميعاً بالحقوق المدنية
والسياسية على قدم المساواة التي يكملها الدستور وتنظيمها القوانين، علماً أن مبدأ المساواة لا
ينفي المبدأ المعول به في الدنيا كلها من أن يكون حتى الإدارة للأغلبية وتظل حقوق الأقلية
مصانة محفوظة.
ثالثاً: إن تحكيم الشريعة الإسلامية لا ينقص من نصوص الأقليات النصرانية ولا غيرها في
المجتمعات الإسلامية، بينما غياب هذه الشريعة هو قطع لإحدى ركني الإسلام وكسر لإحدى
ساقيه ينقص من إلمام المؤمنين به.
ذلك فضلاً من أن تطبيق هذه الشريعة يجعل الحفاظ على حقوق الأقليات النصرانية في المواطنة
ديناً يدين به المسلمون وليس مجرد تسامح يمنح عند الرضى ويمنح عند ضيق الصدر.
رابعاً: إن عزل الدين عن الحياة الاجتماعية ليس حالاً لمشكلة الطائفة بل هو في الحقيقة
تصل وهروب من مواجهتها. إن علمانية المجتمع بالمعنى المطلق الذي يعزل الدين عن الحياة لا
يكون أن تكون الحل الصحيح لمشكلة الطائفة في المجتمعات التي تعدد فيها الأديان. إن

---

1 وهل الإسلام هو الخلل؟ د. محمد عمارة ص 85
العلمانية من هذه الزاوية تقتل المريض حتى يخلصه من مرضه وهي - فوق ذلك. مبدأ محافظ
تماما لطبيعة الإسلام الأساسية التي تقوم على وحدة الإنسان ووحدة حياته وترتبط مكوناتها.

وآخر دعوته أن أهده لله سبي الاملين
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

***************

١٢٣
العلاقة الإسلامية-المسيحية
نظرية الإسلام إلى غير المسلمين

د. محمد عبد القادر عابدين

المقدمة

موضوع العلاقة الإسلامية-المسيحية ليس وليد القرن العشرين، ولا مورد من تمازج الوضع السياسي الجديدي الذي أصبح يظل بوجود "إسرائيل" كدولة هوية وجوداً طبيعياً على المستوى الرسمي العربي. غير أن هذا الموضوع ساخن، تدل على سخريته الانتقادات والتداعيات والدعوات في بلاد العرب والمسلمين وخارجها التي تدعو إلى وضع ملامح جديدة لقلع العلاقة، تلاميم المنافذ الجديدة على الساحة الإقليمية.

والكتابة في العلاقة الإسلامية-المسيحية شائكة، يلزم تداخل عناصرها، وصعوبة الفصل بين مكوناتها العقيدة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ومن ناحية أخرى، فالكتابة في هذه العلاقة محفزة بالمخاطر من عدة وجوه:

* مدرس للدراسات العليا - جامعة القدس

١٢٥
أولاً: أنها تتناول موضوعًا شائكة مداخلًا شديد الحساسية.

وثانياً: أنها تأتي -غالبًا- استجابةً لدعوات قادمة من الغرب، مما يقيدها في أهدافها، و اختيار موضوعاتها، والنتائج الموجهة منها.

ثالثاً: أن الحضور فيها قد يفسّر على أنه جزء من محاولات التطبيع، وتنتقى "السلام" القادم، والدخول إلى جحر الدعوة إلى وحدة الأديان، أو مفهوم "الدين الإبراهيمي".

ورابعاً: أنها تحوي من الظروف الإسلاميّة -حالياً- كرزة فعل يُقصّد منه "الدفاع" عمّا يُتهم به المسلمون من إرهاب وطرّف.

وقد، قام كتابية في هذا الموضوع، وتحمل مخاطره في هذه الدراسة، على غلبة الطّن، أنها تتمّ بروح علمية محضة، دون ماّرب سياسيّ أو هويّ سنج، محاولة الانزجار حيود الموضوع، وما يتعلق به من موضوعات وأهداف للحوار الإسلاميّ-المسيحيّ في الدّيار المقدّسة، والإفادة من الحقّ الإنساني في العلم وإبداء الرأي، وحسب الباحث في هذه الورقة أنه اجتهاد في آلا يُفترض في جنب لله، ولا يظهر أحدًا، فإن أصاب فبفضل الله وتوفيقه، وإن أخطأ فإن عند نفسه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

وتتحدث هذه الورقة عن "نظرة الإسلام إلى الآخر"، محدّدة إياه بأنه غير المسلم، عن خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. كيف ينظر الإسلام إلى الإنسان؟
2. كيف ينظر الإسلام إلى غير المسلم؟
3. ما الحقوق التي أقرّها الإسلام لغير المسلم؟
منهج الدراسة

ابتُبعت الدراسة منهجًا تحليلياً تاريخياً يقوم على فهم النصوص، وتبني الأحداث الماضيّة وحاضرًا.

نظرة الإسلام إلى الإنسان

"الإسلام" و"الإنسان" ما روهر هذا الجزء من الدراسة، فما الإسلام؟ وما الإنسان؟

لقد أُبتُر العلماء لبيان معنى الإسلام في كتابات عديدة من نواح عقدية وتاريخية. جملةً وتفصيلًا، ليس المقام هنا لبيانها. وإنما يُتكفي في هذا المقام البيان بأن الإسلام هو دين الله تعالى الذي أُوْهَ به إلى الرسل مُحمد صلّى الله عليه وسلم، وله أركانه وأحكامه. ودخل الإنسان في هذا الدين بشهادته نَّعِم بالوحدانية ورسوله صلّى الله عليه وسلم بالرسالة. وبغير ذلك لا يكون الإنسان مسلاً.

أما "الإنسان" فقد خاص في تعريفه العلماء والفلاسوف حسب خلفياتهم واتهماتهم العلمية المختلفة. وتكفي في هذا المقام الإشارة إلى ما أوردده الدكتور محمد الدحيلي "أن الإنسان هو آدم وحواء، ومن توالدها وحبها، والمُحكم من جسم وعقل وروح، دون النظر إلى التفاوت والاختلاف في سائر الأغراض الأخرى، سواء كان ذكرًا أم أنثى، غبيًا أم فقيرًا، كبيرًا أم صغيرًا، أبيض أم أسود أم أصفر".

________________________
1 1997 ص 10

١٢٧
وقد يكون الإنسان نبياً مرسلاً أو مؤمناً تبناً أو كافراً شقياً أو منافقاً خشياً. ومنه
 يكن من أمر هذا الإنسان، فاعلمهم أن الله تعالى قد خلقه فسواه فعلده، واختاره من سائر خلقه لما
 يميز به من عقل وقدرة وإرادته، فجعله الأمنة، وأول كل إليه عمارة الأرض، وأرسل إليه المرسل
 بالبينات والكتب مبشرين ومنذرين، وليقوم الناس بالقصد. يقول الله تعالى (يا أباه الإنسان ما
 عررك وربك الكريم، الذي خلقك فسوىك فعلده، في أي صورة ما شاء ربكك). ويقول: (وأيما قال
 ربك للملاكية إبني جاعل في الأرض خليفة، قلنا أنجعل فيها من يفسيده فيها ويسفك الدماء، ونحن
 نطيع بحذرك وحدمك لك، قال إبني أعلم ما لا تعلمون). ويقول: (قد أرسلنا رسلنا بالنيات،
 وأرسلنا معهم الكتاب والليوان ليعود الناس بالفسط، وأنزلنا الحŔدد فيه بأشد ماء ومتافع الناس).

ومن نكره الله الإنسان وتفضيه على غيره أن أوعده فيه مركبات يباهيه بها على غيره
 من المخلوقات، فمنحه العقل والإرادة والاختيار، لتحري الحق والصدق، وليبحث عما ينفعه ولا
 يضره، ويكون مسؤولاً عن عمله. يقول الله تعالى: (ولأنت ما ليس لك به علم إلا السمع والبصر
 والفؤاد، كل أوقات كان عنه مسؤولاً). كما نذكر فيه من روحه، وخلقه على أحسن هيئة وأكمل
 صورة، معدلاً سواء، فلا هو مكبّع على وجهه، ولا يشي على أربع ينبع كلما خلق الله أحسن الحالين.

(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تكوين)।
ولا يُكذب الله ما في الكتب، وجعله تحت تصرفه. {نؤمن أن الله سُعِرْ لَكُم من السماوات وما في الأرض. وَأَسْمَعْ عَلَيْكُمْ رِسُولَهُ وَأَؤْمَنَّكُمُ الْحَقَّ الْحَقَّ}، والانسان كما وصفه الدكتور الخالدي {كُرِمَ عِنْدَ الله، تُقِيمُ في مِيَانِ الله، نَخُفِّفُهُ من رُوحِهِ، وأَسْجُدِ لَهُ مَلَكُكَهُ، وسَخْرُهُ لَهُ مَا فِي السماوات وما في الأرض، وجعله سيداً لما فيها، وأنزل إليه كِبْرِهِ، وحَثَّهُ رَسُولِهِ، وَكَرِهَ إِسْمَاعِيْلَ كَلَّامَهُ.}

وعليه، فالإنسان محترم حرّ مكرّم يبني حفظ دينه نفسه وعقله ونسله وملده، وهذه شكل مقاصد الشرع إلا الضرورة للغرض daraها الخمسة المبينة في كتب الأحكام والتي تقوم عليها حياة الإنسان الدينية والدنيوية {العالم: 1991}. وقد اتفقت الشرع السماوية كلها على حفظ هذه المصالح، وعملت على حمايتها.

وفي التصور الإسلامي للإنسان إعلاه، من شأن الإرادة فيه، إذ هي مناط التكليف والجزاء، والعهد مع الله سبحانه وتعالى.

نظرَة الإسلام إلى غير المسلمين {الآخرين}

تَنَّ عَنَّ أَنَّ الإِسْلاَمْ أَحْتَمَّ الإِسْلاَمْ لِإِسْلَامِيَّهُ، وَلَا أُوْدُعَهُ اللَّهَ فِيهِ مِنْ خَصَالٍ. وَكَيْ لَيُرْكِبْ هُمْلاً، أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلُونَ لِيُرِدُّهُوهُ وَيَهْدُوْهُ سَبِيلَ الْحَقِّ. وَالْوُسْعَاتُ كُلِّها مُسْتَرَكَّرَاهَا وَهُوَ الَّذِي سَبِيلَهُ وَتَبَالَى. وَقَدْ بَيِنَ الْرَّسُولِ مُحَمَّدٌ صَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ذَلِكَ فِي مَا أَخْرَجَهُ الْأَمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنُودٍ، وَأَبُو دَاوُدُ الْبَيْهَقِيِّ فِي الْسَنَنِ، قَالَ صَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: " ... الْأَنْبِيَاءِ أَخْوَةُ}

{لفن، الآية 20}

(1982، جزء 3، ص 220)
أبناء علات، أمهاتهم شمس وهم واحد. "، وصدق ذلك قوله عز وجل في (شُفِّرْ لَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ).
ما وصَّى به مَّوْلاً والذي أُوحِيْتُ وأُوعِيْتُ بعده، وما وصِّينَا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أَقْبَلُوا الدَّينَ ولا
نُفُوقوا فيه. كُلُّ مَّن الشَّرِيكِنَّ مَا كَذَّبُوهُمْ إِلَّهَهُ، لَهُ شَرِيكٌ إِلَّهٌ مِّن شَنَاءٍ وَهُنَاكَ إِلَّهُ مِّن دُونِهِ."
1
وكان الإسلام الذي جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مبنياً على عقيدة سليمة
بعداً عن الأهواء والأبائِل، والشرك. يَحْتَمَّ العقل وِتَتَّجَّلَب بالاحتكام إليه. وقد استمر الإسلام إلى
بِقاِعٍ واسِعِ، ودُلِّل فيه خلق كثير بِساطِطاً تُطَبِّعِ، وتَسِجَّل أَحَلٌ، وعَدُّوَم وعَصِيَمِ، ويتَسَفِّد
الهِجَازِ (1977) تلك النُّفحة الإنسانية التي أَكَبَّرُها العرب من الإسلام فَحَمَلُها للناس بأنه كان لها
أثرٌ فيها كَسِبهم عقولاً جَبَرَة وأُدَمَّرُها. أَسَهِمَت في بناء الحضارة العربية الإسلامية المستقبِلة
بِنور الإسلام.

ومن عوامل نجاح المَّدٌ الإسلامِي أنه قام على الأنفة والحبة والمعدل. حتى في مواقف
الحرب والقتال مع خصومه، إذ لا يُدِرَب فَجَيْل، ولا يَكُوِّر أَسْيَرُ على شيء، وتركُل للناس الحرية
الكاملة في مِبَابِرة شعائرهم الدينية. ويعامل كل أَفرَد الرعية بالعدل والمساواة. وأَثَبَت القران الكريم
وسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأعمال الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من السلاطين
والأنثمة الأُبرار كلها تدَّل على بطَّال زعم من زعم أن المسلمين كانوا يُجْبَرُون الناس على اعتناق دين
الإسلام أو الخروج من دينهم. وكدَّب (غُيُومان لوسَرْي) الذي ينتمي إلى الهِجَازِيَة (1977، ص 27)
زعمه "إِن هؤلاء العرب - المسلمين - قد فرضوا دينهم بِالقوَّة، وقَالَوا للناس أُسلموا أو موَتِوا، بينما
أتَابُ المَسِيح رجَّحَ النَّفْوس بِرَبِّهم وِإِحسانِهم".

1 صورة الشوَّري الآية 13
وتأتي معاملة الإسلام للإنسان بالقسط اطلاقًا بما شرعه الله تعالى من أن عز وجل مصدر الشرائع والقوانين، وأنه لا يجوز لأحد مهما كان أن يضيق تلك الشرائع والقوانين، أو يقليها، أو يعدل فيها، أو يعتدي عليها بغير ما شرعه الله تعالى، وكل عمل يخالف شرعه فهو رد. وحيث إنه تعالى شرع القسط والعدل، فلا مناص من معاملة كل بني الإنسان بالقسط والعدل والقسطام المستقيم.

وحيثما جاء الإسلام كان الناس، كما بين ابن قيم الجوزي في كتابه "هداية الميار"، على شكلين: إما أنهم أتباع رسالات يؤمنون بالله ويمعنون رسله، أي أهل كتاب، كاليهود والمسيحيون، وإما أقوم يسوا أتباع رسالات ولا يؤمنون الله. بل يعبدون النار والأصنام والكواكب والشياطين وغير ذلك ما خلقه الله ولا يملك نفسه ضراً ولا نفعاً. يكذبون رسله، ويعتلون شرائهم. وبعد جمع الإسلام، صار الناس على ثلاثة أشكال: أقوم آمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، واتبعوا النور الذي معه، فهم المسلمون؛ وأتباع رسالات سماوية بتبع على دينهم ولم يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فهم أهل الكتاب؛ وأقوم لم يؤمنوا برسول ولا نبي، ولم يشهدوا الله بالوحدانية، وعبدوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، فهم كفار ومشركين.

أما الصف الأول، فعليهم واجبات ولهم حقوق، وآراء تقسيمية مبسطة في كتاب العقيدة والفقه والتسلي. وأما الصفان الثاني والثالث، فهما الحديث عنهما بإجماع، إذ إن التفصيل في ذلك مبسطاً أيضاً في كتاب العقيدة والفقه والأحكام. وهنا تبرز نقاط: النقطة الأولى هي أن الإسلام بين علاقاته مع الآخرين -محارين أو مهديين، كابين أو مشركين- على معايير...
وأسس ثانى، وليس على مصالح سياسية واقتصادية مماثلة غير موضوعية، والنقطة الثانية هي أن الإسلام خص أهل الكتاب بأحكام دون غيرهم من الآخرين غير المسلمين.

ويمكن تناول الحديث عن أهل الكتاب وعن الكافرون في عدة جوانب: النظر إلى معتقداتهم، ثم معاملتهم، ثم الحذر منهم ومحاربتهم.

أولاً: معتقدات أهل الكتاب والكافرون

من هم أهل الكتاب؟ "أهل الكتاب" مصطلح شرعي يقصد به "اليهود والنصارى، ومعهم المجوس، ومن قام دينه في الأصل على كتاب سماوي، وإن حرف أو بدأ" 1، والذكر أبو سريع عبد الحادي (1986) أن المجوس ليسوا أهل كتاب، بل إنهم شبهة كتاب، وإذا أخطأوا بأهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم: "سنُؤن بسمة أهل الكتاب" 2، وأما الكافرون فيقصد بهم من لا دين له من غير اليهود والنصارى والمجوس.

ومعتقدات هؤلاء جميعاً في مجملها مختلفة لما يؤمن به المسلمون، ذلك أنها تتضمن افتراءات على الله تعالى، وعلى كتبه ورسليه ونبياته، وظلمًا نابعًا، أو أنها تشرك به تعالى، وتكتب رسله، وتسترسل شرعه، وتتكبر بجاه الله، وتبرر المغام، وتبشرون الناس بكل وسلامة فعل ما لم يأذن به الله.

وقد أفسى في بيان طلائع تلك المعتقدات أهل الأحذاض قدماً وحديثاً.

أما معتقدات النصارى -على وجه الخصوص- فهي ليست تحديداً كاملاً للإسلام، ولا مساوية له، فيما يفترقان افتراقاً كاملاً بعضهما عن بعض في مسائل كبرى في الاعتقاد والتشريع.

1 الزحلية، 1997، ص 178
2 (الشوكاني، جزء 4، ص 57)
غير أن مثة أوجه اتفاق تظهر من الاعتقاد المشترك للمسلمين والنصارى ومن فيهم من القسيسين والرهبان لبعض الأمور التي يمكن استخلاصها على النحو التالي:

- الإيمان بوجود الله، وأن الله هو خالق كل شيء، وأن الإنسان خلق له.
- الإيمان بأنَّ الله تعالى هو الرازق الرحيم بعباده.
- الإيمان بالناظم الآخر، والبعث، والحساب، وأن الله يعامل الناس يوم الحساب بالعدل، والإنصاف، والرحمة.
- الإيمان بأنَّ الإنسان لم يخلق سوى الله أرسده إلى المهدى فينبئ الأحبة والرسلين.
- الإيمان بأنَّ الإنسان حاجة روحية، وأنه يحتاج للإيمن والعبادة.
- الإيمان بأنَّ الإنسان كرامته التي يجب حفظها.

ثانياً: معاملة أهل الكنيس والكافرين

لقد خص الإسلام أهل الكنيس معاملة خاصة، وشرع شروط تميزهم عن غيرهم من غير المسلمين، كالوضوء والملاحمة. ويشير الزهبي (1997) إلى أن هذه الأحكام تطبق على أهل الكنيس حين يكونوا مع المسلمين في غير بلاد المسلمين تحكمهم أئمة غير الإسلام. وهذه الأحكام هي:

- النهي عن مجددتهم في ديهم إلا بالحسنى بحيث لا يكون هناك مجال للعذاب والبغضاء والشحنة، أو للأحقاق والضمانات والمكائد، أو الطائفة والفتنة. وتعني الحسن أن يكون الجدل أو الحوار هادفاً قانياً على الحجج والبيانات، ومحترماً للحاسين

132
والشاعر. يقال الله تعالى: "ولا تجدوا أهل الكتب إلا باتين هي أحسن، إلا الذين ظلموا، ونقولوا آمنا يسائنا أذنل إلينا وأذن إلينا والله بهم واحد وحسن لمه" (المسلمين).


3- إباحة مصاهرتهم والتزوج من نساءهم الضعيفات الخصات، علماً أن الزواج في أصله قانون على المودة والرحمة. وأن البحث عن المؤمنات ذوات الدين خير وأبقى. (والخصات من الذين أوثوا الكتب من قبلكم إذا أسلم من أوجوهم، مخصوصين غير مسافين ولا متزوجي أخوان).)

أما حين يعيش أهل الكتب مع المسلمين ويقيمون في بلاد المسلمين فيشير إلىهم الإسلام بمصطلح شرعي آخر هو "أهل الذمة" الذين لهم عهد الله وعهد رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين،

العنبوط، الآية 46
المائدة، الآية 5
المائدة، الآية 5

1 أورد الغنوشي (1992، ص 29): "أن مصطلح أهل الذمة مصطلح فقهي لم تبق حاجة إليه (أفي العصور الحالية) بعد أن استمرت العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وتأسسوا على أسس "المواطنة" داخل المجتمع الإسلامي، وعلى أسس "التعاهم" خارجه."، وفيما يتعلق بمصطلح
وييشرون في أمالي في دمئة الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين، ويخض الإله إهل الذمة بمعاملة خاصة.

أيضاً فيضن لهم حقوقهم المترتبة على وأجابتهم، ويتم إقرارهم على ديهم، ويؤذن لهم الحماية على دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، وكماشهم، وتحييمهم دولة الإسلام مقابل مبلغ من المال يفرض على أغنياتهم الأغنياء القادرين على "الجزية". ووصف الشيخ الفرضي الجزية بأنها "ضريبة" تفرض على الرؤوس، ومنها النساء والأطفال والأنثى والعمائزين. وتُقابل الجزية على إهل الذمة المواطنين الزكاة والجهاد المفروضين على المسلمين، وبدفعهم الجزية تجري على إهل الذمة أحكام الدولة في المعاملات والواجبات والحقوق كمسلمين سواء حسبًا في العقيدة والعبادة، فكل شأنه.

ويحترم بعض المثقفين (السيد، 1995) أن "جزية إهل الذمة قد انتهت في القرن التاسع عشر الميلادي"، مشيرًا إلى أن المسيحيين العرب والباحتين الغربيين لا يرونها جزية "ناجحة" للمبشرين المشتركين، فهم أنها ترتبط بالصغار والتمييز في القيمة الإنسانية، وفي حقوق الفرد والجماعة، وهو زعم باطل لا أصل له في الأصول الفكرية الإسلامية، ولا في الممارسة العملية في العصور الإسلامية المختلفة.

إضافةً إلى ما مضى، فإننا أقول تعلق بمعاملة أهل الكتب والكافرون معاً يمكن إجماعهم فيما يلي:

ج. كل الأطعمة الظاهره من غير الذبائح، كالخنزير والماء والفاكهة والخضروات، فإنها تؤكل

ومهم جميلاً، وحل الاستعمال آنهم فهي طاهرة غير نجسة، وثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه توضوا من "مزاء" لامرأة مشركة (أبو سعيد عبد الهادي، 1986).

لا يمكن للنصارى في البلاد الإسلامية أن يسموهم ما يشاعون إذا كانوا يأنفونه، وأنه لا حرج في تركه، ويكتمي بالمطالعة في دار الإسلام.
جواز تعليمهم والتعليم منهم، فقد ثبت أن أسرى المشركين فروا أفسدهم مقابل تعليم المسلمين، وأن عددًا من غير المسلمين كانوا يعلمون أبناء المسلمين. وقد وضع العلماء لأخذ العلم من غير المسلمين ضوابط تضمن سلامة عقيدة المتعلمين وفطرتهم، وعدم إثارة الشكوك والشبهات فيهم.

جواز بيعهم ومعاملتهم في الأمور التجارية والاقتصادية بما وشيء، وإجارة ورهنًا ودينًا، وصفعة واستمالًا. ودخل في ذلك جواز توليه الوظائف التي تكلفهم بها الدولة - على اعتبار أن تولي الوظائف ليس حقًا للفرد على الدولة، إنما هو تكليف له منها. وقد أورد الفنوني (1993) بيانًا مفصلاً للفقهاء والعلماء في تولي غير المسلمين للوظائف.

ثالثًا: الخذار من أهل الكتب والحكام ومحاربتهم

يعتبر جمهور الإسلام حديثًا فاصلاً في تاريخ البشرية بين عصور الأديان والديانات وعصور الدين الحマイ الذي جاء للعالم بنبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ومنذ ذلك الحين، ما فتئ أعداؤه، فرادى وجماعات، يطعنون في دين الله، ويشوهونه، ويحاولون أن يضروه. وقد تحالف أولئك الأعداء في المدينة المنورة وحكة المدينة في بداية عهد الإسلام، ثم في بلاد أوروبا وعندها لاحقًا وعلى مدى القرن، وطعنوا بحقهم عليه فكرًا وعسكرًا واقتصادًا، ووجهون إليه الضربات تنزاً للقضاء على أمرهم، ولكن الله تعالى سلم. كما تسابقوا في الافتراق عليه بعدائه للمسيحيين واليهود وغيرهم، وانتهاكه حقوق الإنسان.
وذكر أنور الجندلي (1998): أنه ليس هناك ما يبرر الحملة والافتتاء على الإسلام سوى الحقد والضغينة، إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسى قواعد أساسية شكلت محرر الرسائل السابقة، فانتقدت مبرراتها، سواءً أنه حدس من عدد أبنفسهم. ولتلك القواعد الأساسية هي: الدعوة إلى وحدانية الله تعالى، وتعزيز فكرة البث والحساب بعد الموت، واتخاذ القوى بدلاً من العصبية والعنصرية أساساً لبناء القيم السامية، والتأكيد على وحدة الرسائل السماوية.

ولذلك حذر الإسلام أتباعه من اتباع غير المسلمين في معتقداتهم، لعدا تبعتهم بغير علم، وشغب محبة من يقتات لهم في دينهم، أو ينامر عليهم، أو يخونهم، أو يقديء عليهم. يقول الله تعالى: (بأي غنى الذين أنسوا لا تتخذوا بطاعة من دونكم إلا بIGNكم خيالاً، ودعا ما عست، قد بدء البقاية من أفواههم وما تحني صدورهم أمور) (1). وقول تعالى: (بأي غنى الذين أنسوا لا تتخذوا غذائي وعذراً أو عباً تبغيهم المعجزه وقد كفرنا بما جاءكم من الحق وخرجتم الرسول ولا أكم أن تؤمروا بالله ربك إلى كل من خرجهم جهاداً في سبيلي وأبناء ورضائي) (2).

---

١ العصر، الآية ١١٨
٢ المنمنة، الآية ١
٣ البقرة، الآية ٢١٩
٤ البطنية، الآية ٢٥
٥ البوني، ١٩٩٢، ص ٢٥
الحقوق التي أقرها الإسلام لغير المسلمين

انطلاقاً من أن الناس أسرة واحدة، وأنهم أدّوا، وأنهم متساوون في الكرامة والتكليف، فقد ضمن الإسلام لغير المسلمين حقوقهم الإنسانية، علماً أن بعضًا منها لا يمكن أن يتأتى إلا حين تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله.

ومن المعليم بداية أن الحق يقابل واجب، فلا يتهم الحديث عن حقوق دون أن تؤدي الواجبات. وقد شرع الله أحكامه، وحدّ حدوء جعلها فواصل بين الحقوق والواجبات، فقول تعالى: (تلك حدود الله فلا تبتعدوها، ومن يعدّ حدود الله فاؤولك هم الطامعون).

والأساس في الحقوق أنها منحة ورحمة من الله رب العالمين للناس جميعًا، وأنها تتبع من التكرم الإلهي للإنسان. ومن مستلزمات هذا التكرم "أن يعين كل فرد من الناس الحق في الحياة [والإفادة من الكون المسجّر للناس] لأمثاله، بمقدار ما يراعاه لنفسه، فيكون هذا الحق مطلباً للناس جميعًا على مستوى الأفراد والجماعات".

وينظر الإسلام إلى غير المسلمين إلى أنهم بشر لم كرامة الإنسان وحرمهما ما يضمن لهم الحقوق التالية عموماً:

1. الحق في الحياة: فالحياة منحة وهدية من الله تعالى، فلا يجوز الاعتداء عليها، ولذلك شرع الله عز وجل ما يحفظها، فحُرّم قتل النفس وإزلاق الروح بغير حقٍّ (كالقتل العمد الذي هو قصاص فيه عبرةً لأولي الأئمّة، أو السعي في الأرض فسادًا)، وحُرّم الانتحار، وحُرّم إفناء
الجنس البشري، وحفظ حرومه مياً (الزهري، 1997، والوزير، 1989). ونسحب هذا
الحق على غير المسلمين كرحابه على المسلمين، مما يعني أن المسلمين لا يعذبون على غير
المسلمين ظلماً وعدواناً، ولا يستحقون دمهم، ولا يعذبون على إبادتهم أو التكيل بهم، ولا
ينتهكون حرومهن أمواتهم، فهذه كلها أمور محرمة لدى المسلمين على خلاف ما يفعله غيرهم بهم
في فلسطين وغيرها. يقول الله تعالى: (ولا تقتلون النفس التي خُرِّم الله إلا بالحق)، ويوضع
أجلك ذلك كنتا على يمين إسرائيل أن من كل نسمة غير نسمة كفانها كل الناس جميعاً، ومن
أحيانا فكأنها أحياء الناس جميعاً.)  

الحق في المعاملة بالعدل والإنصاف وعدم التمييز ضدهم أسام القوانين في الحقوق
والواجبات، وأنهم لا يفاضلون في المعاملة في الحياة الدنيا لفرقة أو جنس أو لون أو نسب أو
جواً أو مال. لذا الفاضل بالقوى التي مرجمها إلى الله تعالى. ويدخل في هذه المعاملة
العادلة أن غير المسلمين كمسلمين سواء أمام القضاء وفي الحقوق المدنية والسياسية والإبداعية
فلا يغتصب منها شيء. يقول الله تعالى: (لا أرى الذين أنتموا كنوا قومين لله شهداء بالقضية،
ولكن كمن شتان قوم على أن لا ينتموا، اغتلوها هو أقرب للظلم، وأمروا الله إن الله حي.
يَا تَعْمَلُونَ) 3

والأصل في هذه المعاملة العادلة في الإسلام مبدأ الوحدة الإنسانية الذي يشبه الله سبحانه
وت تعالى: (كان الناس آمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق).
باراء ومحاصبكم شهدوا وثبتوا لنا رواً، إلا أنكم عند الله أطاعتم، إن الله عليكم حسن.


1. الحق في أن يكون خراً غير مستقبٍ ولا مقيض الإرادة، بحيث يتروج بإرادة واحتكار دون إجراء أو إجبار، وأن لا يضطهد أو يحكم عليه بالصادرة أو الغني أو العذاب. وقد أشار الوزير (1991) إلى أنه لا يمكن سلب حريتنا أي كان إلا بالعدل، أي أنه يشترط أن تكون مثا تهمة موجهة ضده تطلب محاكمة، على أن يعطى الفرصة التي يستحقها لدفع الشهبة عن نفسه. وبيان براءته ما استطاع إلى ذلك سبيلا. فإن نبت جوعه، يعاقب عقاباً عادلاً منصعاً باعتبار ذنبه، لا باعتبار دينه.

و嬖ن الزهيلي (1997) أن هذا الحق أصل لحق أخرى كثيرة، وعد من حريات الاعتقاد والدين، وحرية الفكر المقارن والبحث والمعرفة وكشف الحقائق، وحرية التعبير والدعوة إلى المبهر، وحرية العمل، وحرية التملك، وحرية المسكن والانتقال.

---

١ سورة البقرة الآية ٢١٣
٢ سورة الحج الآية ١٣
ومن مقدرات هذا الحق في الحرية عدم الاعتداء على حريات الآخرين، أو انتهاك حراماتهم وأعراضهم، ولا انعدام التوازن في المجتمع، واضطراب الحياة في نواحها المتعددة.

4. الحق في الدين والاعتقاد: وعلم هذا الحق قائماً على أن الدين مرتبطة بالقناعة الشخصية والإيمان الفعلي الذي لا ينهاه أخر عليه سوى الله الخاقان سبحانه وتعالى. يعني هذا الحق أن لا يجب غير المسلم على ترك دينه فسرا ليلحق بالاعتقاد المسلمين وديهم، وإنما يحترم بالبينة والحججة والبرهان، ولا يفسقه دينه. قال الله تعالى: (لا إكراه في الدينِ، قد كتبت الدينُ من الأنبياء... وَمَن شاء فَأُولَـئِكَ فِي الْأَرْضِ جَبَيلًا). أقامت نكورة الناس حتى يكبروا بمؤمنين.

ولكن الله تعالى أرشد الناس إلى الهدى ودين الفطرة، وبعثهم الأنبياء والمرسلين، وقرر محاسبة الإنسان على إيمانه أو كفره، إذ يقول سبحانه وتعالى: (وَقَالُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ مَن رَّكِمْ فَمَن شاء فَإِنَّ شَيْئًا طَيِّبًا وَمَن شَاء فَلْغَرِيَّرُ، إِنَّا أُعَدَّنَا إِلَيْكُمْ نَارًا أَحَذَّرُوهُ بِهِمْ سَرَادِقٍ، إِنَّكُم مَّسِيقُوا بِبَعْضِهِمْ كَمَعْلُومٍ يُشْكَوْنَ). 3

وبدلاً لهذا الحق الممنوح لغير المسلمين على مدى التسامح الديني في الإسلام، إذ إن الإسلام لا يلزم الإنسان البالغ العاقل على الدخول فيه، مع تقديم المطلق أن الإسلام هو الحق المبين والصراط.

______________________________
1 البقرة، الآية 256
2 يسوع، الآية 99
3 للفتح، الآية 29
المسالم، فالإنسان يختار الدين الذي يريد - شرطية أن لا يكون ارتدادًا عن الإسلام - أي أنه يختار الكفر أو الإيمان، ويحمل نتيجة اختياره خيراً أو شرًا (الزهلي، 1997). ويتطلب هذا الحق في الدين والاعتقاد أن احترام الإسلام دور العبادة لغير المسلمين فلا تهم ولا تنتهك حريتهما، واحترام شعائرهم وطقوس عبادتهم، فلا يمنعون منها. وصف الوزير (1989، ص 142) هذا بأنه حمايةً لما يسمى الامتحان الدينی. يقول: "لا يسمح الإسلام بانقطاع الجماعات الدينية بعضها الآخر، أو أن تنقص كل منها قدر أنتم الآخرين ورعاياهم، أو أن تلحق بهم الإهانة والسباب، وما إليها، فالقرار يسمح احترام معقدات الآخرين، واحترام أسمائهم ورعاياهم." إذ يقول تعالى: (وَلَا تَسْتَيِّضَ الَّذِينَ يُذْعَرُونَ بِمِثْلِ النَّارِ فَيُسَخَّرُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

ويقول الدكتور الخالدي: "من أوضح المظاهر لتكرم الله للإنسان وأبنائه وأبرزها إنسانيته، وأظهرها دلالة على حقوقه وحريته: احترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمر لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحقيقه نتيجة عمله وحساب نفسه. وإن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف "إنسان"، فالذي يسلب إنسانا حرية الاعتقاد فكان لما سلمه إنسانيته إبداءها. وتلازم مع حرية الاعتقاد حرية الدعوة له، والأمن من الأذى والقصف ".

5. الحق في حرية الرأي والتعبير: إذ أنباح الإسلام الفرصة لغير المسلم للتعبير عن وجهة نظره بحتها ووسائل التعبير المشروعة ضمن مقيدات ثابتة.

- يُسمح التعديل وإبداء الرأي بالحج، والبراء، والحج واللهدمة.

1 الأعامت، الآية 108
2 1986، جزء 3، ص 227
3 الزهلي، 1997، ص 189
أن لا يؤدى التعبير عن الرأي إلى حرمان الآخرين من إبداء رأيهم;
أن يكون الرأي مطابقاً للحقيقة والواقع، بعيداً عن الخرافات والأوهام والأباطيل والظلم.
أن يلزم صاحب الرأي بالآداب المتورة شرعاً من حيث طيب الكلام، والإعراض عن التشهير والقبح والفحش في الفعل، والبعد عن السرّ بكراهة الآخرين أو تجريهم.
ويشير الوزير (1989) إلى أن الإسلام أعطى رعاه همسيين وغير همسيين - الحق في التعبير عن الرأي، بل عدها واجباً دام فيه إحقاق الحق وإنكار الباطل، إذا لم يجوز الصمت بحيث يقع الحظر ويشعر الحق.
وقد شجب القرآن الكريم الصمت الذي أبداه من سباقنا بتزكيم التعبير عن الحق والصحاب، فأدى إلى اختطافهم وضياعهم، إذ قال الله تعالى: (ليعن الذين كفروا من بني إسرائيل على سبيل داود عليه السلام وابن مريم، ذلك يا عصوا وكانوا يعذبون. كانوا لا ينتهنون عن منكرو فعله، ليتس ما كنتو يعذبون). فأجددت المهدب، والنقد المسلم، والدعوة بالعروف، وإظهار مواطن الخلاف كلها أمر جدح تحت حرية التعبير.
وأي الحقيقة في الاجتماع نتيجة منطقية لحرية التعبير، إذ قد تحتاج أولئك الذين يدلون التعبير عن آرائهم ن المواطنين إلى التدريس والبحث فيما بينهم. وقد أقرار هذا المبدأ الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - في علاقته بالحوار، "فاعترف لم يحقق في الاجتماع والمدارسة، مبيناً فهم أنهم أحرار طالما لم يجردوا سيوفهم ليفرضوا أنفسهم وتصرفاتهم على الآخرين كرهاً".

_________________________
\(^1\) الحائدة، الأيتان 79 – 78
\(^2\) الوزير، 1989، ص 147
6. الحق في المعاملة الإنسانية العادلة: وذلك بالإحسان، وحسن المعاضرة، ورعاية الجوار، ومشاركة مشاعرهم بما يرحم في الحياة المعيشية، والنزاع، والعدل ومنع الظلم عنهم أو الاعتداء عليهم بالفأل أو بالفعل، والوفاء بالوعده، وحريمة أموالهم وأعراضهم، وتحريم السرقة منهم وغشهم وخيانتهم، وحفظ حقوقهم المالية، والحق في التعليم والتملك والوقاية والعمل والضمان الاجتماعي. ويري العلماء أنه يدخل في هذا الحق على وجه الخصوص توفير الحماية والرعاية لغير المسلمين جماعياً وصحياً للضفاف والأطفال والمسلمين والممرضين والمجرحين وصولًا حرمة نسائهم وكراسيه، وحرمة مسهم بسوء. ويستدل على ذلك السلوك العملي للمسلمين في معاملتهم للذين.

وقد أوضح الدكتور الزحيلي (1997، ص 172) أن "منهج الإسلام في المعاملة الإنسانية لا يفرض على الناس في الدين والأيمدة. لذلك أوجب إعادة الإعدل بين جميع الناس، ومنع الظلم، وحماية الدماء والأبدان، والأعراض للمسلمين وغير المسلمين، وأمر بالإنصاف ولو مع اختلاف الدين. قال الله تعالى: "إِبْنَاءِ الْأَرْضِ مِنْهُ مَنْ أَحْصَرْنَاهُ فَأَطْفَأْنَاهُ مِنْ فَوْقِيْهِ، وَأَطْفَأْنَاهُ مِنْ أَسْقَيْهِ، وَأَطْفَأْنَاهُ مِنْ شَهْدَاءِ الْقِبْطُ، وَمَا نَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ فَلَا تَعْمَلُنَّنَا إِلَّا خَيْرًا حَسَبٍ".

وفي الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد في مسنده قال صلى الله عليه وسلم: "إِبْنَاءِ الْأَرْضِ مِنْهُ مَنْ أَحْصَرْنَاهُ فَأَطْفَأْنَاهُ مِنْ فَوْقِيْهِ، وَأَطْفَأْنَاهُ مِنْ أَسْقَيْهِ، وَأَطْفَأْنَاهُ مِنْ شَهْدَاءِ الْقِبْطُ، وَلَا تحَرَّتْ عَلَيْهِمْ مَالٌ مَعاهِدٌ بِغِيرٍ حَقَّهَا، وَلَا نَمَزَعُهُمْ مَعاهِدًا، وَلَا نَحْكُمُهُمْ حَقًّا، وَلَا فِرْقَةً فِى طَلَقَةٍ، وَأَخْصِصْنَا حَقَّهَا أَهْلَهَا، فَأُحْجِيَهُمْ بِجَمِيعِ الْقِيَامَةِ".

1. المائدة، الآية 8
2. الهندي، كتاب المعالج، الجزء 4: 10942.
وةقرر الشريع الإسلامي أن تغيير المسلمين ما لم يكون، وعلى ما عليه، ولذلك عاش غير المسلمين في ظل خلافة الإسلام أحقاباً. وقوتاً يسرون بالأمن والعدل والحرية الدينية، والمشاركة في شؤون الحياة والعلم والحكم، كما كانت عليه الحال للمسلمين. وإنما وقع الظلم عليهم كما وقع على المسلمين في فترات تاريخ السوداء المظلمة التي لم يكن أمر الإسلام فيها نافذ، كما وقع على اليهود والمسلمين في الأندلس على أيدي طاغيت محكم الفقيه، وعلى المسلمين والنصارى في فلسطين على أيدي الإخليج واليهود (الزهيلي، 1997).

والأساس في المعاملة الطبية لغير المسلمين أن الله تعالى أمر بالقسط والبر مع الناس جميعاً، إلا إن كانوا محاربين يضطهدون المسلمين ويؤدونهم بغير ما أكسبوا. فشرع لهم القتال ضدهم دفعاً للظلم وإحقاقاً للحق. يقول الله تعالى في سورة الحج (أذن للذين يفتنون بأنهم طلسووا وإن الله على صغرهم لقدير). الذين أخرجوا من ديارهم فغير حق إلا أن يفتنوا إلا أن يفتنوا. ودفعة الله الناس بعضهم لبعض صواب وبيع وصناديق وسماح جز كفرها اسم الله كبر، وينصره الله من نصره، إن الله لطيف عزيز.

والدليل على أن الأصل في إقامشهدة العلاقة مع غير المسلمين هو القسط والعدل قوله سبحانه وتعالى: لا تنهواكم الله عن الذين لم تذكروا في الدنيا ثم يخرجوكما بين دياركم أن تكرهتم وتضطروا إليهم إلا أن الله يحب المضطهدين. أما ينهواكم الله عن الذين كفروكما في الدنيا، وأخرجوكما بين دياركم وظاهروا عليهم إختراقكم أن تقولهم، ومن يقولهم فأولئك هم الطالبون. وقد أورد الزهيلي

---

1 سورة الحج الآية 39.
2 سورة الممتنة، الآية 9-8.
نقرأ عن الإمام القراقي أن الله تعالى أمر بالبر بغير المسلمين من غير مودة بطنية، بحيث يتم الإحسان إليهم، وردقت بضعفهم وشيوعهم ونسائهم وأطفالهم، ونهايتهم بين القول، واحتمال أذالهم في الجوار لطفاً من المسلمين بهم لا خوفاً منهم، أو ذلة عليهم، أو تضعيفاً لهم، والدعاء لهم بالهدية، وصحبهم في أمر دينهم ودنياهم، وصول آواهم واعراضهم وعبادتهم، وجمع حقوقهم ومصلحتهم، وذلك كله من باب مكارم الأخلاق الذي بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتهمها.

الحق في المواطنة: تعني المواطنة أن تتم المواطنين في دولة. وقد كان أول وجود واقعي للدولة في الإسلام في المدينة المنورة بعد الهجرة الشرفة إليها، حيث وضع المعير البيض للصحيفة الذي حدد أركان الدولة الأربعة: الشعب، والتشريع، والإقليم، والسلطة الحاكمة (الكيلاني، 1997). وقد حددت الصحيفة (الميثاق) العلاقة بين السلطة الحاكمة ومواطني الدولة عموماً. ومن أهم المبادئ العليا للدولة الإسلامية أنها دولة الفكر والعقيدة، ولا تحتف نفسها بروابط الدم أو النسب أو الأرض. وتتردد على هذا أن مواطني الدولة يشمل جميع المسلمين الذين يسكنون داخل الدولة، المتصور ع$t$ن أصولهم ومذاهبهم، فيما يشمل أغلب الدُّمّة من غير المسلمين الذين اتبوا النظام الإسلامي نظام حياة. ولعبيه فحق المواطنة يُكتب بأحد مسيئ؛ عقد الإسلام، أو عقد الذمة.

والدولة الإسلامية في مفهومها الحديث -أو هي دار الإسلام- هي "كتاب سياسي" قانوني يベース السلطة السياسية على مجموعات من الأفراد، في إقليم معين، وقد تضم بعض الشعوب.
والأغلبيات غير الإسلامية، كما [له] الحال في مصر والسودان. ومع ذلك، يُعرف بعض الباحثين الدولة الإسلامية على أنها الدولة التي يشكل المسلمون نصف سكانها (الإمارات، 1997). بينما يُعرف أبو العامل الموحد أسمًا شرعياً بأنها "النظام" الذي تسمى مخصص ثلاث، السلطة الحقيقية فيها الله تعالى، وليس لأحد من دون الله شيء من التشريع، وحكمه بما أنزل الله.

ومن قواعد الحكم في الإسلام كما بعثه الصحيفة التي وضعت في المدينة المنورة "الوحدة السياسية بين مواطني الدولة الإسلامية على اختلاف أصولهم ومعتقداتهم. وأساس هذه المواطنة: الإيمان بالنسبة لدملي الدولة، والولاية بالنسبة لغير المسلمين. وظهر هذا من إعطاء الوعي لليهود حق المواطنة تحت سيادة الدولة الإسلامية، وفي مقابل حق المواطنة هذا تترتب التزامات التكافل مع الدولة، والولاية لها، لفظ كيانها داخلاً وخارجاً. وقد نقل الكيلاني (1997) عن محمد حميد الله أن الصحيفة نصت على: "أنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة، غير مطلوبين ولا مناصرين عليهم، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، للهود دينهم، وللمسلمين دينهم، موالينهم وأنتضمنهم، إلا من ظلم وأظلم، فإنه لا يوجد (أي يهلك) إلا نفسه وأهل بيته" (ص 22). وتبين من ذلك أنه يوجب الولاء لسياحة الدولة الموتية بتشريع الله ورسوله نظير حق المواطنة، وأن الفرد ملتزم بتوجه دولته، يحفظ سيادتها الخارجية، وأن القائم عليها خيانة عظمى، وإخلال به من الولاء المزود على المواطنة ما يكون تحت طأة المسؤولية.

1. الكيلاني، 1997، ص 23
2. د. ه، ص 19
3. د. ه، ص 19
4. د. ه، ص 19
8 الحَقّ في الاستِجارَة والأمان: وهو حقّ أثَبَتُه الإسلام لغير المسلمين، بأن يكون الإسلام دولة يرغب غير المسلم بدخول دار الإسلام بإذن المسلمين وموافقتهم. وهو صورة من صور الهجرة، إذ يفد غير المسلم، سواء أكان كابناً أم مشتركاً، من بلده الأصلي إلى دار الإسلام -طُوِّعاً أو كراهاً- فاصداً التّروج على الإسلام. وقد أعطى الإسلام ذلك الشخص غير المسلم حقّه في أن يستقبل ويُستضاف ويجاهد في عرض عليه الإسلام ويُعرّف بأنه قادم دون أن يُجبر عليه، فإن آمن به دخل في الإسلام بفضل الله ورحمته، وجرت عليه أحكام المسلمين. وإن لم يؤمن ورغب في البقاء في دار الإسلام، فتُحب إلى طلبه، ويعقد معه عهد ذمة إن كان كابناً، فتصبح "دنّيَّة"، أو يَعطى حق الأمان إن كان مشتركاً، فتصبح "مستأساً".

والمُشِّرَكين استَجَارَوا ركَّةٌ فَأُجِرُوا حَتَّى يَسْمَعُ كَلِمَتَهُمُ أَمِّهَ مَلِكَتَهُمْ ١

وقد أَكَّدّ الرسول صلى الله عليه وسلم حق الأمان، وأُقرّره حين أجازت الصحابة أم هانيَة بنت أبي طالب -رضي الله عنها- بعض المُشِّرَكين يوم تحرّكة. فقد رواه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسلمين، باب استَحُبَ صلاة الصحِي ٢. "أَمَّ أم هانيَة، قالت للرسول صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله، رضِمُ ابن أبي عليٍّ بن أبي طالب أنه قال رُجُل أُجِرْهْ فلَان بن هُبَرَة.” فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد أجزَأْتَ بِأَمِّ هانيَة".* ٣

____________________________

1 التوبة، الآية ٨
2 الجزء ٥ ص ٢٣١
3 في كنز العمال، الجزء ٤: ١٩٠.
وقد عدّ العلماء كأورد الشيخ سعيد Hardcover في الجزء الثاني من كتابه "الإسلام" (ص 17)
شروطً لعقد الزمّة والاستِجارّة، منها:

- لا يذكر الدّمي/المستَاؤن الإسلامي إلا مُحترِم.
- لا يفعل الدّمي/المستَاؤن الذي فيه ضرر على المسلمين.
- أن يجري على الدّمي/المستَاؤن أحكام الإسلام فيما خلّفه ويجوزه (كأن يقام عليه
الصومان حدة الزني لأنه محرم عنهم، ولا شيء عليه في الحُر يسمح به).
- وأن يُشرّح الدّكور الزحلي قُليًا لشروط للمستَاؤن هم: "لا ينكل أحكام المستَاؤنين
المقررَة شرعاً، ولا يشكّل خطرًا على عقيدة الأمة، وأمنها، وصالح الدولة العامة.

1. الحق في الحياة الحاصلة: فقد حرص الإسلام على الحفاظ على حياة الإنسان، وعلى
خصائصيه بحيث لا ينظر إلى عوراته في منزله، ولا يبتعد في سلطانه، ويكون في مأمن عن
عيون الآخرين وشغفهم ودخولهم عليه علواً. وقدّر الإسلام أن حرمة المسكن مقصود
شرعي في الكمالتي، 1997) فمنع تفحص البيوت وتدقيق النظر فيها، أو الرقاءة على رسائل
الناس ومراسالاتهم وقراءتها بغير إذنهم، وكذا كل ما يدخل في باب التجسس المهني عنه على
الرعاية والمواطنين.
- يقول الشيخ المعنوي: "همن الحقوق - التي تنشأ عن علاقات الأفراد فيما بينهم- والتي
يمتاز بها أهل الدَّمّة: ضمان حرمة المسكن، فلا يدخل عليهم أحد مساكني إلا بإذنهم، عملاً بعموم

1997، ص 227
1993، ص 98

149
النص القرآني: "إِنَّا أَنْفَقْنَا لَنَحْيَ ابْنَيَّ مُحَيّىٰ صَالِحًا ثُمَّ نَسَاهُ وَنَسَاهُ آخِرَةَ الْحَيَاةِ الْأُخْرَىٰ".

10. الحق في الاحتكام إلى شريعتهم فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية من زواج وطلاق وبيعاء ونحو ذلك -إن شاءوا-، إذ هم خيّرون بين الاحتكام لشريعتهم أو الشرعية الإسلامية. ولذلك سمح لهم الإسلام أن تكون لهم محكمة خاصة لحكامهم إلى إليها. وفيما يتعلق بالعقوبات، فقد قرر الفقهاء أن الحدود لا تقام عليهم إلا فيما يعتقدون تجريه كحلقة والزنا، وليس فيما يعتقدون حللاً كشرب الخمر وأكل لحم الحمر للنصارى (القرضاوي، 1996).

وخطاءً، فإن الإسلام أمر بالسمحة، وبلاطمة، وحسن المعارة، ورعاية الجوار، والبر والرحمة بغبر المسلمين. وتجلى هذه السماحة والرحمة في مواقف كثيرة سواء في البر والوالدين غير المسلمين، والإحسان إليهما ومصاحبةهما في الدنيا بالمعروف، أو الإحسان إلى الضعفاء واليتامى والمساكين، أو الإنساط إلى من لا يقال المسلمون في دينهم، وغير ذلك.

***************

1 الفرورد، الآية 27
2 (انظر أمثلة ذلك وتفصيله في القرضاوي، 1996، ص 136-41)

150
المراجع:

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد. (ت ٧٥٢ هـ). هداية الحياري في أوجبة اليهود والنصاري. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٣٩٦ هـ.

١٥١


المقالة الحادية عشرة

أحكام أهل الذمت في الدولة الإسلامية

*د- حمزة ذيبي مصطفى

مقدمه

يعتبر هذا الموضوع من الموضوعات الهامة في تاريخ علاقات المسلمين بغيرهم وعلاقة الدولة المسلمة بجميع أفرادها حين تنظيم العلاقة وفرض النظام والقانون، غير أن هذا الموضوع طويل ومتشعب ذو دوام كثيرة، ومن غير الممكن أن تختص به وريقات وعلى جناح السرعة كما هو الأمر هنا، إذ يوجد الباحث أن يكتب عنه الكثير الكبير، ولا يحصر القول فيه كتاب بمفردته، وهناك الدكتور الفاضل عبد الكريم زيدان الذي جمع ما تفرق من كتب الفقهاء ما وضع مجالين فيما يتعلق بهذا الموضوع في كتابه القيم "أحكام الدينيين والمسائمين في دار الإسلام"

* عميد كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة القدس - القدس
غير أن سأحاول جهدي ببيان الغاية والمراد من وراء مطلب هذا البحث من قبل
الأكاديمية الفلسطينية للبحث "باستن" التي تحاول جاهدةً تحرير الموضوعية والدقة في
البحث، وبيان الأمور على حقيقتها كما هي، جاهدةً في تجنب الصورة للإنسان المسلم في
الغرب الذي يخضع للأساليب الناتجة نفسها عن الموضوعية والدقة في الحكم على الناس
والأفراد، فكانت المحاولة لبيان حقيقة ما عليه العلاقة في فلسفة تحدداً ووجه خاص ما بين
المسلمين والمسلمين، وإن كان ذلك يصح لأن يعم على أجزاء الوطن العربي والإسلامي
كافة، حيث تعيش الأئمة المسلمون والآلاف المصدرين، وعند أولاء في جيئة هذا تستعمل على
بيان هذا الموضوع من الوجهة الحضارية والإنسانية ليست الفقهية فقط.
ولكن وإنما يبلغ مدى المسلم أولًا وكل إنسان موضوعي ثانياً بعض النظر عن فكرة أو
معتقد، البحث في موضوع مصطلح "أهل الذمة" وذلك لأسباب ووجهة عدة منها:

1-عدالة الإسلام وسماحته

من الممكن تدقيق هذه الترجمة بنص خالد من القرآن وهو المصدر الأول والأساس في
مصادر التشريع الإسلامي وفقهه العظيم، هذا النص هو قوله تعالى "لا إكراء في الدين" حيث
الإسلام لا يلزم أحداً في الدخول فيه ولتترك الأمر للإنسان كي يدخل وؤمن به عن طواعية
واختيار، وهذا كما في سماحة وحريته واعتداد، فيه أيضاً دليل قوة الإسلام، حيث هو دين
موافق للنظرة والمثل، ومن تبحر أحكامه ونظره قوة عملية موضوعية مجردة عن كل هوى أو

1 سورة البقرة آية 256
لبعض من الفقهاء استناداً مسلمي العرب من غير النصارى وقالوا: ليس لهم السيف أو
الإسلام

106
تعصب أدرك لا محاولة بأنه دين حق ونسائج وعقل، فجوانب أحكامه كافئة منسجية كل الإنسجام
مع المنطق الصريح السليم، ومتواقي كل التوافق مع مراحل الفطرة الإنسانية، ولا يسع الباحث والفاعل والموضوعي سو السليم والموافقة والإيمان، إذ على سبيل المثال أن من البدهيات والقواعد في جانب التشريع الإسلام أن الإنسان لا يكلف فوق طاقته بل ضمن قدرته واستطاعته كما في قوله تعالى "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها".
وقضة التيسير والتسهيل من قواعد الإسلام العظيمة، وذلك في قوله سبحانه وتعالى:
"يريد الله بكم اليسر ولا يرد بكم العسر". هذة بعض أمثلة من متطلبات الفطرة.
أما في مجال الحكم والقضاء والفصل بين الناس ف yıllarda الإسلام أوضح من الشمس في راحة الفناء، وعلي المسلم أن يكون بعيداً عن الحيف ولفظ الدم والجاني على الآخرين، وهذا ما نص عليه الكتاب الكريم في القول الجليل "ولا يرمنكم شتان قوم على ألا تعدوا، اعدوا هو أقرب للتقرب". وفي مجال الشهادة والإشهاد أمضت الشκاء أثناء الفصل في الحقوق أوجب الإسلام تحري الصدق والقول الفصل دون مغالاة أو سيحالة على حساب الحق ولو كان مع أقرب الناس للإنسان، وليس هناك شيء أوضح من النص الكريم إذا قلت فاعدلوا ولوكأن ذا قربى.
أما في قضايا المحافظة على حقوق الآخرين وأحوالهم سيما أولى الصعوب في المجتمع فكان رأي الإسلام صروحًا في ضرورة ذلك لدرجة أن القرآن عبر عنه بأن ذلك "عهد الله". قال جل شأنه: "ولا تقربوا مال البين إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوقفوا الكيل والميزان بالقسط.

1. سورة الإب 286
2. سورة الطور 185
3. سورة المائدة 8
4. سورة الأعراف 162
لا تكل نسراً إلا وسعاً، وإذا قلت فاعداً، ولو كان ذا قربى، وعهد الله أوفوا ذكماً وصَّأكم به لملكم تذكرون... ١

فلا إسلام لم يفرض نفسه على أحد لحكمه بالغة حيث النفس من طبيعته، النفور مما يفرض عليها، ولكن الإسلام جعل ذلك ماطلاً بعقل الإنسان وقطرته، والإسلام فيه كل الموافقة للعقل والفطرة، ولا يسم المنصف حيث البحث والدقيق والمقارنة والمفاضلة إلا أن يختارَ دين الله سبكانه ومعال، وهذا سبب ثقاف الشعوب بالإسلام إلى أوروبا هذا منذ أن عرفه وأنتم به في حين نرى المبادئ التي الزم الناس بها وفرضت عليها دونها قناعة سرعان ما تركت ومثلها أصحابها منذ منتحهم حرية الحمس أو الترك لها كما رأينا ذلك في الكتلة الشرقية مع مبادئ الشيوعية.

٢ - سعة فقه الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان رغم أن الإسلام جاء قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان وطراً على الحياة البشرية الكثير من المنحرفين، واستجد الكثير من الأشياء، وتعاون على القرون الكثير من التفاوت، ودخل إلى حياة الناس ما لم يكن متوقعاً أو متصرفاً في يوم الأيام والإمساك على ذلك أكثر من أن تخصى. فال أمر والتجارة هذه ألا يكون الإسلام صالحاً للأزمنة المختلفة والمساهمة، وكذلك اعتبار نتائجها وتاريخها، فضلاً عن أن يكون الأفضل والأحسن على الدواء رغم الظروف الكبيرة. فحينما تنظر إلى القوانين المعاصرة وإلى آخر ما ابتدع الإنسان من نظام وتشريعات تجسد أن الإسلام أوفاه وأشملها وأعظمها، وتحسس بل يتبين لك أن النقص في التشريعات التي ابتدعها الإنسان ووضع فيها

١ سورة الأنعام ٥٢
- كي تكون صالحة - أقصى ما يستطيع من فكر وجهد عقلي ومعرفي رغم كل ذلك نجد النقص والخلال قد ازداداً، وأنها غير واضحة البدعة حين مقارنتها بالشرع الإسلامي وأنه هو الأكبر دقة وشمولية وقدرة على معالجة قضايا الإنسان العصر سواء أكان ذلك من متعلقات الجسم أو النفس أو العقل، وهذا لا يعني إلا لأن الإسلام دين الله وهو النظام والشرع الذي أرضاه الخالق لبني البشر إلى أن نزد الله الأرض ومن عليها.

وصدق الله حيث قال "أحكموا الجاهلية يغون ونأحسن من الله حكماً تقوم بهن".

3- معالجة الإسلام لهذا الموضوع (أهل الذمة) تاريخياً

جاء معالجة الإسلام لهذا الموضوع أهل الذمة في وقت كانت البشرية تستبره في جوانب الحياة الكثيرة، ومنها "الشرع والقين" وإن الناظر إلى طريقة معالجة الإسلام لموضوع أهل الذمة تجد الدقة المتاحة والنظرة العادلة الشاملة، حيث استحدث الإسلام النظرة الشرعية والفقهية لهذا الجانب من قوانينه الكثيرة والمحددة والمملحة لكل نواحي الحياة، جاء ذلك متساقفاً مع عدالة الإسلام وسماحته وشمولية تشريعه، وهذا ما ستعترف عليه حيث الكلام عن الأحكام بكل سماحة ووقعة ولقاء، كل ذلك أثناء طفولة البشرية أو تأخرها في تلك العصور، ولم تكن البشرية قد تطورت تطورها الحالي في مجالات الحياة كافة ومنها الشرعيات، كما لم تكن تعرف حينها ما يعرف ب "مبادئ حقوق الإنسان" ولم يكن شعار الثورة الفرنسية قد رفع بعد وهو "العدلة والحريه والمساواة".

1 سورة المائدة 50.
فأي عدالة قديمة أو معاصرة تضاهي وتقبل عدالة الإسلام؟ وأي هامش من الحريات النافعة للإنسان والبشرية أوسع وأكبر من الهامش الذي أفرده الإسلام؟ وما أفرد الإسلام هذا الهامش؟ قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرونا من الزمان حيث كانت عهود الظلم والبطش والدكتاتورية، وقبل معرفة إنسان القرن العشرين المبادئ ومنظمات حقوق الإنسان ومواقف جنيف للحرب والسلم، وبرحم الله الفاروق عمر حيث قال: "سن استعيدتم الناس وقد وادتهم أمهاتهم أحراراً؟ ولن قال هذه العبارة عمر؟ هل قالنا لعامة الناس أو الضعفاء منهم؟ أم قالنا للسوقة والرعاية؟ أم قالنا في مسجد الناس والآخرين؟ لقد قالها لرجل وقائد وزعيم ومسلم كان من أعظم الرجال والقادة في التاريخ الإسلامي، قالنا لمسور من العاص حاكم مصر وعريسا، والقصة في ذلك معروفة ومفهومة.

ويأتي مساواة أفخر وأدق من المساواة التي فرضها الإسلام على أتباعه كي يكون الناس جميعاً سياسياً أمام الحق والقضاء والفصل، لا فرق في ذلك بين قائد وجندي وعسكري وفردي عادي؟ كيف وقد مثل أمير المؤمنين على بن أبي طالب أما القضاء مع رجل من عامة الشعب ولم يكن مسلماً أيضاً بل كان يهودياً، والأقوى من ذلك والأقدر في شريعة الإسلام أن يحكم اليهودي في ذلك الجلس على الإمام علي أمير المؤمنين مع أن الحقد عليهم غير أن أمير المؤمنين كان يقتصر في الدليل كي يكتب القضية مما أثر ذلك كثيرا في نفسية الرجل اليهودي فما كان منه إلا أن أعلن إسلامه.

4- رحمة الإسلام بالناس

هناك الكثير من أصحاب المبادئ المروي لدماء سافكين سفاحين ما أن يستطيعوا التحكم في رقاب العباد حتى يعملوا فيهم السيف أو الحراب، ف gemeins من
مبدأ أو ضمير، ولا يسمحون بالهافت لهم، يعيش في لا يجب له أن يبيع. والأسلحة على ذلك من التاريخ الماضي والحاضر كبير جداً. إذ مما إذا صنع نبوخذ نصر حينما دخل بيت المقدس؟ وماذا صنع دو نواس في نصاري مدينة نجران حينما خافه ورفضوا أن يصبروا دينه ومعتقد؟ وكان قد خيرهم بين القتل أو اتباع الملة اليهودية حيث كان هو كذلك، فاختاروا القتل على أن يدخلوا ملته ويبدوا عقيدته فأنحرقه باللبار وقتل منهم بالسيف من قليل وقليل بهم شارم تمثيل، فقد المؤرخون عدد القليل ب "عشرين ألف" وفي قصتهم نزل قول الله تعالى: "قتل أصحاب الأحاديث، النازذ الذات الوقود، إذ عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود". 1 بل وماذا فعل النار بالمسلمين حينما دخلوا عاصمتهم بغداد؟ لقد عادوا في الأرض فسادا فقثلوا ونهوا وأحرضا، إذ قتلوا في بغداد كما قال المؤرخ العالم ابن كيران ألف ألف نسمه. 2 وألقوا من مخزون مكتبات بغداد في نهر دجلة والفرات ما جعل مياه التهرين سوداء لمدة أسبوع من كرمه ما القبي من المخطوطات المكتبية بالملاد الأسود، وهذا بالفعل ليس ضد الإسلام والمسلمين فحسب لا بل ضد الإنسانية جمعاء. 3 إذ العلم وال المعارف ليست حكرا على أمة أو طائفة أو جماعة.

وماذا صن العميان المسلم الأندلس؟ لقد قلواهم شر قتلة وأذاقوا منهم من صنوف العذاب والاستعمال العرقي ما تشعر له حتى جمل الحيوانات.

وماذا فعل الصليبيون المسلمين في بادية المقدس؟ في المقابل كيف عاملهم صلاح الدين الأيوبي حينما اتصر عليهم؟ فشان ما بين المعاملتين. وماذا فعل بجميعها أو حفنة من

1 الآيات من سورة البروج من 74
2 البداية والنهاية
3 نظر كتاب: "تاريخ مسلمي الأندلس" المؤرخون "تأليف: الإسباني أنتونيو دومينيغر والفرنسي: برنارد نينو"
الفلسطينين المدنين العزل في خيمي صبرا وتشابلا في بيروت في عمليات الاجتياح لهذه المدينة سنة 1982.

وأخيراً وليس آخراً البارحة في العصر الحديث عصر مبادئ حقوق الإنسان و자وقي
جنود، ماذا فعل الصرب بمسلمي كوسوفا من القتل والبطش واحرار المنازل واغتصاب النساء وقتل الأطفال وتهرب بطلون الحوامل وتشريد المدنين ويجهزهم من أراضيهم؟

ولكن لننظر في المقابل كيف عامل الإسلام أهل الكتاب، فهل حكم عليهم بالإعدام والقتل والشرد كونهم لم يدخلوا في الإسلام؟ وهل سبق أن قتل مسلم واحداً من أهل الكتاب بحجة أنه لم يسلم؟ أم أن الإسلام عامل أهل الكتاب المتعاملة الحسنة الكرية، بل حتى عند الجدل أمر القرآن الكريم باللا تجادل أهل الكتاب إلا بذي حسن؟ قال تعالى: " ولا تجادوا أهل الكتاب إلا بذي أحسن 1."

لقد وضع الإسلام تشريعًا خاصًا بأهل الكتاب كي يحافظ عليهم وعلى مملكتهم وكناشهم وحريتهم الدينية، وضمنهم كافة حقوقهم، وسأرى بعد قليل بعض التفصيلات في هذه الحقوق والأحكام المتعلقة بها، ولا أدرى أسرية عظيمة هذه للإسلام أم مذمة؟ وصدق المشاعر: كمن منطق في الحقيقة تقلب:

ولأيام بين الناس دول، فكم سادت دول ثم سادت وعُظمت إمبراطوريات ثم اضمحلت وانهت، والإنسان يوم حاكم، وأخر حكم، فأها أفضل لأهل الكتاب في فترات الضعف أن يلاحظوا شر ملاحظة ويعطدهم وبذوا فضلاً عن الفيتال والتشريد أم يخفظ دماؤهم وأموالهم.

1 سورة العنكبوت 42
وضمنها ويبقى في ديارهم مع أمن مطمئن ويعيشون بكل حرية مع توزع كل دواعي الاستقرار الهادئ.

سأرى أهل الديمة ألا يكون حق بينهم وبين أهل البلاد أو المسلمين في الحقوق والواجبات.

وأنا ما كانت المناصب الوضعية والرفيعة والوظائف البسيطة والعالية بينهما سواء فلم ينتشل التحور أو الدم لذا العقد الذي فصاز وجل ما فيه المحافظة على أهل الكتاب بكل ما تحمل كلمة "المحافظة" من معنى وغابية؟

ويعلم أن هناك بعض الوظائف مقصورة على أهل الكتاب، ولا يعاب الإسلام في ذلك ولا تعاب التصريانية أو اليهودية - إذا قبل أحد من أهل الكتاب قبل أن يقبل مسلم وظيفة راهب في كنيسة أو حير في كنيسة؟ أم هل يقبل النصارى لأجل مسلم أن يكون مكاناً للبابا في الفاتيكان؟

فهل رفض المسلمين بعض المواقع أن يبواها واحد من أهل الكتاب يعد ذلك عيب

وقد ودمعة للإسلام والمسلمين؟ في تصويري وتقديري أن كل من يعيب على المسلمين موضوع "أحكام الديمة" لا يكون فائحاً معنا، ولا يعيرنا الفلسفة ولا الحكمة من وراء ذلك أو يكون التصفح والتحري هو المسير عليه، وللموازنة لا رأيه وأفكاهه، وفي هذا من الخطأ والمخلط ما فيه.

هذه بعض حال اضطرار لكتابتها في مقدمة هذه الورقة المتعلقة بهذا الموضوع، نظراً لظروف الكتابة وظروف صبر هذا الموضوع من الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية "بالمبنا"، إذ كان الطيح أن تحولها أو كما ما يقال من بعض فلسطين النصارى وباحثين غربيين عن موضوع "عهد أهل الديمة" فرغبت في هذه المقدمة التي رأيتها ضرورية قبل الدخول في تناول أحكام هذا العهد لأن أحكام هذا العهد واضحة في الشريعة الإسلامية وهي محل اتفاق وليس
هناك كبير خلاف حولها بين علماء المسلمين وكل من رجع إلى كتب الفقه الإسلامي ومصادره.

يجدها بكل وضوح وبسند:

أهل الدعوة

الذمة في اللغة بكسر الذال المعجمة العهد ¹ وتبت أيضا الأنام والكفاية، والحق والحرمة.

وهذّ اللذمة: هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم من يقيمون في دار الإسلام.

وتمّد اللذمة أو يرمعقد اللذمة لأهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى ² وذلك بنص الآية الشهيرة من كتاب الله وفينا "حتى بخطوا الجزئة" ³، وكذلك الجموض، وقد ثبت جواز عقد اللذمة لهم من السنة في قوله صلى الله عليه وسلم "سنوا بهم سنة أهل الكتاب" ⁴. كما أخذ صلى الله عليه وسلم الجموض من بضع بصر، أما غير هؤلاء فن身心健康 في خلاف بين الفقهاء بين مفصل في كتب فقه الإسلام لم رغب الاستزادة.

وأنا هنا مجحّم لإما يعتني موضوع أهل الكتاب تحديدا والنصارى بشكل أخص نظراً

للمجهدة التي طالبت بالبحث والواقع الذي قرأ الفكير في هذا الإجراه نحو هذا المنحي.

¹ القاموس المحيط: ١١٥/٤
² المعجم الوسيط: ٢١٥/١
³ جاء في نيل الأوطان: ٢٥/٨: قال في الفتح: فما اليهود والنصارى فهم المراد بأهل الكتاب
⁴ لغة: وفينا: الأحكام السالفة ص: ١٤٣-١.
⁵ جزء من أثرك ٢٩: التوبة.
⁶ ضعيف للاقتحام، لكن له شاهد رواه الطبري في فتح: سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب.
⁷ والعمل على هذا عند فقهاء الأمة الإسلامية.
⁸ رواه البخاري وابو داود والتزمدي وأحمد.

١٦٤
 صفقة عقد الزمة

عقد الزمة عقد لا يلزم في حق المسلمين لأجل الزمة فلا يملك المسلمون حقه ما لم يحدث من الشيء ما يقضي نقصه، وأما في حق من غير المسلم فهو عقد غير لازم إذ يحتل النقص من جهة.

بم يصبح غير المسلم من أهل الزمة؟

هناك صور عدة يصبح من خلالها غير المسلم ذميًا سواء أكان من أهل الكتاب أو العقيدة أو سواهم على حد قول من بيّن ذلك من فقهاء المسلمين، وهذه الصور هي:

١ - العقد:

وهو أن يقيم الإمام للذمي عقدا باللفظ وهو الإجابة والقبول مثل العقود الأخرى، أو ما يقيم مقام اللفظ ككتابة أو الإشارة وذلك كان يطلب الحرفي من الإمام عقدًا فعبر له الإمام هذا العقد.

٢ - القرآن الدال على رضاه بالزمي:

هناك قرآن تقوم مقام العقد إذا ما تحققت صار غير المسلم ذميًا، ويجري عليه حكم الزمة.

الدالة على رضاه بالزمي:

١ - هذه الصور موجودة ومثبتة في كتب الفقهاء بصورة فيبنت تفصيل غير أن الدكتور الفاضل عبد الكريم زيدان في كتابة "أحكام الدمشيين" نذكرها بصورة مفصلة ومفهومة، ومرتبة فازرت هذا الترتيب.

٢ - انظر: نهاية المحتاج إلى شرح المناهج ١٩٣١/٧، فتح العزيز ١٩٩٩/١٠٠-١٠٠.

٣ - بدائع الصنايع ١١٠/٧
أ- الإقامة في دار الإسلام:

الأصل في الحريبي أن يتم في دار الإسلام ولا يسمح له بالإقامة الطويلة أو الدائمة، وإذا
يسمح له فترة وجيزة يكون من خلالها بالإقامة الخفيفة قضاء بعض الحاجات أو التنقل، وقد
قدره فقهاء الحنيفية والشافعية أقل من حول 1. أما إذا أقام صاحب العهد أو المستأمن في
دار الإسلام مدة يفهم منها رضاه ورغبته بالإقامة الدائمة والدخول في الدار فإنه يصير والحالة هذه
ذمتا وتطبق عليه أحكام أهل الدار، ولذا التصور حالات تص عليها في كتب الفقه وهو معلومة
بصورها وأشكالها، غير أنها تدور على مدة الإقامة هو حول كامل أو أكبر، فإذا ما أقام هذه
المدة أو أكثر بعد ما يطلب منه الخروج ومنفاذة البلاد فإنه يصح ذميا بالقرن هذه 3.

ب- شراء صاحب العهد أو المستأمن في دار الإسلام أرضا خرجية

إذ يصح صاحب العهد أو المستأمن ذميا فيما إذا اشتري أرضا خرجية فزوعها
ووضعت الدولة عليها الخراج، وتعلن ذلك أن الخراج وظيفة مالية لا يلزم بها إلا من كان من أهل

1 قال المارودي من الشافعية: ولأهل العهد إذا دخلوا دار الإسلام الأمان على نفوسهم وأمواتهم
ولهم أن يقيموا فيها أربعة أشهر بغير جزية، ولا يقيموا سنة إلا بجزية أرـه. الأحكام السلطانية
1416.

2 انظر المبهث: 84/10، البديع: 110/7.

3 أصل الخراج: الغلة التي فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على فلاحي سواحل العراق.
يخرجها أهلها كل عام من إنتاج الأرض، ثم أصطفى الخراج على كل بلاد افتتحت صلحاء
ووافق على غلة يخرجها أهلها كل عام مقابل تلكم الأرض أو إقطاعهم منها وإتقاعهم بها. انظر
كتاب: الخراج لأبي يوسف، الأحكام السلطانية: ص 142.
الإسلام: فعينما يقوم المستأمن بشراء الأرض ورعايتها والاستفادة منها، كان ذلك قرية تدل على الرغبة في الوطن والإقامة.

1. الزواج

إذا ما تزوجت صاحبة العهد أو المستأمة رجلاً من أهل دار الإسلام فإنها تصبح ذميمة بهذا الزواج، حيث المرأة تابعة لزوجها حيث حل التجبة للدار. فإذا تزوجت مسلماً أو حتى ذميًا وهو من أهل دار الإسلام، فإنما يدل ذلك على رضاها بالإقامة في هذا الدار على وجه الدوام. يمكن الرجل لا يصير ذميًا إذا تزوج ذميمة لأنه غير تابع لها فلا يدل حبندز زواجه منها على رضاه بالدخول في عقد الذمة. وهذا ما عليه الحنيفة، إذ ورد في شرح السير الكبير ما نصه: قد بينا أن المرأة تابعة للزوج في المال، والزوج لا يكون تابعاً لامرأته، فإذا تزوجت المستأمة في داراً مسلماً أو ذميًا صارت ذميمة لم يكافح المستأمن إذا تزوج ذميمة وعلى هذا لو تزوج مستأمن مستأمة في داراً، ثم صار الرجل ذميًا كانت ذميمة "أ. هـ".

وقال السرخي: "الحريبة المستأمة إذا تزوجت مسلمًا أو ذميًا فقد توطنت وصارت ذميمة لأن المرأة في السكن تابعة للزوج، لا ترى أنها لا تملك الخروج إلا بأذنها، فجعلها نفسها تابعة لمن هو من دارا رضا بالوطن في دارا على التأيد، فرأى بذلك دلالة كافّة فيما يتعلق الإنصاف.

فلهذا صارت ذميمة "أ. هـ".

---

2. ح 4/110.
3. المسوط: 10/184, 60, انظر البدائع: 7/110.
الذمة بالتبعية

هناك حالات يكون فيها غير المسلم ذمياً بالتبعية، من هذه الحالات:

أ. الأولاد الصغار:
نص كبير من قضاة الإسلام كقاضي الحنفية والحنابلة والمالكية على أن الأولاد الصغار
يدخلون في الذمة بعدهما آبائهما وأمهاتهما إذا كان هؤلاء الآباء ذميناً. جاء في شرح السير الكبير ١
نصه: ولو دخل حربي مع أمهاتهم، ثم دتنا بأمان ومعهما الأولاد صغار وكبار، فأسلم أذههما فالصغار
من الأولاد صاروا مسلمين تبعاً لتلك أسلم منها. ١٠٠٠ ولو صار أحدهما ذمياً كان الصغار من
الأولاد ذمياً تبعاً له أهله.
وجاء في المغني في الفقه الحنبلي ٢ ما نصه: ومن يبلغ من أولاد أهل الذمة أو أفاع من
مجانين فهو من أهلها بالعقد الأول لا يحتاج إلى استناف عقد له أهله.
أما المالكية فقد جاء في القوانين الفقهية لأبي جزيه ٣ لا يعقد الذمة إلا الإمام. ولا
تعقد إلا ككافر حسب ذكره، قادر على أداء الجزية ٤ فإنما المرأة والعبد والصبي فهم أتباع ولا
جزية عليهم أهله.

١٢٠٠٠١١٩/٨
٠٨/٨
١٣٨٠ ص ١٣٧
ب- الزوجة
ما قبل في فقرة "ج" تحت "الزواج" يقال هنا حيث الزوجة تمنع الزوجة إذا لو أسلم الزوج وكان من أهل دار الإسلام فإن الزوجة تصبح ذمية وكذلك لو صار الزوج ذميا وهو في دار الإسلام فإن الزوجة تصبح ذمية كذلك جاء في السير الكبير وشرحه وهو يذكر بطول توبة المرأة لزوجها 1 لأن المرأة في المقام الأول تابعة لزوجها بالnzeلة ما لو تزوجت بسلم إبتداءا 2 وكذلك إذا صار الزوج ذميا لأن الذي من أهل دارنا كمسلم أه.

ج- القيط
اختفت في حكم القيط بين الفقهاء، فقد ورد عن فقهاء الشافعية والحنابلة أن القيط يعتبر مسلما إذا وجد في أي مكان من دار الإسلام ما دام فيها مسلمون 3 أما إذا لم يكن في المكان أحد من المسلمين لا يحكم بإسلامه، جاء في المغني لابن قدامة 4: قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم عن أن الطفل إذا وجد في بلاد المسلمين ميتا في أي مكان وجد أن غسله ودفنه في مقابر المسلمين يجب 5 وقال: إذا وجد القيط في قرية ليس فيها إلا مشركون فهو على ظاهر ما حكموا به أنه كافر أه. أما فقهاء الحنفية فقالوا: يعتبر القيط ذميا إذا وجد في مكان أهل الذمة كنبرة من قواهم أو معبد من معابدهم.

1 90/4
2 81/0
3 178/14

169
٤- الدزمة بالغلبة والفتح:

هذا وضع آخر وحالة أخرى يكون غير المسلم ذمياً في حالة فتح المسلمين بلاداً غير
إسلامية، وأرَى الإمام أو الخليفة ترك أهل هذه الديار أحراراً بالدزمة لضرب الجزية عليهم والخروج
على أراضيهما، كما صنع عمر بن الخطاب مع أهل العراق حينما فتح سوادهم.

سَيْ تَنْقَضُ عَقْدُ الدُّمَى؟

اختالف الفقهاء فيما ينقض عقد الدزمة، فذهب الحنفية إلى أن العقد ينقض بإسلام
الذي وَقَالَ أَنَّ الدُّمَى عَقْدَة وَسَيْلَة إِلَى الإِسْلَامِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصْلَ المَقْصُودْ فَلا يَقُلُّ عَقْدَ
الدزمة. كما ينقض ترك الذمي لدار الإسلام، ولهوه دار الحرب، وهو بهذا اللحق تكون صلة
قد انقطعت بدار الإسلام وصار من أهل دار الحرب.

فَوَالدزِم أَيْضاً بَيْنَ الذِمِينَ عَلَى مَوْكِبَة المُسْلِمِينَ؛ فَإِذَا صَبَحَ الذَمي بِذَلِكَ مِخَارِبَا
للمسلمين ما يجعل عقد الدزمة منفوضاً، حيث من جوهرات هذا العقد حينئذ.

أَمَا غَيْرَ فَقْهاء الحنفية فقد توسعا في الأسباب المؤدية إلى نقض هذا العقد، فمن ضمن ما ذكروا
: كَانَ يُبْتَغَ مِنَ التِزام أَحاِمَ الإِسْلَامِ، أو طَلُبَهُ فِي الإِسْلَامِ أو الْقُرآنِ، أو سَبْعُ الله تَمَالِكَ، أو ذِكْرَ
الحقوق المترتبة للذمي

هناك الحقوق الكبيرة المترتبة لأهل الذمة على المسلمين ودولتهم على الدولة الإسلامية.

أن تحظى هذه الحقوق لهم وتحمل جاهدة على تأمينها وعمل بها ورعايةها وهذا الذي كان وتم طيلة فترات التاريخ الإسلامي ولا زال، وإلى بعدها هذا ومن هذه الحقوق:

1- الحفاظة على شخصية الذمي وتأمين حريته

لقد أوجب الإسلام الحفاظة على الذمي ضمن تصوصه العامة، وكل حريته في التنقل والذهاب والإياب، إلا أن الذمي في كل ذلك أن يكون أماما على نفسه وماله، قال تعالى: "إن الله لا يحب المعدين". كما منع الاعتداء الآثم فقال سبحانه: "فلأعدوا إلا على الظلمين". فالإسلام حرم الظلم للمسلم وغير المسلم، قال تعالى: "وما ربك بطلم للعبيد". والذمي من ضمن عباد الله، واجاه في الحديث القدسي: يا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بكم محرم فلا تظلموا". وهذا ضعام لكل عباد الله في الأرض.

2- سورة البقرة: 190.
3- سورة البقرة: 193.
4- سورة فصلت: 46.
5- رواه مسلم.

171
كـمَا أن هـناك نصوصًا تنهى عن ظلم أهل الـذمة تحديداً وتأمر بالمحافظة عليهم، وصرف أي اعتداء عليهم وإن قلٍ. 1 روى الإمام أبو داود في سنـته رجـه الله تعالى بـسند مرفوع عن عدة من الصحابة صلى الله عليه وسلم: "ألا من ظلم معاهداً أو انقضى، أو كفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بل عين نفس فأنا حجيـه يوم القيامة". 2

والنصوص في ذلك واضحة وجلية، وعلى هذا سار الخلفاء المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ خطوا لأنفسهم نهجاً استقروا من مدرسة النبأة الكبرى، فقد ورد عن الفاروق في حضنه على حفظ أهل الـذمة والوصية بـهم قوله: "أوصـي الخليفة من بعدي بأهل الـذمة خيراً، أن يوفي بعدهم وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفـهم فوق طاقتهـم أهدٍ". 3 كما كان في أيام حياته يوصي عماره داتا بأهل الـذمة وسأل الوفود القادمة على المدينة ليتأكد من أن وصاية رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام بأهل الـذمة محققة ومعمول بها. 4 روى الطبري في تاريخه أن عمر بن الخطاب سأل وقت البصرة: لعل المسلمين يضروس تلبس الـذمة لأيدها كما قالوا: ما تعلم إلا وفاء أهٍ. 5

وها هو الإمام علي في بعده يسير على نفس الخطأ فيرفع عقيرة المساواة ما بين المسلمين والذين إذ يقول: إنما بعدوا الجرية لتكون أمواـهم كـموائنا ودماوـهم كـمأوائنا أهٍ. 6

---

1 نظر كتاب: الخراج لأبي يوسف ص 116-126
2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 2622
3 كتاب الخراج لأبي يوسف: ص 125 والخراج ليحيى بن آدم: ص 74
4 218/4
5 المغني لأبن قدنم: 445ء، البيداغ: 111/7
وهذا هو خط سير المسلمين قاطبة في الفتوحات الإسلامية. كتب التاريخ حافلة بالمناخ وولا خشيته الإطالة لذكر من ذلك الكبير، كما أن ققهاء المسلمين قاطبة أوجدوا على المسلمين رفع ودفع الظلم عن أهل الدمة وأموَّوا بالمحافظة عليهم وعلى ممتلكاتهم. جاء ذلك في حق المسلمين وحكامهم، إذ من الققهاء من خاطب حكام المسلمين بشأنهم كما هو الحال مع الإمام أبي يوسف وأمير المؤمنين الشهيد رحمه الله، فقال في وصيته للرشيد كوقد ينبغي يا أمير المؤمنين: أبدك الله - أن تقدم في الرفق بأهل الدمة نبيك وابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم والطوف لهم حتى لا يظلموا ولا يؤدوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أمواتهم إلا بحق عليهم. 1 

وقضية الفقيه الأوزاعي في انتصاره لأهل الدمة من لبنان والدفاع عنهم بكل قوة لدى الوالي العباسي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس شهيرة معروفة. 2

2- حرية في التنقل والإقامة:

فالأهل الدمة حرية التنقل كما شاءوا ولهم حق الإقامة أينما شاءوا لأنهم ثماناً كأهل دار الإسلام لا فرق بينهم وبين المواطنين المسلمين.

---

1 الخراج لأبي يوسف: 125-124
2 أنظر كتاب: الأموال لأبي عبيد: 170-171
3 سوى ما استنتني من ذلك الحكمان الشريفان مكة والمدينة، ويتبعهما الحجاز في عدم جواز السكنى فيه

173
3- خروجهم من دار الإسلام وعودتهم إليها:
لأهل الدهم الحق في الخروج من دار الإسلام إلى أي مكان يشأونه تجاوزة أو غيرها شرطة ألا يتحقق بدار حرب على الإسلام والمسلمين أو كان القصد من السفر والخروج الإضرار بمصالح المسلمين.

4- إعتناتهم والقبض عليهم
لا يجوز إعتنات أهل الدهم أو إلقاهم القض على أحدهم أو مساعدتهم إلا مجزأ أو مجازر بهم، والظلم كما أسلفنا محروم وفي حق الذمبي بصورة أكبر، ومن القواعد العامة في الشرعنة الإسلامية "لا جريمة ولا عقوق إلا بنص"، فلا يجوز إعتنات الذمبي أو حبسه أو توقيفه إلا بموجب ذلك قانون ونظام.

5- حرية العقيدة الدينية
إن من موجباتعقد الدهم كفالة الحرية الدينية لأصحاب هذاعقد، وإلا ما هو الموجب لعقد الدهم إذا لم تكن الحرية الدينية مكولة ومضمونة؟ ناهيك أن الإسلام لمجبأ أحدا على الدخول فيه حيث الآية الكبرى صريحة وجلية، إذ تقول "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، ولأن الإسلام قد أمر بالأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وعلى رأسها الإيان بالله وتحيده، إلا أن الدعوة شيء والإكراه شيء آخر، إذ الدعوة سبيلها الحكمة والمعوضة الحسنة، قال تعالى: "ولا تجادوا.

---
1 انظر المغني: 530/8
2 البقرة: 256

174
أهل الكتب إلا بالتي هي أحسن " والنصوص من الكتب والسنة في ذلك كبيرة وواضحة وولا خشية الإطالة في هذه الورقة لذكرت المزيد من التفصيل سيما فيما يتعلق ببعضها وكلاً من أهل الكتاب، حيث لا يجوز هذهما أو الإعتداء عليها أو تخريبها، وكتب الفقه حول هذه القضية تزخر بالقول الجميل والفصيل، قول دال على سعة أفقي ودقة فهم وروعة شريفة، وسماحة دين، ومن أراد الاستزادة فليراجع إلى المصادر وكتب الفقه التي تناولت هذا الموضوع، وقد أشرت إلى بعضها في

الحامش.

٦- حرية التعليم والعمل

لا فرق بين مسلم وصاحب عقد الدّمثة في حرية التعليم فإن للذمي الحق الكامل في التعليم وتعليم ذرياتهم مبادئهم الدينية ولم الحق في إنشاء المدارس الخاصة بهم كما هم المسلمين.

أما العمل فلا هلل الدّمثة الحق في ممارسة ما شاء أو من أعمال ووظائف وتجّارات إلا ما حرم الإسلم على المسلمين أنفسهم كحُرمة التعامل بالربا وبيع الحمور والخنازير، ولتحقيق الحمور اليوم المخبرات بكافة أنواع هذه السّموم، وفيما يتعلق بالوظائف فلأن رأى الإسلام الأول الحديث حافل بالأمثلة على اعتلاء أهل الدّمثة رفع المناصب ومنها الوزارة فإذا جاز للذمي أن يكون وزيراً في الدولة الإسلامية فدونها من باب أولى.

---

العنقوبوت : ٤٦

١٧٥
2- حرية الإنسان

دعاء الإسلام لِيكون الإنسان حريًا بلا عبأ، وعلى الإسلام الرق نفسه وعلوًة، فقد جاء الإسلام وكان الرق مستمرًا لدى العرب ولدى الشعوب الأخرى كالهنود واليونان والرومان والفرس، ودعوا إلى تحرير الأرقاء بطرق شتى، وحجف منابع الرق حتى لا تكون طاقة جديدة من الأرواح في المجتمع حتى استطاع القضاء عليه بعد أن قبض العبيد معنى الحرية وكانوا قادرين لِأن يعيشوا بكرامة واستقلال واعتماد على النفس. وتأكيدًا لمعنى الحرية وتغييرًا من العبودية قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه "باستبدال الناس وقد ودتهم أمهاتهم أحرارا". وفي رواية "لم استبدلتم 2000 قال أمير المؤمنين هذه العبارة التاريخية لِوالي مصر عمرو بن العاص ولابنه الذي اعتدى على الفتوح في مصر.

3- العدل في الإسلام

يدعو الإسلام إلى العدل في مجالات الحكم والقضاء والشهادة والفصل بين الناس والتعامل فيما بينهم، وعلى المسلم أن يكون بعيدًا عن الحيف والظلم والرجوع على الآخرين. فيقول الله سبحانه وتعالى "لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للقوى". ويقول عز وجل أيضاً "وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى فلا يجد من تحقيق العدل بين الناس جميعًا سواء كان الطرف الآخر قربًا أو كان بعيدًا وسواء كان صديقًا أو كان عدوا.

1 سورة المائدة الآية 8
2 سورة الأنعام الآية 152

178
4 - العلم للجميع

لقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالتعليم قراءة وكتابة، وليبان مدى اهتمام الإسلام بالتعليم كأنّ أول الآيات نزلًا في القرآن الكريم حول الحديث على القراءة والخط والكتابة فيقول عز وجل: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكبر، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" 1. والرغم من أن التوحيد هو أصل في الإسلام، إلا أن الله سبحانه وتعالى طالب الإنسان بالقراءة والخط والكتابة قبل مطالبه بالتوحيد والعقيدة والعبادة، وذلك لبيان أهمية التعليم، وأنه لا يكون التوحيد صحيحًا ولا سليماً دون التعليم، لأن التعليم هو الذي يقود الإنسان إلى الحق والحقيقة، إلى البناء والثبات، إلى المرارة أو المرء، ويسهم في هذا المقام أن أورد تعقيبة الإمام الزمخشري في تفسيره (الكتاب) حول هذه الآيات الكرية يقول: "فدلَ على كمال كرم الله سبحانه وتعالى للإنسان بأن علمنه عباده ما لم يعلموا، وظلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبع على فضل علم الكتابة لما فيه من المناقشات العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو، وما دون العلم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبارها الأولى ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا الكتابة، ولا هي لما استقامت أمور الدنيا والدنيا، ولم يكن على دقيق حكمة الله وطيف تدبره دليل إلا أمر بالعلم والخط لكي نرىه" 2. وما من شك أن الكتابة ساهمت مساحة كبيرة في حفظ القرآن الكريم كما حفظت كتب التوحيد والتفسير والفقه وسائر علم الشريعة واللغة، فلولا الدنيا والذين لذهب بها.

1 سورة الطالب الآيات من 50-51
2 تفسير الكتاف للزمخشري الجزء 2 ص 556 وتفسير النسفي الجزء 4 ص 368
الإصرار وصارت نسبياً منسية، لأن ما كان يحفظ بالصدور قد ذهب بوفاة الحفاظ، وبهذا ظهرت المحكمة الإلهية في الأمر بالكتابة بصرف القرآن الكريم.

وتيرش هذه الآيات الكريمية إلى ما يأتي:

1- وجب تعلم القراءة، ومن المعلوم بدلاً أن القراءة هي بداية المعرفة بالنسبة لكل إنسان.

2- وجب تعلم الخط والكتابة، ومن المعلوم بدلاً أن الكتابة هي لنشر المعرفة بين الناس، وأن القلم الأداة الفاعلة الفعالة في التوثيق وحفظ المعرفة ونقلها للآخرين، ولولا القلم تعرضت أمور كثيرة إلى الضياع، ومن المعلوم أيضاً أن الطباعة انبثقت عن فكرة الكتابة بالقلم.

3- الحث على البحث والقصص، وذلك للتوسع في المعرفة والوصول إلى أفكار جديدة ومكتشفات علمية جديدة متطورة، بالإضافة إلى عشرات الآيات الكريمية والأحاديث النبوية الشريفة في الحث على طلب العلم بشكل عام.

5- الضرورات الخمس

لقد تكفل الإسلام توفير الضرورات الخمس لكل مواطن حتى يستطيع أن يعيش في مجتمع مستقر آمن، وهذه الضرورات هي: العقل، الدين، النفس، العرش (النسل) والمال، فالدولة

---

1. اليمين في القضاء الإسلامي للشيخ عكرومة صبري ص 62
2. التربية في الإسلام للشيخ عكرومة صبري ص 2، والعلم طريق الإمام الشيخ عكرومة صبري ص 5، وبحث حول حق التعليم في الإسلام للشيخ عكرومة صبري ص 4
الإسلامية مieszتة في الحفاظ على هذه الضرورات للمواطنين جميعهم، لذا فإن غير المسلم يشعر بالطمأينة حين تتوفر له هذه الضرورات بما فيها النفس والدين:

2- لا إكراه في الدين
لم يفرض الإسلام ضرعاً بالأديان السابقة، بل احتى ووضع قواعد ومبادئ ثابتة لكيفية العلاقات والمعاملات مع غير المسلمين ودعوا أول ما دعا إلى التعامل مع اتباع هذه الديانات بالتسامح والمحبة بعيداً عن التعصب والمعاداة، فإن مبادئ الإسلام في التسامح الديني:

1- إن الأربعة والمسلحين أخوة لا تفاضل بينهم في النبأة والروحي، والله سبحانه وتعالى يقول "لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون "، وقول في آية أخرى "لا تفرق بين أحد من رسله ", وقول في آية ثالثة "والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفروا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتىهم أجورهم وكان الله عفو صرحما"، فالمسلم مطالب بالإيمان والاعتقاد بالأديان والمسلمين جميعهم وأنهم جميعاً موصي إليهم من الله سبحانه وتعالى، مع الإشارة إلى أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يميز عتهم لكونه آخر الأديان والمسلمين وأن رسله شاملاً جميع مناحي الحياة كلاً.

2- لا يجوز الإكراه على العقيدة بل لا بد من الانتقاد والرسالة، والله علم وجعل يقول "لا إكراه في الدين قد بين الوشد من الغي "، وقول سبحانه وتعالى في آية

---

1 سورة البقرة آية 136
2 سورة البقرة آية 280
3 سورة النساء آية 151
4 سورة البقرة آية 256
أخيرًا، "أذنتم تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"، وجاء الاستفهام هنا للإجابة.

3- أن تكون المناقشة مع أصحاب الديانات بالحسن، فقول عزوجل "ولأجادوا أهل الكتب إلا بالي هي أحسن"، وقول سبحانه تعالى في آيه أخرى "قل يا أهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعيده إلا الله ولا نشرك به شياً ولا نتخذ بعضنا بعضًا أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون".

4- إن أمكن العبادة لأصحاب الديانات الأخرى محترمة ومساندة ولا يجوز الاعتداء عليها، والله سبحانه وتعالى يقول "ولولا دفع الله الناس بعضهم بعض لقدم صوام وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرة". 4- وعندما تسنم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفاتيح مدينة القدس من صفر بنيوم بطريرك الروم عام 15 هـ / 633 م، رفض أن يصل في كنيسة القيامة وصلى خارجها حتى لا يأتي المسلمون به، ودعون أحيينهم بها، وبنى مسجد عمر مقابل كنيسة القيامة رمزًا للتسامح والحبة والعدلة. 5- وعندما فتح المسلمون

---

1 سورة يونس فيه 99
2 سورة التوبية فيه 46
3 سورة آل عمران فيه 14
4 سورة الحج فيه 40
مدينة دمشق عام 164 هـ / 1265م، تشهد مواطنيها النصارى ببقاء خمس
عشرة كنيسة مع الحرية التامة في ممارسة عبادتهم.

7- التعددية

بما أن الإسلام آخر الديانات السماوية وأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم
وآخر الأنبياء والمرسلين، فإنه يعترف بوجودها، لذا يقرأ التعددية في المجتمع ويعامل معها منذ
بدء نزول القرآن الكريم، إلى أن أصل التشريع موجه غير المسلمين مع أكمل نزول القرآن الكريم
وأن التعامل استمر إلى يوم هذا وإلى يوم الدين. فليس الأمر غريباً أو مستحثاً أن يتعايش
المسلمون مع غير المسلمين، لأن المسلمين مهتمون أصلاً بذلك، وأن صورة التعامل معهم واضحة
وبلية وصريحة من خلال نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

8- التسامح

المساحة هي المساحة من التسهيل، وسمح بهمني: أعطى، وقال: في الحق مسموح أي
مسئ، ولا مجال للمبطل. يعتبر التسامح من القيم المرفعة والعناصر الإنسانية الإيجابية التي تقوي
الروابط الاجتماعية بين الناس، وتشعب فيهم الألفة والملومة والحبة، ومن أبسط صور المساحة أن
يستطيع الشخص حقه جاهز غيره أو أن يطلب المعادى المساحة من المعادي عليه، فاستجاب الأخير
طلبته، فالمساح جمله هذا قد يدخل الكراهية إلى الخبحة، والعداء إلى الألفة.

1 كتاب (تاريخ دمشق الكبير) لابن عساكر – القاسم علي بن الحسن ج 1ص 241.
ويدعو ديننا الإسلامي إلى القيم الأخلاقية الرفيعة جميعها، والتي منها العفو والمسحاء، حيث يقول الله سبحانه وتعالى "إن تفموا ومعروفا فإن الله غفور رحيم". وقيل عز وجل في آية أخرى "فاصبح الصفح جميل".

وقد يوهم البعض بأن التسامح يأتي عن ضعف واستكانة، وهذا تهم خاطئ، فالتسامح نبع من القوة والقدرة، فإن هو معلوم ومعروف أن العفو يكون عند المقدرة، والله سبحانه وتعالى يقول "جزاء سبئة سبئة منها"، فنبنا وأصلح فأجربه على الله، إنه لا يحب الظلمين". وقيل عز وجل في آية أخرى "ولن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور".

فلا تأتي إلى النقول وصفوه يكون قوى العزة ضابط الأعصاب كام الفلفل، ويقول سبحانه وتعالى في صفات المتقين "والكاظمين الهدى والعفاف عن الناس والله يحب الحسنين".

فالقرآن الكريم يشجع على العفو والصفح والتسامح فيما بين الناس، وما من عقيدة تذكر في القرآن الكريم وتعلق بحقوق العباد إلا ويرافقها مطلب رباني بالصالح والعنف والمسحاء، ويقول سبحانه وتعالى "وليسوا وليصفحوا". وقيل عز وجل في آية أخرى "إن تصفحوا وتمتعوا فإن الله غفور رحيم".

وهذا العفو والصفح والمغفرة تزداد الألفة بين الأفراد، ويعم الاستقرار في المجتمع وتهدا الفتن وتطعفاً.

الأهداف ويُنزع فقيل الانتقام.

---

1 سورة التغابن آية 14
2 سورة الحج آية 85
3 سورة الشعرى آية 40
4 سورة الشعرى آية 40
5 سورة آل عمران آية 34
6 سورة الثور آية 27
ليس هذا فحسب ، بل يشجع الإسلام الناس على الإحسان من أصواء إليهم . ففي ذلك خطوات : الخطوة الأولى : إن الإنسان المعنى عليه لا يقال الإسقاء بالإسقاء ، أي لا يعمد على من أصواء عليه ، والخطوة الثانية : إن الإنسان يحسن من أصواء إليه فقول سبحةه وتهانه ...

"ومن أحسن قول من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادع بالتي هي أحسن فإذا ذاك الذي بنيك وبيته عداؤه كأنه ولي حيمي وما يلقاه إلا الذين صبروا وما يلقاه إلا ذو حظ عظيم " 1 ترشد هذه الآيات الكريمة إلى قمة الناسم والمحبة ، ولا يصل إلى هذه القمة إلا الصالحون وأصحاب الثواب العظيم والهبان المنين .

9 - عقد الدمة

يحسن في هذه المجاعة أن أتناول عقد الدمة بإيجاز لبيان الهدف منه ولأرجل الفشواة التي تحيط هذا العقد لدى البعض . جرى العرف الإسلامي على إطلاق اسم " أهل الدمة " على المواطنين من غير المسلمين في الدولة الإسلامية ؛ وأن عقد الدمة يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم وتمتعهم بأداء شعائر دينهم ، وتعهد الدولة بالمحافظة على أرواحهم وأمواتهم مقابل أخذ الجزية منهم والزامهم أحكام الإسلام في غير ما يصلح بفاقتهم ؛ وأن الدمة تبني الإنسان والعبد والضمان والكفارة . وقد نعم أهل الدمة في ظل الدولة الإسلامية بحقوق يعزى أي نظام بشري مهما بلغ من الوقاي والحماية والتسامح ، أن يكللها للراعياء المخلوفين له في دينه ، وقد رفع الإسلام شعار ( لهم ما لنا وعليهم ما علينا ) وهذا الشعار يمثل القاعدة الاستراتيجية في التعامل مع غير المسلمين .

1 سورة حم السجدة (فصلت ) الآيات 36-34

185
وقد نالت وصايا التوصي الرسول مع الله عليه وسلم بأهل النزعة، وتبنت أوامر بالإحسان
إليهم، وإلباء السماء، وسُليم صلاة وسلام ألا
من ظلم نعاهد أو انقجه أو فقه طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنه حبيبه يوم
القيامة. وُصِي النبي صلى الله عليه وسلم بأقلم مصر فقال: "إذا فتح مجلس فاستووا
بقبل خيراً فإنهم ذمة ورحماً."

ويقال في هذه المعاني الإسلامية الكريمة، والذكرية، والبيوضة الشرف، سلسلة الخليفة
والراشد، وولادة الأمور، وفُقَدَة الفتن الإسلامية فعُلِّم أهل النزعة معاملة حسنة وأحاطتهم بالرعاية
والعناية، ففي عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه
كتاب الصلح لأهل الميزة في العراق جاء فيه ( ) وجعلت لهم أبا شيخ ضيف عن العمل أو
أصابته آلة أو كان غنياً فقتله وصار أهل دينه يصدقوه عليه طرحت جزئية وعيل من
بيت مال المسلمين، وعدهما ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام.

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رغم أنه أصيب بضرورة رجل من أهل
النزمة، إلا وهو أبو شهد الجموري، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يصبح الخليفة من بعد. وهو في فراض
الموت، يقول: "أوصي الخليفة من بعد بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعدهم،
وازن فتاء من ورائهم، ولا يكفنون فوق طاقتهم. "

1 رواه أبو داود عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم (سنن أبي داود ج3 ص 171 رقم
2 1052 باب الخروج والإمارة.
3 سنن الإمام أحمد ج5 ص 174.
4 كتب الخراج لأبي يوسف ص 155ـ 06.
5 كتاب أرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطاني ج5 ص 126 والسنن الكبرى للبهائي
6 ج1 ص 2006.
ضرورياً بسأل الناس فاستوضح منه، فإذا هو يهودي فقال له عمر: "فما أجالك إلى ما أرى؟ قال:

أساً الجزية والجابة والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال له: انظر هذا وضيرة، فوأله ما أصغناه إن أكلنا شبيته ثم خذله عند الهم". "إذا الصدقات للقروة والمساكين" 1، والفقراء هم المسلمين، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضرائه " 2.

وتايم الأمويين سياسة حسن معاملة أهل الذاوة، فتولى أهل الذاوة كثيرًا من المناصب الإدارية في الدولة، فقد اشتم الأمويين عليهم في شؤون الدوافع، حيث عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان بالإدارة المالية إلى أسرة مسيحية ظلت تتوارث فيما بينها تلك الإدارة، وهي أسرة سرجون بن منصور الرومي 3، واستمر تعيين الأكثب من أهل الذاوة في وظائف الدولة رغم ترمب الدوافع في عهد عبد الله بن مروان الذي بقي في عهد كنيسة جبله في مدينة الرواب، وكذلك في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، فإن الوالي خالد بن عبد الله القرشي، وإلي الكوفة، قد أُذكَر من الاستقلال بالنصر، واستخدامهم في الوظائف ونسبة لهم البيع والكفاية 4.

وصف المستشرق ول دورانت حال أهل الذاوة في العصر الأموي حيث يقول "قد كان أهل الذاوة المسيحيون واليهود يشترون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها تظاهرًا في البلاد.

1 سورة النبوءة أيه 10.
2 كتاب الخراج لأبي يوسف ص 136.
3 كتاب تاريخ خليفة بن خياط ج 1/ص 276.
4 كتاب الدعوة إلى الإسلام للمستشرق توماس أررودل ص 85.
5 كتاب تاريخ الطبري ج 8 ص 243.
المسيحية في هذه الأيام، فقد كانوا أخيرًا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكائنهم وعبادتهم.

ومع ذلك عاش غير المسلمين مع المسلمين في جو من الحب والتعاون والاحترام المتبادل، وعبر التاريخ، ولا بد من الت�ور إلى أن المسيحيين في فلسطين خاصة وفي البلد العربي بعامة قد وقروا إلى جانب المسلمين ضد الحلفين الفرخجة الذين أعلنوا حرباً صليبية تستناد إلى الدين.

إن النظام الإسلامي هو نظام شامل، وضوح العلاقات بين الناس وعلاقتهم والعلاقات بين الناس فيما بينهم، وكذلك بين المسلمين وغير المسلمين، وهذا الدين العظيم هو الذي أعطى الحقوق لغير المسلمين في حين لا يوجد أي نظام آخر يعطي الحقوق لمن يختلف معهم في الدين بل إن الاضطهاد الدبي سابقاً ولاحقاً في الدول غير الإسلامية هو عديم ودمي ضد المسلمين، ومع ذلك فإن موقفنا ثابت لا يتغير ويطلق من أحكام الشريعة الإسلامية السماحة، ولا يكون موقفنا رد فعل لتصورات الآخرين في الشرق أو في الغرب.

فالمسلمة عادلة ورحيمة ومسماحة كان ولا يزال، وعلى أتباعه أن يكونوا أمناء في تنفيذ أحكامه وترجحها على أرض الواقع.

و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

1 كتاب قصة الحصارة تأليف المستشرق ول ديوارنت ج2 ص130
نظرة المسيحية للآخرين

الأب بيرمدوس *

الآخر هو غير الآنا وال "نحن "، الآخر هو من كان من غير دينا ومن غير وطنا ومن غير عشيرتنا، هو حسب معجم الكتاب المقدس "القرب "، ومن " الأقارب " من كان أيضاً

عدوا ( "واعداء الإنسان أهل بيته " أحياناً كما قال السيد المسيح )

السيد المسيح لا يميز بين البشر وهو الحلم البريء الذي حسب قول سفر الرؤيا

ليوحنا اللاهوتي - "النامل الذي فدانا من كل آية و قبيلة وشعب و لسان "، لذا سنتكلم عن

موقف المسيحية من "قرب " الذي هو مبدع كل إنسان ، والوقوف أيضاً من " العدو "، قال

السيد المسيح مستشهدًا بالله القديم : "أحبب قريبك حبك لنفسك " وزاد يسوع : "أحبوا

بغضكم بعضًا كما أحببكم أنا "

الوصية السيدية : "أحبب قريبك حبب لنفسك :

"أحبب ": يقابل هذا الفعل في العربية فعل "أهاب " وفي الآرامية " راحم "، أما في

النص اليوناني فقد ورد الفعل المضارع بمعنى الأمر : "أغابيس "، أي "مستحب " بمعنى

أحبب "، أي "حب " هو مطلوب ما من شك أن الله لا يسأله أن نحب قريبنا - ولا عدوتنا -

* دكتوراه في الكتاب المقدس - بيت لحم
حبًا عاطفيًا، بل محبة إرادية يعبر عنها الفعل اليوناني "أغاباو"، وقامهما الرغبة في خبر الناس من أقاربه وأتباع، من أصدقاء وأعداء. ويبر بعض اللاهوتيين بين محبّين: محبة العاطفية الفيماض الحبّة الموصوف فيها واندفاعها وحساسيتها ومشاعرها كالحبّة التي يكّنها المرء لأولاده ومحبة الوقودية الإرادية المبنية على Intensive Love مثلاً وتدعو محبة "الكثيفة الشديدة" "Estimative Love" وتسمى، أي تقديرية، ومن المنطقى ألا يطلب من الله أن نحب قريبنا -ولا عدونا - محبة عاطفية، بل محبة إرادية إرادية في محبة شديدة عارمة، بل محبة تقديرية.

ويكتب الأسقف فلون شين Fulton Sheen أنه علينا أن "نحب الناس لا محبة نابعة من شعور بالإعجاب أو الرضى أو الإستحسان - والتي يشير إليها الفعل الإنجليزي "لإك To Love - بل محبة إرادية عقلانية يعبر عنها فعل Like ولن كان لا يعجبني ولن كنت أجهد تقبل الظل، فأولئك وإن كان لا يروق لي "I love him although I do not like him " أحب قريبك "أحب قريبك "<br/>

هذا هو النص المستشهد به من سفر الأحباء أو (اللاوين 18:19) "أحب قريبك حبك لنفسك "(في العربية: "أهابتي لرعيك كموكا") ويعتبر يسوع هذا القسم من الآية ليجعلها تقابل تماماً - أي بجزئين - ما يلي: أحب قريبك، أحبك عدوك. اللفظة العربية هي رعية التي لا تختلف عن "روعيه" إلا بالضمة، قال "قرب" هو أصولاً الزميل في الرعاية، أي
الراعي الزميل، أما في الآرامية فاللغة هي "قرب" (بالعبرية) "وفي اليونانية "بلسيسون" تعني "قرب".

من "القرب" محسب سفر (الأحبار : 18:19) ؟

كان "القرب" اليهودي من أبناء شعبك "يا إسرائيل" أي المنطقة إلى أسرتك وعشيرةك
أمتك وديانتك، وعل اليهود حسبوا أبناء قومهم إخوة يجب التضامن معهم وكان شعراهم "أنصر
أهلك إن كان ظالماً أو مظلماً".

فالمطلوب حب اليهودي وعدم ظلمه وعدم سلبه (أح 13:19) ويجب الحكم بالعدل له (الآية
15) بغير نميه ولا إهانات ولا سيما الخطيرة منها (الآية 16) ، وعنه بدل إضمار الكراهية له
(الآية 17)، ف"النتائج صانون القلوب "كما تقول العامة، والمطلوب أيضاً عدم الإنتقام من ال
"قرب" وعدم الحقد عليه "(الآية 18)أ).

"النفل " (تش 13:23 وزك 6:9)

الكلمة العبرية نادرة لا ترد إلا في الموضعين المذكورين من سفر يشوع الاشتراع وركيا، وهي
"مر" أي من فرد نسبة، وفيهم من هذه الكلمة عادة، وفقاً للتقدير اليهودي، أنها تعني
المحترمين من زيجات بين يهود وعرب (راجع نح 13:23:13) حيث يحسبون عرباً أجانب، وقد
قام مما ينحثهم، فهؤلاء لم يكونوا موضع حبة، ولكن يبدو أن الشريعة اليهودية تلغي الولد
بولدته وحسب أبناء المرأة اليهودية يهوداً.
"النزل الغريب " المشبه ب " المواطن القريب "

في (آه 19:19-24 وثت 19:19) ، يذكر النزل الإنجليزي الوثني الذي يقيم في ديار اليهود وأراضيهم ، كان يشبههم وتأكيد " منهم وفيهم " بالاعتماد على حق الجار وعلى نوع من التبجي من باب الاحترام الضيق ومن باب الفائدة العملية في حضور ضيف أو جار كريم ، كما يقول المثل العربي العامي: "جارك الغريب ولا أحوك البعيد " . وسأل الله اليهود أن لا يلقوا لافطا كرومهم ، بل أن يتركوها للمسكين والنزل" (آه 19:24 وثت 19:24-26) . يفرح المرء عندما يجد في العهد القديم مثل هذه الأرثوية مع التراث وهذا الترحيب بالغراب.

هذا نص (آه 19:23-24)

"وإذا نزل لكم (أي بينكم) نزل في أرضكم فلا تظلموه ولطعنكم النزل المقيم فيما بينكم كابن بلدكم ، فحبك (أي أحبيبه) حبك لنفسك ، لأنكم كتبنا نزلاء في أرض مصر فينا إلينا ".

يذكر النص سبباً إضافياً لحسن ضيافة الغرباء ومعاملتهم ، هو أن الشعب العربي نفسه كان نزيلًا غربياً - نزيلًا معدباً - في أرض العبودية مصر ، اللفظة العربية المستخدمة ل "نويل " هي " جار " ول " مقيم " " جار " (تشبه العربية " جار " ) وليس من اللائق أن "يجور المرء على الجار " مع أن " الجار جار ولو جار " .

192
وقرأ في (تث 10 ك 19)

أحبوا التليل فلذكركم نزلاء في أرض مصر (تث 14:24 و 17) يهود الله
الشعب اليهودي عن استغلال "الفقراء والترابرة" وأمهم بدفع أجرتهم قبل أن يقيم الشمس ولا
يرضى أن يهلم أحد اليهود "حق نزل يَّن" إلا أن اليهودين سرعان ما حددو هوية ال"جر" أو
أي "الليل" وحرصوها على الوصي الدخيل إلى اليهودية والمحتمم بحيث إن فعل "تهجير" أو
"ههجير" أصبح يعني "اهتدى إلى اليهودية" (راجع شترك وبيليك في مؤلفهما "تفسير العهد
الجديد باليهود والERRUش")

من "القرب" لحسب يسوع؟

يشبه هذا السؤال إلى حد بعيد سؤال علم الشريعة الذي وجهه إلى المعلم يسوع: "ومن
قربى؟" (لوقا 19:10) ويجيب المسيح مثلا السامري الرجيم (الآيات 20-27) مقترحاً
كمودج للحالة والأخوة الشاملين، سامرا هو الده أعداء اليهود الذين كانوا يحسوب السامرين فقراء
وأخوة كذبة لاختلاق الدم اليهودي فيهم بمداة باليهدين من ثمانين مدين! وعلى يستنج المدر من هذا
المثل أن قريب هو كل إنسان، بما فيه السامري والفوتو والقرب نو أصيح السامري الكربه
الكند بـ "قرب الرجل اليهودي الذي وقع بين اللصوص على اليهودي أن يصير "قرب" السامري:
وفي اللغة المسيح ورسله وطلابه، القرب هو كل إنسان، وجميع البشر هم أخوة لنا
وأخوات يجب أن نحنهم، ولعل هذا هو الدين الوحيد الذي يحن به مديون: "لا يكون عليكم
لأحد دين إلا حب بعضكم لبعض. فإن أحب غيركم ثم الشرع، فإن الوصايا التي تقول: "لا
تزن، لا تنقل، لا تسرق، لا تشبه، وسواها من الوصايا، جمعة في هذه الكلمة: "أحبب قربك حبك لنفسك" فاحبة لا تنزل بالقرب شراً، فاحبة هي كمال الشرعة (روما 13: 18).
والن كان البشر "أباعد فقد أصبحوا جميعهم" أقارب (أو أقرباء)، بدم السيد المسيح. فإنه سلاماً، فقد جعل الجماعتين (أي اليهود والأمم) جماعة واحدة ووحدة في جسده الحافز الذي يفصل بينهما، أي العداوة، وصلح بينها وبين الله" (أغاد: 16: 3-13). إن المخلص الذي فقدانا "من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" (رؤو: 9)، إذ أزال كل تمييز عنصري مبني على العرق أو الجنسية أو اللون أو اللغة، بحيث "ليس هناك يهود ولا يوناني، وليس هناك عبد أو حر، وليس هناك ذكر أو أنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع، فإذا كنتم للمسيح فأتمس
نسل إبراهيم واتم الورثة وفقاً للوعد" (غل 3: 28: 29).
يقول الاستنتاج أن العقيدة المسيحية تحسب كل الناس "أقارب" و"أقرباء" و"أقرباء" و"أقرباء" و"أقرباء".
"ما من غريب إلا الشيطان".
"وأغض عدوكم"

ما وردت في العهد القديم - ولا في العهد الجديد - وصية تأمر بكره المقاومين! لذا لا يستشهد يسوع هنا بنص من الكتب المقدسة، بل بقول شعبي أو تفسير أجتمع عليه الكتب والفرزاس والرابيان، على الأقل في زمنه، "أغض عدوكم" في النص اليوناني "سبغض عدوكم" - حيث يفيد المضارع الأمر، ولفعل هو "ميسو". أما في الآرامية والعربية فلفعل "سنا" يقابله في العربية السليمة فعل "شنا"، أي "أغض" ( راجع "لسان العرب" لابن منصور)، الجملة الرابع عشر، ص 445-446، هل فعل "شنا" في اللغة العامية الفلسطينية عند أهل القدس القدماء يؤدي هذا المعنى (كقولك "شنت فلا أ" مع تسكن الشين) مع فكرة الاستمتع وسلام.

الوصية السيدية الفردية: أحبوا أعدائكم

(سما 5: 44)

يا أي الآن تحل أمر المسيح بمحبة الأعداء، وذلك في إطار إيجاب سما الفصل الخامس.

و 6: 24-30

أحبوا أعدائكم.

"أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعدائكم". من هذا الذي يقول أنا كأني يضع نفسه وكأنه على طريق تفتيت مع شريعة موسى من جهة وأراء الناس وأقوالهم من جهة أخرى. في الواقع يبدو لأول نظرة أنه ينافض - حاشى وكلا- العزة الإلهية التي هي أساس الشريعة. فلاد هذا المشترع وموضوع
هو كلم الله الذي نقل إلى الناس شريعته تعالى. لا معنى لموقف يسوع إلا إذا كان هو نفسه، أي المعلم الناصري، نجسنا لكلمة الله.

ورد في الإنجيل لوقا أن يسوع يقول مشك فيما بين سامعيه يقوله: "وأما أنت أب السامعون فأقول لكم: أحبوا أعداءكم..." في هذا الأسلوب قوة وروحه وصراحة، ولكنه موجه طبئا لا إلى السامعون ليسوع قبل ألف سنة فقط بل إلى كل من سيؤثر يسوع في كل زمان ومكان.

"أحبوا أعداءكم.

كتب الأب دانيال بوزي ("الإنجيل بحسب متي" في سلسلة بيرو - كندا المجلد التاسع، ص. 70): "ولم تجد في الإنجيل إلا هذه العبارة، لاحظ كافية كي ترغب يسوع عالياً فوق موسى وجميع فلاسفة العالم القديم. فلا لها من قوة عظيمة كانت مطلوبة لجاهز تياو الكراهية البغيض وتسمو عليه! يا له من ذكاء خارق يفتح الأفكار الجديدة! وخصوصاً يا له من قلب عظيم ينحرف ذلك الحب العميق! "وحرص البطريرك سيدنة الثالث عن هذه الفكرة ذاتها مبيناً أن هنائي الكلمين...

"أحبوا أعداءكم. كافيتان وحدهما لإظهار سمو المسيحية.

أما الأب إبراهيم (في كتابه "الإنجيل يسوع المسيح" ص. 247) فإنه يقول: "يسوع هو أول من فهم، بمعنى التضامن بين جميع الناس، نصوص التوراة، وهو أول من وهب للمبدأ النظر (حبة القرف وعدم إلحاق الضرر بالعدو) حياة وخصصاً بعد أن كان ذلك المبدأ حيااً على ورق."

إذا كان عدوي صالحاً، وجب علي، لا الاعتراف بصلاحيه فقط بل السعي إلى مصالحه. فإن لم أحب عدوي صالح (راجع أيضاً مصلى 5: 23) ولن أترك قرباني على المذبح، فلا سبيل إلى إصلاحه وإذا كان عدوي صالحاً ولم أحبه فلا مجال لإصلاحه ولا
لمصلحته. ويوصي بِسِعَة بأن يُصالح الرازخ "أخاه" (الذي في هذه الحالة يكون قد تُحول إلى غرب) أو عدو.) وبعد ذلك أن يأتي المرء ويقدم قرباه (راجع مثاني 5 : 23).

لا حاجة إلى التعليق على صعوبة حب الأعداء. ولكن في هذه الصعوبة سموا أخلاقياً وروحاً وإنساناً يجب الوصول إليه ولا دخلت البشرة فيها من غير أمل بالخروج منها، كما نبه البابا الراحل بولس السادس: "إن تقضي البشرة على الحرب، ستقضي الحرب على البشرة". تأتي وصية يسوع بحب الأعداء في جو يهودي كان لا يحسب قربا إلا اليهود (راجع شترانك وليبرغ في كتابها "العهد الجديد: تفسير يسوع اللهمد المدارش") مع أن "فكرة المواطنة توسعن بعد احترام المدن اليونانية الذي تقع فروعات الإسكندر، وتتأثر من الفلسفة الرومانية" (الأب لافرغانس، المؤلف المألوف أعلاه ص 452). غير أن ذلك الإنساخ في الأفق، بغي على ما يبدو، غربا عن المجتمع اليهودي.

في زمن يسوع كان معروفا بعض اليهود للسامرين وعدم مخاطرتهم لهم (يوحنا 4 : 9) إلا أن يسوع، بآرائه وأعماله، أثبت معنوي للسامرين وإحسانه لهم، والتحويز أهمهم توجها بمحبة القريب حتى العدو (لوقة 10 : 29 - 37) 0 وثنين القدس لوقة، "كاب حنان المسيح". كما قال الشاعر الفظيم داتين، في إظهار محبة يسوع للسامرين: (9 : 51 - 56 ثم 16 - 19 - 40 ورس 8 : 4 - 26).

أما توصية يسوع لسلمكاه في مثاني 10 : 5: "لا تسلكوا طرقاً إلى الوطئين ولا تدخلوا مدينة للسامرين" فكانت في أول مرحلة من توجيهاته للرسول الذين لم يكونوا مكتملي المعروفة ولا الاستعداد ولم يكن روح القدس قد حل عليهم. لكن يسوع أمرهم قبل صعوده: "إذ بلى ن وتمذوا

197
جميع الأمم (су 28: 19) "إكرروا بالإنجيل لكل خليقة" (مر 16: 15) 0 من ناحية أخرى كانت جماعة الأسبانيين في قمرين بقرب البحر يعلم البعض للاغوار. ورد بالحروف الواحدة في قانونها (ق مارس 6: 9-10): "ليحليم المرء أبناء الدور بحسب المصير الذي حفظه لهم مخطط الله، وليكون جميع أبناء الظلم على مقدر وعديه لكم انتم الله سهم".

إن هذه المفارقة الهزيمة، أو الوصية الأسبانية بالكرامة للأسترال، مع الاحترام للخطوة ولذوي الهمامات ورفضهم التام، كافية للدلالة على أن المسيحية والأسبانية على طرفي تقليص وأنهما خطآن مأزقان لا يلتبسان. فما من شركة بين المعلم الجليلي الناصري الذي كان يأكل مع المشايخ والخطوة ويشفى ذوي الهمامات، ومعلم الصلاح" الأسباني المترفع عن ذوي الآمال والأسقام.

ومهما أطل المرء البشح في كلاب الكونين اليهود، لا يجد من ينصب يوازي أو يشبهه وصية يسوع السامية: "أحبوا أعداءكم" (راجع كتاب "الأناجيل لبريليو ونايبرس وماجوني، مذينة أسبيزي 1985 ص 179). في الحقيقة، "إن يسوع هو أخر من علم البشرية أن ترى أن كل إنسان قريب لها وأن نحب كل إنسان" بما فيه العدو (راجع الأب دونيس بوزي في كتابه عن أمثال يسوع، ص 222-228).

"صلوا من أجل مقطوعكم"، "احسنوا إلى مضغكم": تتبع هذه التوصيات أمر الحبة للأعداء. حيث يجيب على المسيحي أن يصلي بحبة من أجل مقطوعهم وأن يحسن بحدة المضغهم (راجع لوقا 6: 27). 0 نفهم من كلام يسوع أن "الأعداء" هم مقطوعون للمسيحي أو
للجماعة المسيحية الأولى، وعلى فهم من أعداء الله أيضاً، عندما قال يسوع: أحسنا إلى أعداء الله والدين. ليس واردًا في المسيحية أن يغفر لأعداء الله.

ولم يخفف يسوع بالكلام والتوصية، بل كان بنفسه قدوة صالحة، إذ أحب أعداءه الذين دبوا له المكائد وصوبوه، وسلى من أجلهم وهو معلق على خشبة الصليب، وهكذا بلغ قمة البطولة والنسامح والحبة (لوقا 23: 44). وفي خطى المسيح سار تلميذه إسطفاناس الذي صلى أيضاً من أجل راحمه (أعمال الرسول 7: 54-60)

أتي يسوع بتفاصيل أخرى عن هذه الحبكة للأعداء

"باركو لأعينكم، صويا من أجل المفترين الكذب عليكم" (لوقا 6: 28)، أي ردوا على الشر بالحبر، واعقبوا الشر بالحبر - كتب الأب الفريد دوران ("الإنجيل كما رواه القديس مسية" ص 44 وتابع)، "الرد على الخير بالشر شيطاني، والرد على الخير بالخير إنساني، والرد على الشر بالخير ربايى".

يظهر من إنجيل لوقا أن يسوع يطلب حتى أن نشرك أعداءنا في مملكتنا وأموالنا: "ولكن أحبوا أعداءكم وأحسسبوا وأقرضاً غير راجين" (لوقا 6: 35).

ب- سببان وجهات لنحب الأعداء

(لوقا 6: 22-24 ومسى 46-47)

1- عدم حب الأعداء موقف الآثمين والوثنيين

فمسر يسوع قال شيء - لنا أجمعين - أن لا فضل لنا ولا أجر، فإن: 199
- أحبنا فقط من يحبنا
- أحسنا فقط على من يحسن الينا
- صلىنا فقط إلى من صلى علينا، أي إخوانا وأقرين وأصدقائنا
- أفرضا من نرجو أن نستوفي منه
- كل هذه عملنا الويضين وجباوتنا الضرائب الذين كانوا يحسبون خطايا علمي لنا آمنهم مع الحلف الروماني وعانتهم أموال الناس، ومع أن يسبوع كان يهددهم ويلامهم وماههم ويعذبهم. غير أنه لم يوافق فقط على أعمالهم الشريرة، راجع (لوقا 19: 1-10).

2- السبب الوحيد القريب لحب أعدائنا هو ضرورة تشبيهنا بأبناء السماوي الذي يحسن إلى جميع الناس و" يطلع شمسه على الأشرار والأخيار، وينزل المطر على الأبرار والفجار " (متى 5: 45). إنه " العلي الذي يلعب بنكرى الجميل والأشرار " (لوقا 6: 35). لذا يجب على المؤمنين يسوع أن يكونوا " أبناء العلي "، ومن شأنه أباه لا يكون طالما " إن الله لا يحب بين الناس أبائيه، لذا طلب يسوع محبة الأعداء في إطار أبوع الله لجميع الناس وإطار بنوة جميع الناس نحو الله، حيث يكون جميعهم إخوة، إن الفكره المسيحية التي تجعل الناس يدعون الله بآله السماوي وعرضوني القوة اليهودية التي كانت تحسب الشعب العبري وحده أبنا الله. إلا أن المسيحية تتجاوزها وتسوء عليها ويغدو مفهوم الآلهة الإلهية إلى جميع بني البشر.

بما أن المؤمنين هم من أبناء الله بالبني فعليهم " أن يفقوا بالله كأبناء أحباء وأن يسيروا في الحب سيرة المسيح الذي أحلمه ويدل نفسه من أجملهم " ومن أجل جميع الناس (أفنوس 5: 2-1).
و (8) وقد كتب القديس يوحنا في رسالته الأولى من أحب فهو مولود من الله (3 : 10 و 14) 

16 ثم 4 : 7 - 8

حبة الأعداء هي تشبه جمل الله ورحمته وسعة أفقه مع الخطأ الذين هم في حاجة إلى حنان يشجعهم على التوبة، كأمة الأب بابته الصال (لوقا 15). أما التشبه بالله لأننا أبناء فإنه يتخذ جنس بشري منى ووقا، وجهين: أولاً إلكمال كما أن الله كمال (يحبس متي) وثانيهما والرحة كما أن الله رحيم (يحبس لوقا 6 : 35 - 36).

حبنا الأعداء وسيلة لتصبح كاملن كنا أن أبنا السماعي كمال لم يرد في العهد القديم وصف الله بأنه كمال، بل ورد: "كونا قدسسين كما أنا قدوس". (أ ح 19 : 2) وقد أنت كلمة "كامل" في وصية الله للشعب، في صيغة الفم كافح باستخدام لفظة "كم" المجردة في كمال الكلمة، في (نبط 18 : 13) "كسر كمالا لدى الرب الهك". 

"الحبة هي" "رباط الكمال" (قول 3 : 14). وفي الحبة لله من جهة وقرب من جهة أخرى، بما فيه العدو، كمال الشريعة الذي يجعل الإنسان كاملا (مزور 118 (118).

1- وهذا الوود الشامل الذي يكون به الإنسان كاملا يأتي من أن يأخذ بمجامع القلب فيضم جميع الناس في ذراع الحبة على مثال الإله الحب للبشر أجمعين. ولكن يبدو أن كلمة "كامل" محط البشر، وقد لا تغلو من الإدعاء إذا نسبها أحد إلى نفسه (مزور 119 (118) : 96). وربما لهذا السبب نقل إلينا القديس لوقا صفة أخرى هي الطف وسعة الرحمة كميزان للمؤمنين الضعفاء الذين يحاولون أن يجمع أعداءهم: إلا أن إصرار يضع على أن يقدع إعانه بإلاب السماعي كمال الطف الرحيم وهو تشجيع دائم كي يقدموا باستمرار.

201
في سلم الفضائل، والمحبة هي رباطها وخلاصتها. والمحبة الشاملة هي "كمال"، يخفف الكراهية التي هي نقص. وكذا سابق القول، محبة الأخفاء قسم من كمال العهد الجديد، أما معاداة الأعداء فهي من نقص العهد القديم في إطار الضعف البشري، في إطار وحي كلمة الله الديني الذي على شعب ناصي، داعي الله مقدره ومكاناته في كل مرحلة من تاریخ الخلافات (راجع الرسالة الراعونیة 4 للبطريرک سیسیل صباح "قراءة الكتب المقدس اليوم في أرض الكتاب المقدس" ص 14 - 15).

محببنا الأعداء وسيلة للتشبه بالله السماوي اللطیف الرحیم (راجع لو 6 : 25 – 36)


أما اللفظة الأخرى التي يستخدمها لوقا البشیر فهي "أویکیرون"، "أي" رحم". إن محببنا الأعداء ومساعدتنا للمذنبين لنا وحسننا الامسيين تنورنا من التشبيه بالله السماوي العظیف، ولا ترد هذه الصفة إلا من من في العهد الجديد، هنا في (لوقا 6 : 36) وبعده.
5 : 11 حيث تصف رحمة الله وكنّها مستمدة من "رحم" أو "إحساء والدي" مثلك الحنان والوأمة.

إن محتبا الأعداء جعلنا شميمين بحبة الله لنا : إذ كنا أعداء له بالخطيئة خصما مع ذلك.

بوداده وخلصنا ، لا لأعمال بر قينا بها. بل بفضل حنانه وحبته لجميع الناس (راجع طي : 5).

وما رحمة الله إلا نتيجة لحكمته تعالى وطبيعته التي هي حبة وعدلته التي تعلم ضاع الناس وسيلةهم

إلى الشر . كما قال صاحب المزمار (10/10 : 16-16 و أيضا 8-12).

"كراءة الوالد بابنته ، يرّف الرب بابتها ، لأنه عارف بما جبنبل ويدكر أنها تراب . الإنسان مثل

العشب أيها ، وإذا زهر كزهر الحقول ، تهب عليه ريح فيزول ولا يوجد يعرف مقامه ، غير أن

وداد الرب حافئه أزلي بيدم أبد الآبدين وكومنه يبقى لأبناء البشر".

إن الأب السماوي يشفع على الإنسان الضعيف المعرض للموت ، وعلى هذا الأساس يحذر

بنا أن نشفع على كل إنسان على الأقل لسببين أولاً أنه معرض للموت وثانيهما أنه معرض للخطيئة

في المزور نفسه ، نذد أيضا الآيات المؤثرة الآتيه :

"الرب حنان رجيم ودودحب حليم ، لا يهاسم سرمدا ولا يظل أبدا حاقدا . ليعملنا

بخصًّاتنا، لا يجازنا بقدر آمنا . كما تعلو السماء عن الأرض ، مودته سمت للملمين.

كبعد المشرق عن المغرب ، أبد عنا ذونا : (8-8).

وإذا كان الله في العهد القديم قد اختار شعبا واحدا ، فقد كان ذلك بفضل من رحمة تعالى

عليهم ونسبة مجانية لم يستاهلها ، لذلك لم يكونوا على حق إذا اختار بعضهم الشعوب الأخرى أو

كرهها (راجع رسالة البطريرك صاحب 4 ص 47-48).
حبنا للأعداء اشتراك ضئيل في سمو الحالات العظيم الذي لا يهد كيانه إساءات الناس إليه
تالي، بل يفهم تعال مصدرا إما عن خبث أو عن ضعف أو عن كلا الأنون مما ، و المجلس تال
للثاني. أما الذين لا يرون فإن حبة الله لا تزال تشملهم، وإن كانوا لها رافضين.
-
ج- سبب ثالث وجهة لأن تحب أعداءنا
نرى هذه الفكرة من يبوع الإنجيل الطاهر (سما 25- 5 - 40) حيث يقول المسيح إنه في كل
إنسان، بحيث إن ما فعله لأي إنسان- خيرا كان أم شرا- للمسيس فعله، فعندما يغض إنسانا
بغض المسيح، وعندما تحب إنسانا تحب المسيح، والمسيح في كل إنسان لأنه أدم الجديد
المخلص الإلهي الحب الذي عطف على بشرتنا التي وقعت بين أيدي اللصوص، أي الخطيبة،
وصب على جراحها زيتا وخرا وأعدها بموته من موت أكر وأحياها ببعثه المجيد.

خلاصة

على المسيحيين الذين هم أبناء الإله الرحيم اللطيف وأبناء العهد الجديد الذي ألبغهم الكمال.
على قدر ملء قامة المسيح، "أن لا يشتروا أحد ولا يكونوا خاصين، بل حلماء يصرفون بكل
وداعة مع جميع الناس. فإنه هم أيضا كانوا بالأمس أطباء عصاة ضالين، عبديا لمختلف
الشهوات والملذات، يحيين على الحب والجد، مقوىين يغضون بعضهم بعض، فلما ظهر لطف
الله خصصا وحبته للبشر 00 على قدر رحمته " خلصهم جميعا ليصبحوا أبناء " ورثة الحياة
الأبدية" (راجع طي 2: 27 وأيضا 1 يو 9: 9 و 11 ثم 4: 32: 15)

204
بسم الله الرحمن الرحيم
نظرة الإسلام إلى غير المسلمين

د. محمد علي مصطفى الصليبي

حرية العقيدة من خلال النصوص القرآنية

تبرز حرية العقيدة من خلال المبادئ والأحكام التي لا يجوز الخروج عليها بأي حال من الأحوال ومن هذه النصوص في سورة البقرة في قوله تعالى: "لا إكراه في الدين"، وهي توجيه من الله تعالى للمسلمين معاً "لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنهم بين واضح جلي دلالته وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه بل ومن هدائه الله للإسلام وشرح صوره وورز بصيرته دخل فيه على بينة" 1.

وروى ابن كثير في تفسيره أن سبب نزول هذه الآية ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه أن المرأة المسلمة تكون مقاتلة (لا يعيش لها ولد) فتقع على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده

1 مدرس بكلية الشريعة / جامعة النجاح الوطنية
310 ابن كثير ج1 ص
فلما أجبلت بني الت pij (وهم من اليهود) فكان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندعو أبناءنا فأنزل الله عز وجل (لا إكره في الدين). فرواية أخرى نزلت الآية في رجل من الأنصار قال له (الصحيح): كان له أبناء نصارى، وكان هو رجل مسلم، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا استنكروه؟ فإنهم قد أبا إلا النصارى، وكان قد تنصروا على أدي بشار قدموا من الشام بحملون زيبا فلما عزموا على الذهاب معهم أراد أبوها أن يستنكروهم وطلب من الرسول أن يبعث في آثارها فنزلت هذه الآية.

وأماذكر أيضا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان عنده ملوك نصارى اسمهم أسق فكان عمر-رضي الله عنه يعرض عليه الإسلام ويقول له يا أسق! لو أسلمت لاستعنا بك على بعض أمور المسلمين وكان النصارى بأبي وقول لا إكره في الدين.

النص القرآني يرئ مهما من غير المسلمين و نحوه النصوص القرآنية تدعو إلى العدالة والمساواة واتباع مнеж الحق وتحريمظلم ومن هذا المتعلق فقد نزلت الآيات القرآنية تؤكد هذا المنهج الإنساني العالمي، الذي يرفض التساق التهم بالأبراء وقد ورد في سبب نزول آية من آيات سورة النساء أن رجل كان منقفا يحدث القول الرجل اليوم يهودي اسمه زيد بالسرقة نزلت الآيات تبرى اليهودي، والآية من سورة النساء: "إذا أرسلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أركان الله، لا تكن للخانقين خصبا".

---

المراجع السابق:
1. تفسير القرطبي ج 5، ص 379
2. سورة النساء الآية 100
النص القرآني وطريقة محاولة أهل الكتب

رغم أن القرآن الكريم بدين أصحاب المقائد المخالفة للتجهيز الرئيسي إلا أنه أمر بسلوك سبيل الحوار والجدال والبناء مع أهل الكتب. ومن ذلك قوله تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالذكر السليم وقولوا آمنا بألذي أنزل إليها وأنزل إليكم وعلينا والحكم واحد ونحن له مسلمون".

وقوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بينا وبينكم أن تعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا تتخذين بعضاً أرباباً من دون الله". وشير القرآن الكريم إلى أن أهل الكتاب ليسوا سواء فمنهم "من إن تأمنه بقنطر يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بينما لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا فذك بأنهم قالوا ليس علينا في الأمين سبيل ومنهم". ولجدن أقربهم مودة للذين أمنوا الذين قالوا إنا نصري ذلك بأن منهم قيسسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعليم تقيهم من الدمع مما عرفوا من الحق. وفصول القرآن الكريم كذلك لا ينعي المسلمين عن إقامة علاقات طيبة مع غير المسلمين من أهل الكتاب الذين لم يعتدوا على المسلمين.

"لا يهلك الله من الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوك من دياركم أن ترموهم وتقطعوا عليهم".

---

1 من أصول الفكر السياسي الإسلامي ص 338
2 سورة العنكبوت آية 46
3 آل عمران آية 64
4 سورة آل عمران آية 75
5 سورة المائدة آية 82
6 سورة المظفرة آية 9-8
والسورة القرآنية ومنها سورة آل عمران ومريم وغيرها من السور تتحدث عن المكانة العظمية لبني إسرائيل، والتي لا يصح إتباع مسلم إلا بالإنابة منهم وطهارتهم وعصمتهم ومن أنكر نبوة واحد منهم أو ناصبه عداء. فقد بعثت منه ذمة الله ورسوله.

نصوص السنة النبوية تبين منهج التعامل مع غير المسلمين

الأحاديث الواردة في بيان منهج التعامل مع غير المسلمين (أهل الذاكر أحاديث كثيرة وممتزمة، والتطبيق العملي للسنة النبوية في معاملة المسلمين يظهر في استقبال النبي صلى الله عليه وسلم لفج نصارى خنار الذي بلغ (۶) رجلا برئاسة أميرهم وصاحب مشروعيتهم واسمهم عبد المسيح، فدخلوا المسجد وقت صلاة العصر عليهم ثواب الأحباء يقول بعض من آراءهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأيناه بهم وفدنا مثلهم، وما حان موعد صلاتهم قاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على مدى الاحترام والتسامح الذي ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين المسلمين والنصارى. وقد جاء في المعاهدة:

"الرسول صلى الله عليه وسلم أعطاهم دمته على دمهم وأموالهم وملائهم وذهبهم وأساقفهم وشاهدتهم وغافِلتهم. ووجه في كتب السيرة أن أحباؤ اليهود والنصارى من نصارى اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازع العرق عنده، وكان صلى الله عليه وسلم يجادلهم بالتي هي أحسن يستمتع لأصواتهم واستفساراتهم ومن ذلك جعله رحمة لله يسألون عن خلق الله."

1 مسيرة ابن هشام ج ۲ ص ۲۲۳
2 الأموال ص ۲۴۴
 تعالى فجاء جبريل عليه السلام وتلا عليه "سورة الإخلاص" وطلب منه جبريل عليه السلام لا ينضجر لأن أسلهم تنافس مع عقيدة المسلمين، وكذلك أجابهم صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين والذي سأل عن ذلك هو شمويل، وأجابهم عن الساعة وجزاء عازر بن عازر وأشيع وسألهم عن نزول الله من الرسول فلما صلى الله عليه وسلم الآية "قل أم gıda بالله وما أنزل علينا وما نزل على إبراهيم وسامع ويعقوب والأسابيع وما أوثى موسى وعيسى والنبيين من ربه لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" ودخل صلى الله عليه وسلم على جماعة من أصحاب أهل الكتاب في بيت اسمه المدارس ودعائهم إلى الله تعالى كما جاءه شام وبن سوريا بالحكم بينهم فحكم بينهم بما أنزل الله. وكان كبار الصحابة يجادلون مع أحبار أهل الكتاب زمن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ما جرى بين أبي بكر الصديق فنحاص وهو أحد رجال الدين.

الوثيقة الدستورية بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب

الوثيقة الدستورية التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمهاجرين والأنصار لأهل الكتاب دليل على التسامح الديني بحيث وادع فيه يهود وعاهدهم وأمدهم على دينهم وأمواتهم وشرط إيهم واشترط عليهم وما جاء في الوثيقة التي تنظم العلاقات المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب "يهود بني عوف أمة مع المؤمنين يهود دينهم والمسلمين دينهم". وأن بينهم النصح

---

1 سورة آل عمران آية 84
2 المراجع السابق ص 220، وما قبلها
والنصيحة والبر دون الإثم وأن النصر للمظلوم وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو
اشتجار يحقق فساده فإن مرهد إلى الله عز وجل وليهودة صلي الله عليه وسلم
وكان تعامل النبي صلى الله عليه وسلم يشمل الموضوعية والعدل والأخلاق التي تأثر بحسن
التعامل معهم كبيرة ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: "من ظلم معاها أو كله فوق طاقته فأنه
حججه يوم القيامة".
وقوله صلى الله عليه وسلم "احتفظوني في دستي"، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يزور
مرضاهم وقد زار شاباً يهودياً مريضاً في منزله، ومات صلى الله عليه وسلم ودرعوه مرهونة عند
يهودي، بل إن زوجته عائشة رضي الله عنها سمعت من امرأة يهودية زارتها في بيتها كلاماً عن
الأمور الدجال وأخبرتهم النبي صلى الله عليه وسلم بما سمعته من اليهودية فأدرك لها صلى الله عليه
وسلم أمر الدجال وهكذا كانت حياته صلى الله عليه وسلم مثلاً للتسامح وقد جاء في الآثار أنه
عندما مرت جنازة كابي وقف صلى الله عليه وسلم احتراماً للجنازة وعندما بلغه وفاة النجاشي
في الحبشة صلى عليه صلاة الغائب ونعاه إلى المسلمين.

المسلمون الأوائل يطلبون اللجوء إلى ملك الحبشة النصراني

تشير كتب السيرة أن البلاء الذي أصاب المسلمين الأوائل دعاهم بتوجهه من النبي صلى الله
عليه وسلم للهجرة إلى الحبشة واللجوء إليها وقد جاء في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم: "لأ

---
1 المرجع السابق ص 147
2 أبو داوود، الج 3 ص 321
3 الأحكام السلطانية الماوردي ص 143

210
خرجتم إلى أرض الحبشة فإنها ملكها لا يظلم عده أحد، وهي أرض صدق. وخرج الملائكة رجلا ونساء ووجدوا هناك الأمان على دينهم لا يذون ولا يسمون شيئا يكرهون وحاولت قرون الإتصال بالبطاقة الأحاسيس لإخراج المهاجرين من الحبشة وحوضوا عليهن ملك الحبشة الذي فر بأبنه الوليد وأقاموا عده أمان وسلام وكانوا قد قرأوا له ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بعيسى عليه السلام وأمه مريم مما نزل من القرآن الكريم.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوصري الخلقاء مزيدين محاربة ورعاية

أشهرت المؤلفات إلى أن الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى الخليفة الذي سيؤل
زمام الأدور بعده خيرا بأهل الكتب وأن يوفي لهم بعدهم وأن يقاطحال ورائهم ولا يكلفون فو
طاقهم. وتشير كتاب التاريخ أن قبيلة بني تغلب النصارى كانت تحارب ضمن جيوش المسلمين
في عهد عمر رضي الله عنه.

ولعل تفاصيل الخليفة علي بن أبي طالب مع رجل نصارى حول درع في الدلالة الواضحة
على نظرة المسلمين إلى غيرهم في المساواة والعدلية أمام أجهزة القضاء.

وفي عهد عمر رضي الله عنه كان مسؤول الموازنة المالية عند الوالي أبي موسى الأشعري
رجلًا نصارى.

والأسمة والشواهد التاريخية عن وضع غير المسلمين المستنذ في العهد الراشدي أكثر من أن
يقصي. وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقادة وولائه ومنهم أبو عبيدة أن يحافظ على

---

1 الأنس الجليل ج1 ص 154
2 الخراج ص 134

211
الناس من أجل الكتاب وعلى أموالهم وأن يقرحهم في أوطانهم وقَد ذَكَر ابن القيم الجوزية في (كتابه
أحكام أهل الذمة) أن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي لم ما للملأيين، وعلى ما عليهم خلافا
لما كانت عليه الأمم السابقة التي تعامل المخالفين لها معاملة البداهة، وقد ذكر جروسيوس الهولندي
مؤسس الحقوق الحديثة في كتابه (حقوق الحرب والسلام) أن أوروبا في عصره كانت تقدم على
أعمال في حريرها تستحي منها الروعش.

ولو عدننا إلى التسامح الديني الذي أقره الإسلام وكيف عاش اليهود في الأندلس جنبا إلى
جنب مع المسلمين والنصارى، وكان منهم الشعراء والأطباء والصيارفة والتجار لرأينا أن الإسلام
قد استوعب الناس جميلا على اختلاف ملهم وعاقاتهم.

ومن خلال هذه النصوص علينا العمل لإبراز مبدأ التسامح الديني وذلك من خلال التراز
والثقافة وإعطاء النماذج الحية على هذا التسامح، فمثيرة تابو سمي في الطائفة السامية جنبا
إلى جنب مع المسلمين والنصارى كأسرة واحدة وكذلك مدن نبت لهم وبيت ساحور وبيت جالا
ورقة الزبدة، وإبراز هذا المبدأ فإن القضية تحتاج إلى وعي ثقافي من خلال المناهج وأساليب
القرية لاحترام إنسانية الإنسان، وتحتاج الأسرة إلى تشجيع الحوار والتذاكر الفكري بين المتفقين
والملمين.

---

1 الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد ص 81-82، ومقولة كتاب أحكام أهل الذمة د محمد حسنين
أعمال الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام وأقوالهم في العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب

الأعمال والأقوال والتصورات التي كان يقوم بها الخلفاء الراشدون، وكذلك الصحابة الكرام، تكشف عن طابع العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فالخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمر قادته أن لا يعرضوا لكنيسة ولا إجلاس الدين من غير المسلمين وطلب منهم أن يتركهم وما هم عليه.

وفي عهد عمر رضي الله عنه رفض أن يصلح داخل كنيسة produita خوفاً من أي نزاع مستقبلي وصلى خارجاً وأعطي أهل القدس الأمان على أنفسهم وأمواتهم وكنساتهم وصلابتهم وأن لا تسكن كنساتهم ولا هدم ولا ينقص من خيرها ولا من صليبهم إلى آخر ما جاء في العهدة العمرية التي سلتها عمر رضي الله عنه للبطريرك صفوئيوس.

وقام قادة الجيوش الإسلامية كذلك بتنظيم المعاهدات وإعطاء الوثائق لأهل الكتاب وكلها تشير إلى الاحترام المتبادل بينهم وبين أهل الكتاب ومن هذه الوثائق معاهدة القائد خالد بن الوليد مع أهل الحيرة وأهل عانات، وكذلك معاهدة القائد أبي عبيدة مع أهل مصر وقد قالوا لأبي عبيدة: (إجلا نا وما في السنة خرج فيه صالبنا والربات وهو عيدنا الأكبر، ففعلوا ذلك وأجابهم إليه وذكر أبو يوسف صاحب كتاب الحراج وكان قاضياً للقضاة أن أهل الكتاب وقفوا صفاً واحداً مع المسلمين ضد أعدائهم ما وجدوه من وفاء المسلمين لهم.

الخراج ص 148

1
ونرى أيضًا أن تلك الوثائق تضمنت الحماية الاجتماعية لغير المسلمين ويظهر هذا جليًا في معاهدة أهل البحرة والتي وقعتها خالد بن الوليد على اعتبار أن الضمان الاجتماعي يشمل جميع المواطنين على اختلاف أديانهم وعقائدهم ووجهاء في تلك المعاهدة وشرط عليهم أن عليهم عهد الله بميثاق الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل . وجعلته لهم أبا شيخ ضعف عن العمل أو أصابه ألغة من الآفات أو كان غنياً فاقتصر على من يتفر رائم المسلمين وعباءته .

وقصة اليهودي الفقيه مع عمر بن الخطاب أمير المؤمنين مشهورة في كتاب التاريخ الإسلامي، حيث قرر له أمثاله رابطًا شهراً من خزينة الدولة ورأى عمر رضي الله عنه أن كلمة المسكنة الوردة في آية مصارف اللكة المقصود بها فقراء أهل الكتاب ويعني هذا تخصص هذا المسكن لمساكينهم.

مواقف الفقهاء والعلماء من غير المسلمين

يستند بما استتبعته الفقهاء من النصوص القرآنية والسنة النبوية أنهم رسموا العلاقة التي ينبغي أن تتصف بها الجماعات التي يعيش بها أصحاب الملالي الأخرين مع المسلمين وقد ظهر ذلك في مصنفاتهم ومؤلفاتهم، ومن أشهر هؤلاء الإمام أبو حنيفة وصاحبه قاضي الفضاء أبو يوسف والإمام محمد بن الحسن الشيباني وغيرهم من فقهاء الإسلام، ومن أشهر المؤلفات في هذا التخصص الكتاب الذي وضعه قاضي الفضاء أبو يوسف لأكبر ملك الأراض في زمانه هارون الرشيد واسم الكتاب (الخراج)، وقد طلب قاضي الفضاء في كتابه المذكور أن يسير الخليفة هارون الرشيد

1 الوثائق السياسية د. محمد حميد الله ص 317
على نهج من سبقة من الخلافة في الوقى بأهل الذمة والمبادرة لهم حتى لا يظلموا ولا يذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يخذل شيء من أمواتهم.

وأشاد البلاذري في كتابه (فتح البلدان) بموقف الفقهاء السبعة العظيم إزاء ما أراده إيلي جزيرة قبرص عبد الملك بن صالح بن نقض اتفاقية الصلح مع أهل قبرص بسبب حدث طارئ وامتحان الفقهاء السبعة عن تأييده بل طلبو منه الوقى لأهل الكتاب والفقهاء هم الليث بن سعد، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وموسى ابن أعين، وإسماعيل بن عياش، وبحي بن حمزة، وأبو اسحاق المزاري، وخلد بن الحسين.

ومن المواقف التي وقعت علماء الإسلام موقف الإمام الأوزاعي البيروتي من الوالي العباسي صالح بن علي حينما أراد إجلاء بعض سكان جبل لبنان النصارى بعد أن بلغه أن بعضهم كانوا قد أخرجوا مواسلاً مع الروم وقد رفض الإمام الأوزاعي خطوة الوالي العباسي قائلاً له: كيف تتخذ عامة عمل خاصة فيخرجون من ديارهم وأمواتهم؟ وقد بلغنا أن من حكم الله عز وجل أن لا يأخذ العامة عمل الخاصة ولكن يأخذ الخاصة عمل العامة، وطلب الإمام الأوزاعي من الوالي أن يحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدمظلم غير المسلمين من أهل الكتاب الأحرار.

وموقف آخر من المواقف الحالية هو موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من سلطان النصارى حينما أراد إطلاق سراح الأسرى المسلمين والإبقاء على النصارى فكتب إليه ابن تيمية يطلب الإفراج عن

المراجع السابق ص ۱۴۸
فتوح البلدان ص ۱۶۲-۱۵۹
الأموال ص ۲۴۷
النصاري لأهلهم كمسلمين وحذره إن لم يطلق سراحهم من استنفاف القتال لفك الأسرى من المواطنين.

وشي مؤلف أصول الفكر السياسي الإسلامي أن السلطان العثماني سليم الأول أراد إجبار رعايا الدولة العثمانية على اعتناق الإسلام، فأبقى منだし المسلمين ذلك 2، وآله عليه قول الله تعالى (لا إكراه في الدين)، ورأى كثير من الفقهاء على اختلاف مذاهبهم أنه لا يجوز التعرض لأموالهم (المحرمة والحتر زين) ولا حتى استغلالهم بسوء وأن عقد الذمة عقد أبدي لا ينقض إلا مجازاً واحدة وهي تجولهم إلى مساجد وانتقاهم إلى ذر الحرب خاربة المسلمين من هناك وما عدا ذلك لا ينقض عدهم 3.

وأما بخصوص ذكره أن كثيراً من المؤرخين 4 يؤكدون أن غير المسلمين من اليهود والنصارى تسلموا مناصب هامة في عهد الإسلام المخلطة فطبب ما رون الوثيد الخصي مسعود كان من النصارى السرايا كما أن كثيراً من المستشارين من اليهود والنصارى عينهم الخلفاء في وظائف الدولة الإسلامية، وحتى في عهد الخلافة العثمانية كان في بلاط الخليفة العشرياناً كما أن كثيراً من المستشارين كانوا من أهل الكتاب وكان "مجلس المبعوث" العثماني يضم ممثلين عن جميع الملالي والمذاهب.

وهناك بعد زوال الخلافة العثمانية قلباً إزاء كثيراً من أهل الكتاب يسلمون المناصب العليا في شتى بلدان العالم الإسلامي في مصر وسوريا والعراق والأردن ومصر فلسطين والمغرب وغيرها.

---

1. أصول الفكر السياسي الإسلامي، محمد فتحي عثمان ص 232
2. المراجع السابق
3. بقلم النحّاالح، ص 112
4. من أولئك المؤرخين جيمس باركروتس، روث، وبرنارد لويس الإنجليزي

216
إلا أنا تلاحظ أن جهات أجنبية تسعى لإفساد العلاقة بين المسلمين والنصارى في أكثر من بلد عربي.

تحضر من ساسة الصهاينة لإفساد العلاقات الإسلامية والمسيحية في فلسطين بحرص الساسة الإسرائيليون على إفساد العلاقات بين المسلمين والنصارى وذلك لتحقيق ما أرب كثيرة، ومن ذلك ما ذكره رئيس وزراء إسرائيل السابق بنامين نتنياهو في كتابه (مكان تحت الشمس) (حيث يقول:، إن ينشر الكثير من طابع الانتفاضة المعادي للمسيحية: معركة من العنف واشغال النيران والابتزاز، كانت موجهة ضد المسيحيين في الضفة الغربية بقصد إرغامهم على بيع ممتلكاتهم إلى المسلمين، وترك "الأرض المقدسة"). إذ توجد اليوم في مكان مسيحي بارز، مثل بيت لحم، مثل، أغلى مسلمة نتيجة لحجة المسيحيين، فقد كتب القس جورج أبو حزاز في الصحيفة الكاثوليكية "واسعة"، أن الدولة العربية، دفعت بأموال كثيرة إلى الضفة الغربية بهدف "أملمة" البلاد، وأعرب عن خشية من القوانين الوجود المسيحي في الأرض المقدسة.

وقال أبو حزاز إن المسيحيين خافوا على أرواحهم ولم يجروا على الكلام، لكن هذه الحقائق لم تصل إلى البراج التي بثت شباكت التلفز الأجنبي عن الانتفاضة، وكان تباهو غري صحيح لأن المسلمين والمسيحيين كانوا ولا يزالون يشكلون صفا واحدا ضد وجود الاحتلال الإسرائيلي في الانتفاضة قبل وقبلها، فنستذكر لنا المواقف الوطنية المخلصة لبعض المسيحيين في فلسطين قبل

١٨٨ ص

٢١٧
نسبة (48) ومن هؤلاء اميل القول أحد مستشاري الحاج أمين الحسيني، وكذلك عضو اللجنة
التنفيذية القس المطران إيليا خوري وإبراهيم عياد وغيرهم كثير في فلسطين وخارجها.

أخيراً يكمن القول ان التعاون مع أهل الكتاب والذين هم أهل ذمة وعهد هم الأصل
والأساس في مبادئ الإسلام. وجميع الأدلة تؤكد ذلك وكل محاولة لإفساد هذه العلاقة تنافى مع
مبادئ الإسلام وأحكامه سواء في فلسطين أو خارجها.

***************************
المقالة الحادية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرة الإسلام لغير المسلمين

الشيخ نسيب يبوض النميري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين

وبعد:

سألني في هذه العجلة نظرة الإسلام لغير المسلمين وكيف تعامل معهم وكيف رفع من شأنهم ، في موضوع الكرامة الإنسانية والتعاون مع بني البشر ، والتسامح مع الناس ، وعدم إكرارهم على الدخول في الإسلام ، والحرية في تقرر المصير ، وفي التسکك بالفضيلة في اشد الظروف حساسية ، وفي العدالة والمساواة ، وفي المودة ومنع الفساد ، وفي الحرب وفي السلام ، وفي احترامهم وآكرام وفادتهم وسأُبَّارى إن شاء الله لِهذِه العناصر على النحو التالي :

القائم بأعمال قاضي القضاة

319
الكرامة الإنسانية:

لقد كرم الله الإنسان ببن جملة خليفة في الأرض، (وإذا قال ربك للملاك إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وينذج بنجاحك ونقدس لك قال إنما إعلم مالا تعلمون)، ونروي أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عبر آخر بسعود أمه وقال له يا ابن السوداء فغضب النبي عليه السلام وقال لقد طف الكيل لقد طف الكيل لقد طف الكيل ليس لابن البيضاء على ابن السوداء أفضل، ونروي أنه مرت جنازة يهودي فوقف لها النبي صلى الله عليه وسلم تكزيا فقال له بعض أصحابه إنها جنازة يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم أليس نساء.

الناس جميعًا أمة واحدة

اعثر الإسلام الناس جميعًا أمة واحدة الإنسانية تجمعا وإن فرقت الأهواء فالأصل واحد، وما دام الأصل واحد فالوحدة شاملاً قال تعالى: (إذ أرنا الناس اتقوا ربيكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجاً وثنتهما رجالاً كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساعلون به والأرحام، إن الله كان علىكم رقيبا). 2

إن الناس جميعًا أمة واحدة وإن اختلافهم عارض ومنشأ الاختلاف الأهواء، وإن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل عليهم السلام بالهدية ليحكموا أمر الله بين الناس في هذا الاختلاف وليبينوا...
لهم طريق الهدية فيسير فيه من تغلب على هواه، وإن اختلاف الناس شعوباً وقبائل متغايرة لم يكن
ليتقافوا ويتغلبوا ولكن ليتعاوا ويعاوا وابتغوا (بأيها الناس أنا خلقكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوباً وقبائل ل لما تعاوا إن أيهمك عند الله أنتم، فإن الله عليكم خير) وإن هذا التعارف يجعل
كل فريق ينتظر نجئ ما عند الفريق الآخر.

التعاون الإنساني

إن النبي صلى الله عليه وسلم ملأ أن الله عز وجل يعين بالقوة من يعاون أفواه الإنسان في
أي إقليم وفي أي موطن فيقول على الصلاة والسلام (الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه)
لم يعين ذلك الأخ بل عمه ليشمل الأخوة الإنسانية ولا يقتصر على الأخوة الدينية أو الإقليمية وإنه في
الوقت الذي يشعر الإنسان فيه بالأخوة الإنسانية فإن التعاون مطلوب في كل صورة وأحواله،
لحتفي روح النزاع يحتفي ما يذكره البعض من مبدأ التنافر على البقاء الذي جرى على العالم
الماسي والويلات، وإن بقاء كل قوم لا يكون إلا بالاعتداء على غيرهم وحيث ساد ذلك الزعم كان
قانون الغابة هو الذي يحكم ويبعث ويسير الناس.

التسامح

التسامح والصفح خصائص تعلق بها الرسول عليه الصلاة وسلام وظهر ذلك في علاقته مع
المشركين وفي معايده وحوربه، فهي صلح المدينة وهو الصلح الذي تم بينه وبين المشركين عندما
أراد أن يgetWindow نعه وأيضاً أن يدخل البيت الحرام. وقد كان أساس هذا الصلح شيطان مجان

221
المشتركين وسمحتهما من جانب النبي صلى الله عليه وسلم فقد أصروا على منعه في هذا الصلح من أداء الحج في ذلك العام قبل هذا الشرط ومعه جيش كبير يستطيع أن يظهر عليهم واشترطوا مع ذلك أن من يخرج من مكة ملتحقاً بِنَبِيٍ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يرد إليهم إن لم يكن ذلك برضاه، وإن من يخرج من عهده مرتدا إلى مكة تقبله ولا يعفوه فقبل النبي صلى الله عليه وسلم السمح الكريم ذلك الشرط حتى ضح بعض المؤمنين من قبوله ووقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لماذا نرض بالدين في ديننا، ولكنها المحكمة النبوية والرسالة الخفية آتت الصبر والتسامح وعدم سفك الدماء ولم يكن ذلك قيولا للدينية ولكنه الهدى الإسلامي والتشريع الرباني حث على الصبر بدل القلق والقلق والوقوف بدل العنف، وأبلغ فيه رفق خير من تعجيل فيه عنف، والصفح الجميل إبرز ما يكون عند الانتصار فيما كان في الإسلام للأسرار والإنسجام بل إعلاء الحق ودع عدوان الباطل، لذلك عندما فتح الله تعالى مكة وخضعت لتوحيد كان الصفح الكريم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تحقق له النصر واستجب له الأمر للسلام من فريق ما تظلون أن يفعل بكم قالوا: أخذك وما أن توصل الكريم قال الرسول الكريم أنزل لكم ما قال أخي يوسف لأخوته لا تشرب عليكم اليوم ذهروا فاتم الطاقة وقُتل بقوله تعالى: (ادفع باليتي هي احسن فإذا الذي بنيك وبيته عداك أنه ولي خيي) وبذلك يبين أن التسامح والصفح الجميل هو السياسة الإسلامية في العلاقة بين الناس مع بعضهم البعض وخصوصاً بين المسلمين وغيرهم وهي السياسة المطلقة في حالة السلم والحرب.

حرية العقيدة

احترم الإسلام حرية العقيدة احتراماً كاملاً، فمنع الآخرين في الدين إذ نفى القرآن الكريم
بالنسبة أن يكون الإكراه في الدين طريقاً للدين ومنع المؤمنين من أن يكرهوا أحداً على الدين فقل تعالى (لا إكراه في الدين) (أفعال تكره الناس حتى يكونو مؤمنين). أراد صحابي من الأنصار أن يكره واديه على الإسلام فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ونزل الله في حقه قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الوعد من الغي) ـ جاءت امرأة عجوز إلى عمر بن الخطاب طلبت منه بعض الحاجة ولم تكن مسلمة فدعها إلى الإسلام فاستمعت خشيت عمر رضي الله عنه أن يكون قد آذاها بما طلب فاتحه إلى الله طالباً المغفرة.

لذا اعتبر الإسلام اصحاب المعمِّم في عقيدته فتنة وقرر أن القتله من القتلة لأنها عذبة الروح والعقل والقلب. وان حرية الدين لا تكون للرجل الحر من م(run the script) من الإكراه فقط بل لا بد أن يكون أساس الاعتقاد تعالىاً مما يحكم العقل من غير تقلد ولا خضوع لأوهام جاهزة مسيطة.

إن الإسلام عمل على حماية عقيدة الذين يستسلمون بطلية أو يعانون معه عهداً أو لا يثيرون عليه حراً بل أنه سهل لهم القيام بشهادتهم. وقرر فقهاء المسلمين فيما استبطعه من نصوص قرآنية ونبوية ومن أعمال الرسول وصحابته قاعدة تقول (وأولي باكرهم وما يدينون)، وبهذه القاعدة الجمع على ما في فقهاء المسلمين حيث حرية العقيدة في ظل الإسلام فلا يضايقون غير المسلمين فيما يعتقد ويمقيق شعائر الدين الخاصة بعقيدته حراً غير مضرًة ـ إن من له دين خيره من لا دين له لأن من له دين له وازع دينه وهدى يهديه.

الحرية في تقرر المصير

 ضمن الإسلام حرية الرأي وحرية العقيدة وحرية الإقامة لن يستسلموا بها وضمن حرية تقرر
القصة من يتحلى به وأنه لا يجوز للمسلمين أن يدعوا على أحد ولا يجوز لدولة الإسلام أن تستمر
أرض دولة أخرى أو تأخذ وسائط الاستغلال من أيدي أهلها فقوم رضي الله عنه ومن جاء بعده
ابقوا الأرض الزراعية في أيدي أهلها وجعلوا عليها ضرائب مفروضة قليلاً (المخرج) خفيفة لا
تقل كواهلهم ولا قال وإذا كان اعتداء على المسلمين وإذا كان القتال فحق الشعوب في قتال
مصيروهم تابث لذلك كان القائد المسلم الذي يذهب للقتال بسبب الاعتداء يخرج بين الإسلام أو
العدو، والقتال فان اختيار العدل كان الوفاء وإجابة وإن اختيار القتال كان بسبب ما اختاروا
لأنهم. وإن تقرر المصير كان بيث للأعداء حتى في الهند بعد النصر وإن لم يختاروا قبل القتال
فروى أن قتيبة بن مسلم فتح بعض أقاليم سرقند من غير أن يخرجهم بين الإسلام أو العهد أو القتال.
فشا أهل هذا الإقليم إلى الخليفة العادل عمر بن العزيز أن قتيبة قاتلهم قبل أن يخرجهم ذلك.
الخبير ليقرر مصيرهم فأرسل الخليفة إلى الفاضي ليستمع إلى هذه الشكوى فأصدر أمره إلى
جنت المسلمين بأن يخرجوا من البلد الذي فتحوه ثم خير هؤلاء من هذه الأسر الثلاثة ليقرروا
مصيروهم فاختاروا العهد ومنهم من اختيار الإسلام الذي سمح بذلك الخبير بعد الفتح والانتصار.
وقد كانت الفتح الإسلامية تحرر الشعوب من الاستبداد الروماني والفارسي وقد قال
الفيضون جوسلاوس لمن التاريخ لم يعرف فائتًا إرجم من العرب وفد اخطأ أن سمى دخل
الغرب في البلاد فتحا لأنه كان اقذاه وتحروا الشعوب.

الفضيلة:

إن من أساس العلاقات الإنسانية في الإسلام التمسك بالفضيلة سواء بين الأفراد أو الجماعات
وسواء كانت العلاقات في حالة الحرب أم في حالة السلام بصرف النظر عن نوع أو جنس من يتعلوـن
بهم أو يختلفون معهم ذلك لان قانون الأخلاق عام يشمل الأبيض والأسود والأحمر ويشمل جميع الأقطار فلا فرق بين أحد سواء كان مسلم أو كان مسيحي أو كان مسلم أو كان إنسان يفتقذ
قواعد السلوك الفاضل حتى لكل إنسان يفتقذ إنسانته التي هي وصف مشتركة بين كل إنسان
وأشد ما كان يدعو إليه القرآن في الأمر الفاضل هو ما يقتضي بالجهاد والقتال خشية أن تدفع النفوذ في حالة احتدام القتال إلى ما يخالف هذا المبدأ العام فالأمر بالمعاملة بالمثل عند الاعتداء
فمن اعتدى بدفع شره ومن قال قالوا ذلك بوجب الاستماسك بالقوى والقوى تكون
بالنساك بالفضيلة فعلى الله الذين يفتقذون ولا تصدوا إن الله لا يحب المتدنيين) وقال تعالى (ونحن
على الأمة جمعا فاتعودوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فاتعودوا عليه إن الله مع المремين)
فإن أتهمك العدو حورات الفضيلة فلا تنتاهل حرمة النساء والذرة والضعاف لا تفعل مثل ذلك
يقول عليه السلام: (أياكم وملأ) 槐ذا تكون معاملة المسلمين لغيرهم على أساس
الفضيلة لأن هذا الدين جاء حماية الفضيلة وإنشاء جمع فاضل تسوده الفضيلة وتحقيق فيه
الرذيلة.

العدالة

قامت كل علاقة إنسانية في الإسلام على العدالة واعتبر الناس جميعا سواء إن كان هناك
تفاضل بالأعمال والجزاء عليها إن خيرا فخير وإن شروا فشر لا يجر منكم شنآن قوم على ألا
تعدوا اعدوا هو أقرب للتقية) وفي الحديث القدسي (يا عابدين إني حرمت الظلم على نفسي
وجعلت بنكم حورما فلا تظالموا) واعتبر النبي - صلى الله عليه وسلم - من يعاون الظلم على
ظلمه خارجا من الإسلام فقد قال (من مسحى مع الظالم فقد خرج من الإسلام) ومن رحمة الإسلام وعدله أن جعل ردا لاعتداء القدر الضروري برده فلا يتزاوج مجارم المسلم حدود الدفاع فلا يقتل من لا يقاتل ولا يكون له رأي في الحروب ولا يقبل الذريعة والشيخوخ ولا العمال المنصرفين للزراعة أو غيرها

الموة ومع الفساد

لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلونك في الدين ولم يخرجوك من ديارك أن تروهم وتقتستوا إليهم إن الله يحب المقتضين؛ إنما ينهيكم الله عن الذين قتلاك بالذين وأخرجوك من دياركم وظاهرها على إخراجكم أن تولؤهم ومن تولؤهم فأولئك هم الظالمون ۱. الإسلام يعتبر الناس أمة واحدة لا تفرقها الألوان ولا الأقليم ولا الجنسية ولن اختفت الأديان وإن أهل الإسلام أني بدعوا لديهم بالحكمة والوعظة بدون تعصب يصم عن الحقائق ولا أكره ولا إغراء يغير الحجة والنبرة وإذا كان الناس أمة واحدة فإن الأخوة الإنسانية ثابتة يجب وصلها ولا يصح قطعها وقد أمر الله تعالى بأن توصل القلوب بالموة فإن الإسلام لا ينهي عن بركل من لا يعتد على المسلمين فالله تعالى كان جدير بالموة وأيهم المسلم وإن الموةوصولة لا تقطعها الحروب ولا الاختلاف وإنه يرى أنه في مدة حديثة صلح الخديبة التي كانت بين المسلمين وقرش بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أن قرشا أصابتهم جائحة فأرسل مع حاطب بن أبي برقه إلى أبي سفيان خمسانة دينار ليشتري بها فحما وياتهوا على غرق قرش فرعا الأعداء الذين لا يشاركون في القتال فإن موته لا يتقطع للمداوة.

١ سورة الممتنعة ، آية ٨
دار الحرب ودار الإسلام ودار العهد

كان أصل هذه التسمية في علاقة المسلمين بيهم هي الحرب أو السلام. ونتيجة اجتهاد فقهاء فهم من قال أن الأصل في العلاقة هي الحرب وافقوا قولهم في ذلك مع الواقع في أن الصور وهم ليسوا الأكثرية ومنهم من لم يأخذ الحكم من الواقع بل أخذ من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية واعتبر العلاقة هي السلام حتى تكون دواعي الحرب وأسبابها.

وتركز كلمات الفقهاء في تجميع على أن دار المخالفين تسمى دار حرب لأنها فعلًا كانت في عصر الإجتهاد الفقهي دار حرب ببسب تلك الاعتقادات المتكررة من الأعداء والمدافعة المستمرة من المسلمين. ولإن هذه التسمية هي حكم مبني على واقع حيث كانت الحرب مستمرة فعلاً وواقعاً وهذا لا يتناقض مع المثل العليا التي يكررها الإسلام. ولم يمنع الحرب تنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم على أساس الفضيلة والضيافة والمدنية وما عرف فقهاء الإسلام أن الفتحunalطي المسلمون سلطاناً مبنياً على العدل والفضيلة أو القوى فلا سيادة ولا مسؤولية ولا غالب ولا مغلوب بل عدل وإنصاف.

إذا الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلام فإن ذلك هو رأي الجمهور العظمى من الفقهاء والقادة الذين خلفوا ما كان نظراً إلى الأصل بل إلى الواقع. وكان حكماً زمنياً وليس أصلياً.

ذبيباً وإن تسمية دار المخالفين دار حرب لا مع من أن الأصل هو السلام.

سيادة الدولة على غير المسلمين

ثبت سيادة الدولة على غير المسلمين الذين يستقلون بيزنيات ومهم قسمان: ذمي ومستأمن.
الذيُّ: هو من يُقيم مع المسلمين على أن يكون له مالهم وعليه ما عليهم بعقد يسمى عقد الدهم وينزله أول الأمر لأنه بموجب يفرض على الذي واجبات الدولة يقوم بأذائها وفرض حقوقها للشخص يجب على الدولة القيام بها وعقد الدهم عقد أبدي لأنه لا تم الرعوية الإسلامية له إلا إذا كان الوضى بالإقامة مع المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم أبداً غير محدود وقت. وهذا العقد ينفذ على الشخص الذي عقده دام حيا وعلى ذريته من بعده، وكان يحدث في العهود الإسلامية أن يعلن ولي الأمر أن من يرضون بالإقامة مع المسلمين يلتزمون ما على المسلمين ما عدا ما يتعلق بالدين يكونون ذملين فلا يفرض أحد منهم على ذلك ويكون هذا بعثرة عقد الدهم الفردي وأن على الذين لا يرضون ذلك أن يرحلوا ويقعوا عقد أمان محدود المدة. وعقد الدهم يشترط فيه:

شرطان:

1- أن يلزم الدُّميين إعطاء التكاليف المالية على القادرين لكي يساهموا في بناء الدولة ويشتركوا في تكوين ميزانها المالي
2- أن يلزموا أحكام الإسلام في المعاملات المالية وفي الخصوص للعقوبات الإسلامية لهم ما لل المسلمين

أما بالنسبة لنظام الأسرة من زواج وطلاق فتبنىون ما يعتقدنه دينهم وأمرنا بتركهم وما يُدينون، في المطولة والمشروبات نتركهم كذلك وما يعتقدون حطة وحلفهم على أن يكون ذلك في خاصتهم قال الأحناف ( لهم أن يشرعوا الحمر، وأكلوا الخنزير إن كانوا يعتقدون أن ذلك حلالاً لهم حتى لا يكون تحريم ذلك تدخلاً في حررتهم الشخصية ولذلك لا يعاقبون على الشرب إلا إذا كان في عمهم تحريم لشباب المسلمين فإنهم يؤخذون على الحريض لا على الشرب. لهذا أوجب
المذهب الحقني حماية الحرية الشخصية لأهل الدمة في هذا المقام فلو أقام مسلم خيراً لذا أو
قل خزيراً وجب عليه قيمة ما اتلف ولما فعل ذلك لمسلم لا يجب عليه دفع قيمة ما اتلف لأنه
مال عند الذمي محترم غير محترم ولا مقوم عند المسلم.

هذه حقوق الذمي وواجبات عليه استلزمها الاندماج في الدولة الإسلامية ويعيش فيها
وهناك واجب آخر عليه وهو أوّل واجبات وهو الجزية وقد افترى البعض على الإسلام و
اعتبرها من مظاهر السيطرة الإسلامية عليه وما هي إلا مظهر للعدالة الاجتماعية في الدول
الإسلامية ذلك لأنها فرضة فرضت على الذمي نظرًا ما يفرض على المسلم من ركاثة يجب عليه
بمعنى دينه وما يؤدي من كفارات وندوات وقدرة لترك عبادة.

وهي التكاليف المالية على الأفراد في الدولة الإسلامية لإجهاضها في بتائها وهي تتفق على المصالح
العامة وتصرف في مهنة من يحتاج من أهل الذمة كمساعدة مالية لجزر و حاجة وحماية لأفراد من
المسلمين والذين واجبة على الدولة، فالذي يعيش في الدولة الإسلامية مصون محترم لا
يصح الاعتداء عليه وحرمت الشخصية مصونة ليس لأحد أن يمسها وكرامته مصونة لأنه إنسان
مصون كمسلم سواء بسوا.

لهذا اعتنى الإسلام في تنفيذ هذا القدر رجل النبي صلى الله عليه وسلم يشدد في الدعوة
إلى احترام حقوق الذمي ( من آذي ذمي فأنا خصمته يوم القيامة ) وكان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه يرسل العين إلى ولاته ليعرف مقدار إقاصهم للعدل على رعاياهم وأول ما يهم بالسؤول
عنهم عن معاملتهم لأهل الذمة وحسن هذه المعاملة دليل على قيم العدل بين جميع الرعايا.

وكان يدقس ممن يظلمهم ولو كان الوالي ويلوي في هذا أن ابن عمرو بن العاص وابي مصر
تسباب مع شاب قبطي فسقه الشاب القبطي فعلا ابن العاص بالسوط وقال له أنت ابن الأركوين فذهب الشاب القبطي إلى عمر رضي الله عنه في المدينة فاحضر عمرو وابنه وارد الشاب القبطي أن يضرب ابن عمرو منعاً للقتال، حتى يشتهي نفسه فضربه وعمر يطلب منه الزيادة كما سكت وقول زد ابن الأركوين فلما أشتكى الشاب لنفسه راح عمر عمامة عمرو عن رأسه وقال للشاب القبطي اضرب على صلبه عمرو فباسمه ضربك فأنت الشاب وقال عمرو ما علمت بهذا.

الجزيرة لا تؤخذ إلا على الرجال الأحرار العقلاء القادرين فلا تجب على امرأة ولا صبي ولا بجاد ولا عبد ولا مسكون كما لا تأخذ من ذي العاهة ولا من الشيخ الفاني ولا من الراهب الذي اعتزل الناس ولا يكلف القادرون من أهل الكتب أن يجمعوا السلاح، ويدفعوا عن البلاد، بل يقوم بذلك المسلمون، وفي النهاية بدل الخدمة العسكرية وذلك من عدل الإسلام المطلق إذا القتال بالإسلام مرتبط بالعجيزة في سبيل الله ليس من العدل أن تكلف إنساناً من أجل عقيدة لا يؤمن بها ومن يسلم تسمية عهده الجزية، وإذا لم يتمكن الوالي من حمايتهم تسقط الجزية.

المستثنى: شخص دخل الديار الإسلامية على غير نية الإقامة المستمرة فيها، لقي فيها إقامة محدودة لمدة معلومة يدخل فيها بعد يسمى عقد الأمان وبعده ذلك يمنح الإقامة ولربما وتنمية يدبر الحرب بينها وبين المسلمين فإن أموالهم مضمونة وراوحهم لا يتعدي عليهم أحد ما داموا مستمرين بعقد الأمان وملتزمين به، وفي الحين على الوفاق بالصواد والمباشرة وقال عليه الصلاة والسلام (إن من قال معاهدًا معهما حرمه الله عليه الجنة)
وهكذا يضح لنا التعامل مع الآخر معاملة فريدة مميزة فيها كل التقدير والاحترام الإنسانية الإنسان ، وإن هذه المعاملة غير موجودة في أي ملة أخرى .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيده المرسلين .

٢٣١
نظرة الإسلام الآخرين

د. ناجي عبد الحبار

مقدمة

بالرغم من أن موضوع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي وموقف الإسلام منهم قد تبين
وعدد من خلال النصوص القرآنية والآثارية النبوية الشرقية، ومن خلال مواقف الخلفاء
واجتهادات الأمة عبر العصور، إلا أن هذا الموضوع لا يزال يتذكر حتى الآن. ولعل من عوامل إثاره
هذا الموضوع -واللحج- في الآونة الأخيرة ما يلي:

١. إن التقدم نحو الإسلام بشكل واضح من قبل الأفراد والجماعات، وعصر الدول,
جعل عددًا كبيرًا من غير المسلمين يخشون على وسعهم، ويتساءلون عن مستقبلهم فيما إذا
تم الأمر للإسلام وحكم. ومع غير المسلمين الحق في أن يتساءلوا عن مستقبلهم فيما لو
حكم الإسلام بالفعل؟ بل إنهم الحق في أن يعفوا على حقيقة أوضاعهم في المستقبل
الذي بات وشيكة، كما كأن يبدو مع تناهي الصحوة الإسلامية في العالم.

٢. حينما ظهرت حركات إسلامية متعددة في العالم العربي الإسلامى، بل وفي العالم،
و حينما طرحت هذه الحركات والمنظمات الإسلامية شعار "الإسلام هو الحل"، حينما

مدير في كلية الآداب - جامعة بيروت

٢٣٣
ظهرت بعض الممارسات والتصرفات الفردية غير المسؤولة، من قبل من ادعوا بأنهم يتبعون إلى هذه الحركات، حينذاك، تصور غير المسلمين بأنهم لن يكون لهم موطئ قدم مع صعود مثل هذه التنظيمات، بل وتساؤلت بعضهم إذا كانت طروحات "المعتمدين" على هذا النحو وهم لم يصلوا بعد؟ وإذا كانت ممارساتهم على ما نرى قبل أن يحكموا؟ كيف يكون الأمر حينما يحكمون؟ من هنا، كان معهم الحق في أن يبدروا إلى طرح قضاياهم ليطلبوا على أوضاعهم من جهة، وليحددوا مواقفهم من أصحاب هذه الظروف من جهة ثانية.

2. إن بعض الأمثلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تحقق لغير المسلمين في ظل الأنظمة الحالية غير الإسلامية، جعلت غير المسلمين يتضمنون من إمكانية زوال هذه المكاسب التي تحقق لل أقلية على حساب الأكبرية. فتقرّب الأقليات سياسيا، ويعطّلهم بعض الحركات الاجتماعية لمارسة أمور لا تقبلها الجماعات الإسلامية، والسماح لهم بالتجارة بالممنوعات والاغتناء على حساب الفقراء، كل ذلك جعل غير المسلمين يتضمنون من خسائرهم مثل هذه الأمثلات التي لن يكون لها رجعة لحكم الإسلام بالشكل الصحيح.

4. لقد أساء بعض المشددين فيهم بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالموالاة مثل: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولاء بعضهم أولاً، ومن يفعل منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الفظالمين".1 "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولاء من دون المؤمنين". 2

1 سورة المائدة آية 51
2 سورة النساء آية 144
"لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس منه الله في شيء". ففسروا هذه الآيات على أنها دعوة للقيامة والجافاة والكراهة لغير المسلمين. هذه الآيات فهمت فيها خاطئة، إذ المقصود حينما يكون المسلمون في حالة حرب معهم، لا تجوز موالاتهم، أما إذا كانوا معاهمين أو معاونين، فالمسألة غير ذلك، فليس من واجب المسلم أن يحكم على غيره أو يكتب، بل الأمر متروك لله تعالى. بل إن الاختلاف في الأديان من سنن الكون إذ قال تعالى "ولو شاء ربك بل الناس آمة واحدة" ।

5. إن بعض المفاهيم المغلطة عن الإسلام والمسلمين من قبل غير المسلمين، بالإضافة إلى بعض الأديان والإشعارات غير الصحيحة عن الإسلام والمسلمين، جعلت غير المسلمين يطرحون القضية من جديد. وكل ذلك، إنما لأنهم لا يفهمون الإسلام فهما صحيحاً، وإنما لأنهم قرروا أديان مغرضة عن الإسلام والمسلمين.

6. إن تسلط الكنيسة ورجال الدين في أوروبا على الشعوب، حينما كانت السلطة للكنيسة ولرجالها، وما تبع ذلك من أحكام وقوانين دكتاتورية على غير المسيحيين وعلى المدنيين، جعلت البعض يصور أن الإسلام حينما يحكم، وأن المسلمين حينما يحكمون قد يمارسون طرقاً محاكمة التقييم الأوروبي، فظهرت الخوفات، وظهرت السؤالات الكثيرة عن المدنيين، حتى أتهما سلفاً بنفس ما اتهم به مخصوص الكنيسة آنذاك.

---

1 سورة آل عمران لية 28
2 سورة هود لية 118

235
وتوضح موقف الإسلام ونظرته ومنارات أفكاراه تجاه غير المسلمين، في ظل مجتمع إسلامي

وأحكام إسلامية، لا بد من تناول القضايا التالية:

أولا: تقدير الإسلام للديانات السماوية الأخرى

إن الإيمان بالله تعالى، والشهادة بأن محمد رسول الله، لا ينفع ولا ينفيه إلا من يقنتها
بالإيمان بالرسل الآخرين، وبالكتب السماوية الأخرى. فجزء من عقيدة المسلم أن يؤمن بالرسل
وبالكتب السماوية، وإلا كانت عقيدته منقوصة. بل غير مقبولة عند الله تعالى. وقد كان هذا
واضحا للمسلمين الأوائل، كما أنه يشرح ويوضح للمسلمين المعاصرين في جميع الأديان.
"فولا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وسماعيل ويسوع ويسوع وعيسى، وما أتى
موسى وعيسى وما أتى النبأ من بعدهم، لا تفرق بين أحد منهم وبينه المسلمون. 1 "آمن
الرسول بما أنزل عليه من نهجه وعهده وصدقه وكبه ورسله، لا تفرق بين أحد من
رسله. 2"

وإذا تحدد الله تعالى لموسى عليه السلام، والترابا "إيا أنزل الترابا فيها هدى ونور. يحكم بها
النبي الذي أرسله الله وله هو الفيحاء، واعتقده وحدها والقياس، ومهما استحفظوا من كتاب الله وكناه عليه
شهداء. 3"

وإذا التهيئة أيضًا إلى عيسى عليه السلام، والترابا "وأتيناه الإنجيل فيها هدى ونور
وصدقًا لما بين يديه من الترابا، وحده و果树ة المسلمين، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيهم،

---

1 سورة البقرة آية 135
2 سورة البقرة آية 785
3 سورة المائدة آية 44
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأنزله لمن يؤمن ويعت服从ه. إلـ: 1 فالأسلام إذا برّ بنبي كل من موسى وعيسى عليه السلام، بل يكر من ينكّر رسالتهم. فليس في الإسلام تعصب على اليهودية أو المسيحية، وليس فيه أئتم أو تهجم على رسول.
ثانيًا: عدم إكرام الإسلام لغير المسلمين على الدخول في الإسلام.
لم يكف الإسلام بتأكيد الديانات الأخرى، بل لم يخرج أحد من أصحاب الديانات أو من دين له على الدخول في الإسلام. وإن المسلم يعلم أن عدم الإكرام جزء من العقيدة، وجزء من الإسلام. فلا سبيل إلى الفهر للاعتناق الإسلام، ولا يجوز تع揍 المخالفين للإسلام، ولئن شاء ربك لا من في الأرض كلهم جميعًا، أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.
إلا أن لا يعده من أحبب ولكن الله يهدى من بيئة. وقل الحق من ركب، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، لا إكرام في الدين قد تبين الرشد من الغي.
بل إن مناقشة أهل الأديان الآخر ومجادلتهم، إن حصلت، يجب أن تكون بالحسنى، ولا تجادلوا أهل الكتب إلا النازح التي هي أحسن. وقد حفل القرآن الكريم بالآيات الكبيرة التي تدعو إلى التسامح مع غير المسلمين، ومجازحة مع أهل الكتاب، طالما أنهم في حالة سلم مع المسلمين. لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجكم من دياركم أن تبعثوا وتقصروا إليها، إن الله

---

1 سورة المائدة: 46
2 سورة يوونس: 99
3 سورة التكوين: 56
4 سورة الكهف: 29
5 سورة المجادلة: 56
6 سورة البقرة: 46

237
يجب القسطنطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وخرجوكم من دياركم وظاهركم على إخراجكم أن تولوه، ومن يوليكم فأولئك هم الظلمون.1 "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعدة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن". 2

ثالثاً: تساوي المسلم والكابي في بعض الأحكام

لقد ساوي الإسلام بين المسلم والكابي في أمور كبيرة منها:

1- هما سواء في القصاص: فانفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالاذن، وهما سواء في الديات وفي أحكام التعذيب.

2- ليس للإسلام أن يعرض الكابي في جميع أمور زواجه وطلاقه.

3- هما سواء في الحرمان من المراث، فلا يرت المسلم الكابي، كما لا يرت الكابي المسلم.

4- أباح الإسلام لحما أن يأكل من طعام بعضها البعض "طعام الذين أتوها الكباب حلالكم، وطعامكم حل لهم".

5- وكما كل الإسلام للمسلم الحرية الدينية، فقد كلله الكابي، فهيا أحرار في كنائسهم، وفي بناتها، ودك نواحيها، ولم يحدث أن هدم المسلمون دار عبادة لأهل الكباب، كما لم يحدث أن جملهم على الإسلام.

6- كما أن مال المسلم مصن، فإن مال الكابي كذلك، فقد حرمه الرسول أكل مال المسلم وأكل مال الكابي.

1 سورة المائحة لية 98
2 سورة النحل فيه 125

٢٣٨
7- حض الإسلام المسلمين على المعاملة الحسنة لبعضهم البعض ولغيرهم من أهل الكتاب، سواء

أكان ذلك في المعاملات التجارية، أو في العلاقات الاجتماعية، أو في مبادلة الهدايا.

8- أباح الإسلام للمسلم الذي يعطي من صدقة الفطر ومن زكاة الفقراء وللملأ الفقير.

على السواء، طالما أن شروط الزكاة أثبتت عليه.

9- إن كل من المسلم والكتابي له الحق في أن يعيش بأمان في ظل الإسلام، وعلى الدولة أن

تحافظ عليهما وعلى أموالهما وعلى عرضهما، ولهما حق التنقل والإقامة منفردين أو

جماعات.

10- للمسلم والكتابي حق العمل بالتجارة، والصناعة، ويكذ أنواع العمل، والمهن.

رابعا: مواقف الرسول والصحاباء العملية من الكتائين

حضر النبي (ص) على التسامح وعاملتهم غير المسلمين بالحسن، فقال: "من ظلم معاها أو

انتقصه أو كلله وهو طفقه أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنه حجيته يوم القيامة".

وكتب عليه السلام على رجالة باليمن: "من كان على يدوده أو نصرانة فلا يقتن عنها.

وكتب معاهدة مع بقياً تغلب عام 9 هـ، أباح لهم فيها البقاء على نصرانتهم، وصالح نصارى

نجارًا وتركهم أحرارًا في دينهم.

وهكذا فقد اقتدى الصحابة والمجابة الراشدون بالرسول القائد، فقد أوصى أبو بكر

الصديق أساسة يزيد حينما وجه إلى الشام بالوقف لأن يعوضهم، ونحوزة على أموال الناس،

وبترك الرهبان أحرارًا في ديارهم وصوامعهم، وفي عهد أبي بكر، عاده خالد بن الوالي أهل
الحيرة على ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصرا يحصنون فيه، وألا يمنعوا من ضرب نواقيهم،
أو إخراج صلاباتهم في يوم عيدهم، ومفتي من الجزيرة من عجز عن العمل، أو أصابته آفة، بل يحال
هو وأولاده من بيت مال المسلمين. وكذلك، فقد أوصى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص
حينما حارب الفرس لأن يضمن جيشه عن أهل المهد والذمة، لأن لهم حرمة يجب اليوفاء بها.
وصى أبا عبيدة حينما أرسله إلى الشام بأن يمنع المسلمين من ظلم الذملين والإضرار بهم وأكل
أمولهم.
ولعل الأسان الذي أعطى عمر بن الخطاب لأهل إيلاء على أنفسهم وأمولهم وكأنهم
وصلاباتهم، من أشهر العهد والمواثيق التي ضرب بها أهل العصر عرض الحائط، حيث يعيد
الخيارون في هذا العصر الأضرار بالمدنين وتحول دواهم إلى دار حرب.
خامسا: حرص الفقهاء المسلمين على الاعتناء بالكتابين
اهتم الفقهاء المسلمون ببحث القضايا المرتبطة بأهل الكتاب، فقد أتفقوا في ذلك الكتاب،
والرسائل، من ذلك أن أبا يوسف كتب إلى الرسید ينصحه: "وبنيغي أبا أمير المؤمنين - أودك الله-
أن تقدم في الوقف بأهل ذمة نبى وابن عثمان محمد (ص)، والانفصال لهم، حتى لا يظلموا ولا
يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يأخذ شيء من أموالهم إلا بحق يحب عليهم."
وقد وضع الفقهاء دستورا للعهد الذي يتعاقد الحكام المسلمون مع أهل الذمة على أساسه،
جاء في العهد الذي وضعه الإمام الشافعي. "لك وللم علي وعلى جميع المسلمين الأمان ما

1 الأمم: 181/4
استمع واستنفعوا جميع ما أخذنا عليه، وذلك أن يجري عليكم حكم الإسلام، ولا حكم خلافة جالب لزعمكم، ولا يكون لكم أن تنتفوا عنه في شيء. رأيناه نلازمكم به، فإذا نبت بالدليل والبراءان أن أحدا منكم ذكر محمد (ص) أو كتاب الله عز وجل أو دينه بما لا ينبغي أن يذكر به. فقد بنت منه ذمة أمير المؤمنين، وذمة جميع المسلمين، وقضى ما أعطي عليه الأمن، وحل لأمير المؤمنين ماله ودمه، كما تحل أموال أهل الحرب ودماوهم.
وعلى أن أحدا من رجالكم إن أصاب مسلمة بذناب أو قطيع الطريق على مسلم، أو فتق مسلما عن دينه، أو أعان المهاجرين على المسلمين بقنال، أو بدلا على عورة المسلمين وإيواء لبيئتهم، فقد تلقع عهده، وأحل دمه وماله، وأن نال مسما بما دون هذا في ماله أو عرضه، أو تناول له مره مسلم صنعه من كافره له عهد أو أمان له في الحكم.
وعلى تبين أفلاكم في كل ما جرى بينكم وبين المسلم، فما كان لا يحل لمسلم بما نظم فعله ردناه، وعاقبناه عليه، وذلك أن تبيعوا مسما بها حراما عندكم من خمر أو خنزير أو دم بية أو غيره، ونطلب البعبي بينكم فيه، وأخذ متمكم أن أعطاكوه، ولا نزيد عليكم إن كان قائما، ونهرقه في كان خمرا أو دما، أو خرقه في كان بية، وإن استهللكا لم تجعل عليه دية شيئا وناقثكم عليه. وعلى ألا تسموا أو تطلبوا محرا، أو تزوجوا بشهود منكم، أو بثنا فادس عندنا.

وأما بابكم به كافره منكم أو من غيركم لم تبزكم فيه، ولم نسأل عنهم ما ترضيهم به، إذا أراد لائق منكم أو المباح لبيع، وأتانا طالبا له، فإن كان منتقضا عندنا قضاؤه، وإن كان جائزًا أجزاءه. إلا أنه إذا قضى لبيع لم يرده لأنه يع بين المشركين.
ومن جاءنا منكم أو من غيركم من أهل الكفر ليتحاكم، أجريناكم على حكم الإسلام، ومن لم يأتنا لم تعرض اليوم بينكم وبينه. وإذا قلت مسلاً أو معاها منكم أو من غيركم خطأ فلاديد على عاتكم، كما تكون على عواقب المسلمين، فإن قال منكم رجل رجل فلا قرابة، فالبداء عليه في ماله، وإذا قال عبداً فعليه القصاص، إلا أن تشاء ورثته ديه فتأخذوه.

ومن سرق منكم فوقعه المسروق إلى الحكم قطعه إذا سرق ما يجب فيه القطع وعزم، ومن قذف كان للمقذف حد حد له، وإن لم يكن له حد عزر، حتى تكون أحكام الإسلام جارية على هذه المعاني فيما سميما وما لم نسمه.

وهكذا تشتهر هذه الوثيقة على أنس عادلة سمحة تكفل للكابيين أن يعيشوا أحوالاً العقيدة في دولة المسلمين، ولم أن تطعنوا على أحوالهم وأموالهم وأعراضهم.

سادساً: بعض الخصوصيات للكابي

بمقابل أحكام المساواة بين المسلم والكلابي، هناك بعض الخصوصيات المتعلقة بالكلابي، يحكم أنه ليس مسلاً، بل لم يقبل أن يكون كذلك. وهذه الخصوصيات، لما يناظراً من خصوصيات المسلم أيضاً ، دون أن يكون في ذلك تعالم للواحد على الآخر، وسيظهر أنها هي المساواة الحقيقية ليست المساواة الحرفية.

1- لا يحق للكابي أن يتزوج من المسلمـة مع أنه يباح للمسلم أن يتزوج من الكلابية - إن هذا الحكم الخاص بالمسلم وبعدم جوازها من الكلابي، فيه تحديد للمسلمين وليس للكلابيين، لأن المسألة مربوطة بثبعية الأولاد. وإذا نظرنا بجرفة إلى الحكم، يجب أن التحديد والرد.
على المسماة وعلى الكابي في أن واحد، إذن منطقاً، التحديد وارد على الطرفين وليس على طرف واحد، وبالتالي لا يجوز أن تثار هذه القضية، وكان الكابي مظلم وال المسلم منصوب في هذا الشأن.

2- المسلم يدفع الزكاة لبيت مال المسلمين، والكابي يدفع الجزية، إنما يدفعه المسلم من زكاة يعد واجباً عليه، وهو نوع من العبادة، أما ما يدفعه الكابي فهو مقابل الحماية والأمان له في ديار الإسلام، وإن لم يجب تسميتها جزية، فليسها ما شاء إن لم يرغب بهذه التسمية.

يضاف إلى ذلك أن الكابي غير قادر على دفع الجزية ليس عليه دفعها، بل إن بيت المال مكلف بإعاته، فمعنى ذلك أن ما يدفعه المسلم، وما يدفعه غير المسلم يصرف في الوجه الذي تخدم الطرفين في الدولة الإسلامية.

ومن خلال تسميتها الجزية، يمكن أن يكون المصطلح من الجزاء أو المكافأة للمسلمين على الحماية والأمان، إذ أنه ليس مكفاً بالحريدة، والدفاع عن الديار، إلا إذا رغب بذلك. فالمسلم والكابي يتقاضيان من حماية الدولة فيما في أمورهما، وأنفسهما، وأعراضهما، كما أنهما يدفعان الزكاة والجزية مقابل هذه الخدمات العامة. ويعني الشيوخ والأطفال والنساء والمسنودون والمجانيين من الجزية، فذن يؤدونهم الرجال المقبلون على العمل، كما يدفع الكابي للموارد عن إنتاج الأرض التي يملكها، وهي أيضاً تقابل زكاة الزروع والثمار التي يدفعها المسلم.

يضاف إلى الجزية والعارة، فإن الكابي يدفع "الموش" وهو ما يفرض على الأموال المعدة للتجارة، إذا تم نقلها من بلد إلى بلد آخر، داخل ديار الإسلام، ومقدارها نصف العشر، وتقخذ مرة واحدة في السنة.
3- واجبات النفس أيضاً الامتناع عن نفوس المسلمين، وانتقاد دين الإسلام.
4- ومثل النفس أيضاً من إظهار بين المنور والمنازع في بلد المسلمين، على سبيل الشهرة، وتمعن من إظهار الفواحش.
5- ينتهي عقد النفس بالامتناع عن الجرئة، ويانتد إلى الأحكام الإسلامية، والجهارة بالفجر، والشتم على الدين والرسول، ومعاداته للإسلامين، وتبعوثه أعداء الإسلام، وغير ذلك من تضلم.

لميثاق الذي واقع المسلمين عليه:

بعد، فإنما كانت مسألة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من المسائل المهمة، فقد أولاها
الشرع، فلما كبيرة من الطاعة، لينص على الخليفة المسلم، من إقامة الدبل بين جميع الأفراد الذين
ينظمون تحت حكمه، ولفرقة الصلات بين جميع أفراد المجتمع، ولذلك، وردت الآيات القرآنية
الكثير مخصوصهم، ووردت الأحاديث النبوية الشريفة التي تتضح على حسن معاملتهم، كما فعل
الفقهاء من القادة والمعاصرين في أحكامهم.

والثاني، فإن الفهم الصحيح للنصوص الإسلامية، وطريقه تعامل المسلمين مع غيرهم
عبر العصور، لا تزع جمالاً للمنشدين كي يصرhiro تأهله على اجتهاداتهم الخاصة، كما أن التطبيق
العملي في التعامل مع غير المسلمين ع عبر العصور، تزوي أوهام غير المسلمين وشكوكهم وخوفهم مما
يمكن أن يحقق لهم لوحصل التطبيق الصحيح لأحكام الإسلام.
المراجع

القرآن الكريم

المجم المفهرس لأفكار القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي
الأحكام السلطانية، الماوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978
الأمة، الإمام الشافعي
معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام، إبراهيم سليمان عيسى، دار المنار، القاهرة، 1994

المواسور الفقهية، ج ۷، ۱۲۰۰–۱۲۰۰

أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية
سماحة الإسلام، أحمد محمد الحمدي، دار النهضة، القاهرة، 1980

حقوق الإنسان في الإسلام، علي عبد الواحد واي، دار النهضة، القاهرة، ۱۹۷۹

المراجع: أبو يوسف، دار المعرفة، بيروت، 1979
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المفسراني، مطبعة مصطفى البخاري الحليبي، القاهرة، 1979

التصبيح والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزاني، دار التوزيع والنشر
الإسلامية، القاهرة، 1989

أحكام الذين ومساهم، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980
نظرة المسيحية الآخرين

المقدمة
لا بد من التمييز بين نظرية المسيحية للأخر، ونظرية المسيحية للآخر. فإذا كانت
المسيحية واحده فالمسيحيون ليسوا وحدة واحدة ولا مفاهيم المسيحية واحدة لديهم. إن مفاهيم
المسيحي الأوروبي يختلف عن مفاهيم المسيحية الأفريقي أو العربي أو الشرقي أو شرقي، مثلهم:
والمسحية ليست شيئًا خاصًا في هذا، فالأمر كذلك بالنسبة للإسلام واليهودية، وأحيانا تختلف
المفاهيم في البلد الواحد بل ومن شخص إلى آخر.
أحس أنني متأثر بالمفاهيم الثقافة والقيم الإسلامية، وبقاليد وعادات المنطقة التي أتمنى
 إليها، وقد اقترب من هذا أقرب إلى المسلم من المسيحي الأوروبي أو الغربي عموما، هذا لا يعني
 إطلاقا أنني لا أحس بسرور ورابط خاص حين أقابل مسيحيًا سواء أكان أرمنيا أو أرمنيا
 أو إفريقيا، فالرابط الدينى موجود وقوي ولكنه ليس الرابط الوحيد ولا حتى الرابط الأقوى.
ولأن الدين ليس مجرد نظرية بل هو اتباعه أنفسهم، فالذي يهم في النهاية هو سلوك المسيح
وفهمه لديه، وليس مسيحية الأناجيل، كما يهمي المسلم وسلوكه وفهمه لديه أكثر من أي شيء.

صحفي ومدير مدرسة مار مارة البطريركية الأرثوذكس - القدس

٢٤٧
أحبوا أعداءكم

لن تكون مدخلي هذه مجازا جدًا، فأنا لست خبيراً في ذلك، ولكنها ستكون بالتأكيد
وبقدر استطاعتي، أرأي صريحاً وصادقاً في نظرة المسيح الشرق أوغسطي للآخر، وبصورة أدقّ
كيف أرى أنا ذلك?

تعلمت من المسيحية، منذ الصغر: من ضربك على عدك، ثم فأت للأسير،
وتعلمت كذلك كلمات السيد المسيح الأخرى: "أحبوا أعداءكم... وباركوا لأغنيكم... أحسنوا
إلى مبصريكم... " تعلمت أقوال المسيح وهو على الصليب: يا أبي اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ما
فعلون، تعلمت كلام المسيح لتباعه: "أتمنى أن يلمع العالم، أن يلمع الأرض".

هذه خلاصة نظرة المسيحية للآخر، وهي، برأيي، قيمة تساهم وحب الآخرين
واحترامهم وكينية التعامل معهم. لكن هذه المبادئ الجميلة، بالمناسبة لم تمنع قيام حروب دينية
مسيحية - مسيحية، ولم تمنع وجود سلطات مستبدة تحكم باسم الدين.

وبالنسبة لي، كانت هذه المبادئ مناسبة للأخلاق المسيحية الصغرى، وسط الأغلبية الإسلامية
الكبرى، فالأخلاق بطبعها مشكلة غالباً وميالاً إلى تجنب ما يثير الخلافات والنزاعات، وتأيّد دائما
عن الدخول فيها كلما استطاعت ذلك.

248
بين النظرية والتطبيق

لا سمحت لي بأن أتحدث قليلا عن بلدتي، الزبابة لا رابط إما أقوله في موضوع البحث قبل العصر، ولكن في اليوم، فقد اضطرت عائلة القائل إلى اللجوء. عائلة القائل كانت في الحقيقة عائلتها، وقد فر من الطبقة وقامت النهر إلى شمالي الأذان واستقرت مؤقتا في الحصن قرب عين، حيث لا يزال ييشي للآخرين هناك يحملون اسم نفسه، ويدعو أن الحياة لم تطب لهم في الخصين، المهر - فعادوا إلى شمالي الضفة، احتسبوا بعائلة كبيرة وكبرى في محافظتي جنين هي عائلة جرار المسلمة التي أعطت للمشتردين المسيحيين الحماية وخبرة صغيرة يعيشون عليها وهي الزبابة وعند هذه المدام التواريخ والقؤول والتفهم الذي تهمتنا.

بعد سنوات حلقت بالدبلوماسيين في موقعهم الجديد، يتحرك الكلاة في المدينة ومدرسة في العام 1883، أي قبل بناء معظم المدارس العربية في القدس، وكان كل المساسين تقريبا من طائفة الروم الأرثوذكس، وقد أصبحت التالية من الكلاة الآن لأسباب كبيرة في مقدمتها المدرسة.

لا يوجد الماسحي وتطور واستمر حتى اليوم وعند ما شاء الله. وعاش المساسين الكلة وسط المسلمين الكثرة، نحب وتعاون وعلاقات طبيعية وأخوية، وكان في الزبابة بعض المسلمين كما كان يعيش بعض المسيحيين في قرى قليلة في محافظة، أهمها برقين.

كان الناس يتزاورون في الأعياد والمناسبات الحزينة والسعيدة، وكانوا يسرون مما ويقومون علاقات اجتماعية طبيعية، بالطبع كان هناك تخصص منهم، كما يخصص كل فرد لعائلته.

٢٤٩
أو مدينته، وكما يحدث تفاصيل بين المسلمين الأرثوذكسي والكاتدرائيين اللاتين، وكان يتبع حين تطور خلافات عادية بين مسلم ومسيحي، فيتحزب المسيحيون للمسيحي والمسلم لل المسلم، كما قد يتحزب أهل الخليل لأبناء مدينته وكما يتحزب المشجعون الرياضيون كل فريقه، وغير ذلك لا أذكر خلافات بدأت لأن هذا الشخص مسيحي أو لأن ذاك الشخص مسلم، كانت تقع خلافات عادية تطور إلى مسلم ومسيحي ثم ما تلبث أن تن בי إما بتدخل وجهة الحمالات والعيش أو بتدخل السلطة الموجودة ما عدا الاحتلال.

ظلل الأمر عاديا حتى نكبة عام 1948، حيث لم يجد فلسطينيون كثيرون، ووصل قسم منهم إلى البناء، بدأ تترسب أفكار جديدة من التفاصيل، والآسفي، فإن زيادة نسبة التعليم فيما بعد، زادت نسبة التفاصيل وتأباد الناس على طباعهم وسجاهم، وأهم مظاهر هذا التناسب هو انقطاع العلاقات الاجتماعية كلها تقريبا، ووقت تبادل الزوار في المناسبات والأعياد بالشكل السابق، وقد حاول المسيحيون تغيير موقع أول مسجد يقام في البلد، لأنه يقع في المنطقة المسيحية. وعادت العلاقات لتصبح قوية وفجعية في أيام الانتفاضة، حيث كان الشبان المسلمون والمسيحيون يتشتتون ويتنافون لمواجهة قوات الاحتلال بما يبد واحداً، في قلب واحد، ونشأت صدقات خاصة بين هؤلاء الشبان دون أي تميز بين مسلم ومسيحي مستمرة حتى اليوم.

أعمق من السطح 0000 أبعد من التعيين

قلص عدد المسلمين في فلسطين كثيرا بسبب الهجرة من ناحية، والاقتصادي، ونواحي الجغرافية بين أسرة قليلة العدد، من ناحية أخرى، كان في القدس نحو 40 ألف مسيحي قبل خمسين
عاماً، والآن لا يصل عدد المسيحيين في المدينة المقدسة 8 آلاف، وزادت الهجرة تحت الاحتلال الإسرائيلي زيادة ملحوظة.

أسباب الهجرة لم تكن اقتصادية، إن كيروين من هجروا كانوا أوبرياء، باعوا ممتلكاتهم وأموالهم وهاجروا، شبان كيروين اختاروا الهجرة حتى قبل البدء بتأسيس أنفسهم وبناء حياتهم تحت الاحتلال، وفقاً للمسيحيين في إشكالية نظرية الهجرة إليها كعرب ونظرة بعض المسلمين إلىهم كمسيحيين. لم يعد المسيحيون يشعرون بأن هذه البلاد هي لهم، وأصبحهم إحساس بأنهم يضعون بين المسلمين واليهود، كثير منهم هاجروا كانوا يقولون أنهم يبحثون عن مستقبل آمن لأنفسهم أو مستقبل أفضل لهم، أخذ اليهود يكافرون في إسرائيل بالهجرة إليها، وأخذ المسلمون يكافرون بالتنازل، الوحيدين الذين تقتضي أعدادهم في هذه البلاد هم المسيحيين للسنين الأولتين.

عكسهم، أي بسبب الهجرة إلى الخارج وعدم التنازل.

إن شعور أي شخص تجاه الآخر، يتأثر بوقت هذا الآخر منه، ولا يمكن فصل نظرة المسيحي في هذه البلاد تجاه المسلم عن نظرة المسلم هذا تجاه المسيحي أو كيف يفهم الواحد منهم نظرة الآخر إليه.

إذاً حين تحدث عن نظرة المسيحية للآخر أو نظرة الإسلام للآخر، فمن الواضح أننا تحدث عن القضية الدينية، ولا تحدث عن القومية والوطنية التي تداخلت داخلًا، لا اقتصامه مع الدين، من وجهة النظر الإسلامية، وتجمع بين الدين والدولة مزجاً كاملاً، بينما يختلف الحال مع الدول حيث توجد أقلية مسيحية سواء في أوروبا أو دول أمريكا وأستراليا وغيرها. لأن كل هذه الدول تقريباً فصلت بين الدين والسياسة.
وازداد نحو الحركات الأصولية أو الإسلامية السلبية، وميلها إلى العنف حتى مع المسلمين الآخرين، جعل الثقة المسيحية تحس بالخطر القادم، وتحسب للمستقبل بنظرة سوداء، كما لهذا السبب والذين، الفلاحين الفلسطينيون والعرب عموماً، يشلون في الحركات والمنظمات الإسلامية، وينبون مبادئ الليبرالية فصل الدين عن الدولة وكلما ما يؤكد دورهم الوطني.

وبعد ما يعتقد أن خطأ أصولي إسلامي، كما كان للمسيحيين في لبنان ومصر وسوريا وفلسطين في طليعة الدعاية إلى القومية العربية والعربية والوحدة من الخبيث إلى الخليج على أساس قومية لا دينية.

وكما أزداد نزولاً الدين الأصولي الذي لا يبدو متساماً ولا معانينا مع غيره.

كما أزدادت عزلة المسيحيين وأزداد شعورهم بالاختيار، وازداد خوفهم من الآخر وشعورهم بعدم القدرة على التعاون في جو معا، وازداد بتالي عداوة للأخر وغطرسة منه.

وليس سراً أن المسيحية لا تتردد بالإسلام ولا بإرسال براندا، وأن الإسلام ينظر إلى المسيحيين كذينين يدفعون الجزية أو كسابتين أقل رتبة من المسلمين، أو مجرد كفار. هكذا على الأقل يشعر المسيحي في نظرة المسلم إليه، وهو يسمع وصه بالكافر في كثير من المناسبات بألبسة الكبار، وصغار، والمدنيين وغير المدنيين، وينب وصف الدول أو القوى المسيحية بالكافرة إذا دخلت في خلاف مع دولة أو قوة إسلامية.

وهذا الشعور أو الإحساس، يدركه المسلم الذي يعيش في بلد مسيحي ولكن بنسبة أقل، لأن الدول المسيحية تفصل أساساً بين الدين والدولة، بينما في الدول الإسلامية لا يمكن فصل أي شيء عن الدين، ولا القانون ولا الشخص.
تحت سطح التماس، تقع إجراءات هذه المعجزة، والحل ليس مستحيلاً إذا أرداً فعلًا
تتوافق التماسات إلى قبول وتفهم واعتراف بالعديدة الدينية، لأن التماساً يرتبط بعوامل خارجية قد تكون السلطة، أو السلطة، أو الرأي العام المحلي والدولي، أو ارتباط المصالح، لكن القبول والتفهم والاعتراف قضاياً تبع من الداخل والذات والقناعة.

وتحقيق هدف كهذا لا يكون بالشعارات ولا بالحديث عن الأحكام المسيحية الإسلامية والمبرك المشترك فقط، ولكن بترجمة كل هذا إلى قوانين ومواصفات ومارسات وتوحيد وتعليم. ماذا يعلم كل طرف أبناءه في المجتمعات المغلقة التي هي ليست للنشر؟ ماذا يتم تجاهل كل ما هو مسيحيًا طبيعيًا في مناهج التربية والتعليم من كتب ومقررات وامتحانات، حتى لم نجد في مدرسة خاصة ما لا تعطل المؤسسات كلها، وليس المسيحية أو المناطق التي تواجد فيها مسيحيون فقط، في الأعياد المسيحية الأساسية؟ وغير ذلك من القضايا التي تبدو صغيرة ولكنها بالحقيقة في غاية الأهمية.

إذا الدفع بالاتجاه جعل الصراع أو الخلاف، ديناً، سيؤدي إلى حرب بلا نهاية.
وسيصرف الاهتمام عن القضايا الحقيقية للناس وهي توفير الغذاء والمسكن والوظيفة والعلاج والتعليم والشيخوخة الكروية وكل البنية التحتية والفوقيات، وغير ذلك، ولا حل إلا بالمواطنة الكاملة والمساواة التامة في الحقوق والواجبات.

***************

٢٥٣
نظرة الإسلام الأخر

د. إبراهيم أبو سالم

مقدمه

إن الحمد لله ثم تمجده ونعمته ونصبه وملتمسه وتبجيه ومستعبده صدق وهو القائل ( وما بكم من نعمة فمن الله ) وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ( لكن أعظم النعم وأجملها هدایة الإنسان إلى طاعته وحسن عبادته ). إذ أنه يسوي ذلك بنجد كبير ويسفلكما بين تعالى فيقول: لقد خلقنا الإنسان في أحسن كيان ثم ردهنا أصل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) والإنسان من غير هدایة بعيدة لا بل هي أفضل كما جاء في التنزيل الكريم: ـ ( هم قلوب لا يفقهون بها ولهم عيون لا يشعرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعم بلهم أصل ) أولئك هم الفاقلون

ونصلي أفضل صلاة وأركناها على عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله النبي الحاتم الذي جاء لبناء في بنان الأنبياء، فكملت الرسالات وارتفع النبي قلنا نورا منيبا ورحمة مهداء للبشر كافة أسودهم وأبيضهم، أحمرهم وأصبهرهم، لا بلى رحمة لكل المخلوقات لأنه خير من

* مدرس في كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة القدس

205
يعد الراحة بكل ذي روح و بكل ذي نع حتى من الجمادات صل الله عليه وعلى آله
وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان.

فقد تلقيت كتابا من مركز الأبحاث المقدسي (باسيا) يدعوني للمشاركة في جلسة
فكرية بورقة عمل عنوانها (نظرة الإسلام للآخر) و كنت أظن أن الحوار كله حول هذا
العنوان، إلا أنني وجدت بعض الحضور من أبناء الدين المسيحي و من غير المتخصصين منهم،
يقدمون أوراقا بعنوان (نظرة المسيحية للآخر) فكانت الأفكار المطروحة خليطا غير
متسانس من الأفكار المتنوعة والمتشابهة أحيانا.

تمهيد:

هذا العنوان كما يبدو لكل عين بصيرة، أو لكل متخصص هو عنوان واسع غامبة في
السعة، وربما يشمل المساحة الأكبر من ديننا الإسلامي العظيم، فكل فقه الممارسات أو جمه و كل
العلاقات الدولية فروع مرسية من هذا العنوان. فما يستطيع باحث أن يلم به أو يعطيه حقه أو
بعض حقه، وما أن المطلب ورقة تقع في بضع صفحات، فلن تخلا على عن الإيجاز المخل، لكن
ما لا يدرك كله لا يترك جمه.

ولا بد للافتتاح الحديث عن هذا العنوان من الإشارة الله تعالى:

الأولى: ضرورة التفريق ما بين الإسلام كدين عظيم شامن نزه ساحق و بين المسلمين وهم
أتباعه، إذ أن الأتباع كثيرا ما يعطلون صورة غير مشرقة عن دينهم، بل ربما يعطلون مثل
المكسي وليس المشرق عن النسب الكبير الذي يضوبون تحت لوانه، فإذا وجدت نماذج كبيرة

26
وترتكب الكبائر أو ترك الفروض، أو تتحدى الله ورسوله أو تحارب أولياء الله وحملة الرسالة والدعوة إلى الدين، أو تس בי أعداء الله بكل أسمائهم وصفاتهم، فلا بد للناظر من أن يعلم أن الإسلام ليس كذلك، وهؤلاء المدعون ليسوا إلا حجة على أنفسهم وليس على الدين، وظل الدين في جماله وإشرافه.

الثانية: إن كلمة الآخر ليس معناها (المسيحي) فقط، لأنه إذا كان المقصود هذا فلا بد من تغيير العنوان، وربما يريد البعض أن يكون مدار الحديث (نظرة المسلمين المعاصرين لمسيحي الشرق) وما أن العنوان المطلوب هو (نظرة الإسلام إلى الآخر) فكلمة (الآخر) شاملة كثيراً وغير محدودة.

وعليه فقد رأيت من المناسب أن أتحدث عن نظرة الإسلام للآخر في عدة دواIER حتى أخرج عن العنوان المطلوب.

dائرة الأولى: سائر المخلوقات غير الإنسان.

ويمكن قسمها إلى قسمين: الأول: كل ما فيه روح من حق كل شيء أن يقول للإسلام بما أنك الدين الحنفي، فكيف تنظر إليه، وكيف تعاملني، وهذا حق طبيعي ولا غرابة فيه أن تناول عدالة الإسلام ورحمته حتى المهائم فلننظر على سبيل التمثيل لا الحصر.

1- روى ابن مسعود رضي الله عنه: قال: "كما مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فاطلق لحاجة فرأينا حمرة معها فخرجنا أخذنا فرجها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش فجاء.
النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ودلا إليها. "فالنبي الكريم لا يرضي إبدا طائر من غير سبيل، لما يأخذ الناس فخ عصيور دون الاستفادة منه.

2- ومن أحاديث الشريعة: (لم يجعل الله من الأخذ عصيورة غرضا) فقالت ناقة الله وهي الطرود من رحمة، تنزل على من تلذذ بطذيب عصيورة جعله هدفا للتعلم على الرمابة، ولهذا جعل الإسلام اتخاذ هدف حي حراما. فإن أراد أن يتعلم الرمابة فعليه هدف جامد كحجر أو نجوه.

3- ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ينفخ النار، ثم حرق فقال: من حرق هذه؟ قال بعض الحضور: نحن، فقال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار، فإذا كان هناك أدى من العمل، فلتقبل النملة المؤدية، ولستجب الإنسان إحساقها بالنار.

4- وقال عليه الصلاة والسلام: "لأن الله كتب الإنسان على كل شيء، فإذا قلتم فأحسوا الفتنة، وإذا ذبحتم فأحسوا الذبحة، ولنحكم من أحدكم شرفته ولنحذربن من الله.

لاحظوا (الإحسان على كل شيء) وهي أروع كثيرا من الإنسان وهذه تخصص بالحيوان.
فإن أراد أن يقل فلا يعذب، ومن أراد أن يذبح فليذبح إلى المذبح قبل ذبحه وأهله ذبحه، ومن وسائل الإحسان إراجة الذبحة وإمساك الشفرة أي السكين.

5- وجاء في الحديث الشريف: (دخلت امرأة النار في حرة حبسها حتى ماتت، فلها أطماعها ولا تركها تأكل من خشاش الأرض) "إن قلت قطعة على سبيل العبد والإقرار بحبها ومنهما من الحياة وحوارهما من أسباب العيش استدعى غضب الله، ومعاملة المرأة بعقوبة مماثلة بل تزيد: إنها تستحق جهم لأنه ليس في قلبها رحمة.

٢٠٨
6- دخل رجل الجنة بكلب تفاه، إذا كانت سفاحا كليب يلهث من شدة العطش تستدعي
رحمه الله سبحانه وارد، الرجل الجنة فهي رسالة لكل مسلم أن هذا الدين لإحسان لكل
المخلوقات.

هذه نافذة سريعة وصور خاطفة من الرحمة بالحيوان والإحسان إليه، النافذ منه والضار،
الذي يؤكد والذي لا يؤكد، وهي رسالة للبشرية جميعا أن تنذروا إلى عظمة هذا الدين ونكروا

جيدا.

الثانية: ما ليس له روح

نستذكر من النصوص السابقة ( أن الله كتب الإحسان على كل شيء) كما ذكرنا ما ( ما كان
الوقف في شيء إلا زارته ومن زاع الوقف من شيء إلا شأنه ) ولا يمكن الفصل بين ما له روح وما
ليس له روح كما لا يمكن الفصل ما بين الإنسان وغير الإنسان، إذا أن كل شيء مسخر للإنسان
وإذا حصل الضرر لمخلوقات الأخرى وإذا ساء حال الكون من حول بني آدم كانوا هم المشررين
بالتأكيد لأن كل شيء مسخر لهم وخلوق لأجلهم، وهذا منصوص عليه غير مرة في القرآن الكريم
منها ( مسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض ) ومن هذا المنطلق كانت الدعوة النبوية إلى
الإلتقاء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يحب إذا عمل أحدهم عملا أنه يقنه"
لاحظوا كلمة ( عملا) أي عمل من أعمال الدنيا، ولنتم على ذلك بشيء: إن حسن البناء
وجوده سلم إسلامي وحين يقن المهندس عمله والإبناء عمله يكونون في طاعة ورضي من الله
 تعالى، والمتدبر لهذا النص وهذه الفكرة يجد ثمرات ذلك وبنتيه على أرض الواقع، فإذا ما كان

209
غش في بني مثّل أنها روا ، فضلاً عن الخسائر المادية والاقتصادية فالخسائر في الأرواح لا تقدر
بشت أن الإنسان خليفة الله في الأرض ، هو ذو الحرمات الأعظم والمقام الأسمى من كافة الخلقيات،
ومنضروب مثلًا آخر على اهتمام الإسلام بغير الأرواح لعلاقتها المباشرة بكل ذي روح ثم
بالتالي للإنسان نفسه : قال صلى الله علي وسلم : "إذا قامت القيامة وبد أحمده فسيلة
قلغرسها " عجبًا لهذا الدين الذي يدعوا إلى غروفسيلة وله أن القيامة تقوم مباشرة ، وما لا
يحتاج إلى النظر أن هذه الفسيلة لن يأكل منها أحد لأن البشر سيموتون بوجود القيامة وحصوفها

ومع ذلك فإن فسيلة عبادة في حد ذاتها.

يريد الإسلام أن يقول: العمل والبناء والفرس من أهم أولويات الإسلام ، وهي عبادة مستقلة
بذاتها لما تؤثر أي بناء حياة الخلقيات الحية التي قال عنها صلى الله عليه وسلم ( وفي كل كبد
رطبة أجر ) ومن ثم على حياة الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض.

الدائرة الثانية : دائرة الإنسان غير ذي الدين

الإسلام ينظر إلى كل البشر من ولد آدم على أن هناك علاقة مشتركة وصلة رحم ، وذلك من

حيث :

1- أنهم أخوة في الإنسانية أوهم واحد هو آدم عليه السلام وأهمهم واحدة هي حواء ، فكم مرة
في القرآن الكريم كان الخطاب ب ( يا أبا الناس ) وخاصة في المرحلة المكية ؟ وننسل لذلك
بأول آية في سورة النساء ( يا أبا الناس اتقوا ربك الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها وثت منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقنوا الله الذي ساء له بالأرحام إن الله كان
علىكم رقبة) ومن الجدير بالذكر أن أهل البشرية وقصة آدم وحواء مشار إليها في الكتاب السماوي جمعا مع الاختلاف في التفاصيل.

وهذا النداء للبشر من ذريات آدم كثيرة ما يتضمن الدعوة إلى عبادة الله وتقواه، وتذكر الآخرين.

وحسن العمل، لأن الخالق المعمّر يستحق العبادة والشكر.

2- الإنسان خليفة الله في الأرض

قال تعالى: (وإذ قالت الملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) هذا هو الله سبحانه يخص من بين خلقاته جميعا الإنسان بهذا الوسام الكبير، فجعله خليفة له في الأرض ليعم ويعمل ويبني ويسكن، فكل الناس خلولون بهذا البناء، ورغم تساؤل الملكة (أعيش فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وينحن نسب بجحد وتقدس لك، قال إني أعلم مالا تعلمون) وفي ذلك إظهان لفضل آدم وذرية آدم ورثائه وسدادته، ثم في طياتها بيان أن الذين يفسدون في الأرض هم عاقبون لأيهم مستكثرون عن الوظيفة المنوطة بهم.

3- آدم أبو البشر جميع نفخه من روح الله مخلوق بديعه

قال سبحانه: "فإذا سوته وفتحت فيه من روحي فقعلوه ساجدين" فقلل من هذا التكريم العظيم، بل إن الله يبّعليف (ما يمكن أن تسجد لما خلقته بديع) فالإنسان المخلوق بديع الله والنسخة من روحي تشمل سائر ذريات آدم عليه السلام، فهم سواء في هذا الشرف في الإنسانية إلى أن مكرم وخصوص، فتكون البشرية بذلك أسيرة واحدة وأفراحها أشقاء.
رسالة الإسلام لكل من ينطبق عليه اسم (إنسان)

وهذا ما نص عليه القرآن الكريم (قل يا أيها الناس إنك رسل الله إبكيكم جميعا، الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويوم، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكملت قيامه وتابعه لله ناهده). ولذلك فإن كل الناس مكلفون بالفكر والتحفيع والتدبر ونذكير ثم بالإذعان لعبادة الله وحده وبعد ذلك الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الآية تذكر بحودة الله وقدرته على الإيمان والأمانة والبعث، كما أن فيها بعض الأدلة على نبوة النبي محمد صلوات الله وسلم عليه.

5- الناس سواسية ولا تفاصل بينهم إلا بالعمل الصالح
قال تعالى: "يا أيها الناس إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل تماروا إن أكرمكم عند الله أفوكم). هذا لا ينظر الإنسان إلى أخيه الإنسان نظرية استعلاه أو فوقية أو ازدراك، والذي يجعل الفرد عظما كبيرا هو ما يقم به من عمل صالح سواء كان ذلك في العبادات أو المعاملات أو الأخلاق. وهنا كان الناس ولا يزالون يتعاطمون بأنسابهم وقبائلهم وألوانهم، فالابد يرى أن الأسود دونه لا يصاوه ولا يحتمه. وإذا عامله استخدمه وكذا الفرسي كان يرى أنه أكرم من أي قبيلة أخرى من قبائل الجزيرة. فجزاء هذا النص وسواء في القرآن الكريم والسنة المطهرة يضع النطاق على الحروف في الميزان الذي يشرح نسب التفاصل بين الناس. وهذا ما أكد عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في خطيه حجة الوداع في أوست أيام التشريق.

"يا أيها الناس، ألا إن رجلك واحد، وإن أباك واحد، ألا لا فضل للنبي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأخري على أسود ولا لأسود على أحمد إلا بالثقة"، ونجلى هذا المعنى حتى مع.

262
أقرب الناس، النبي أو الرسول، زوجة نوح وكذا زوجة لوط، عنهم قال سبحانه: (وقبل أدخلا
النار مع الداخلين). وكذا ولد نوح (زا وح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح)، وليصبح
هذا المعنى في غاية البيان، كان خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بيته وجماعة (بـ
فاطمة، اشترى نفسك من الله فإني لا أغني عنك من الله شيئا).

هذا الإطار العام من البشر مهما كان معتقده بيننا وبينهم عوامل مشتركة، وله علينا حقوق،
وإن تنا.kr للواجبات الملقاة على عواقبهم، فعلي سبيل المثال:

1- لا يجوز ظلم هؤلاء، قال تعالى: "وإذا حكتم بين الناس ان حكوا بالعدل"، وفاء في
الحديث "الظلم ظلمات يوم القيامة"

2- ولا غشهم، وجاء في الحديث: "من غش فليس منا"

3- ولا شتمهم "ليس المؤمن بالعلم ولا الطمأن لا الفاحش ولا البذي".

4- هؤلاء ليسوا أقل شأنًا من الدواب التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم "وفي كل كبد
رطب أجر". إذن نطعمهم ونكسوهم ولتفق عليهم. وقد أطمع رسول الله مشروكا وجالسه
حتى شبع.

5- من حقهم علينا دعوهم للإسلام، وتحسس صورة الدين لهم، وهذا أبسط توضيح للآيات
الكبرى التي تطابق الناس جميعا بلغت (بأ يأها الناس) ولغت (بأ يأها الناس).

6- إذا مرض هؤلاء طيبهم لأنهم أكفنس، وإذا ماتوا ندفنهم في مقابر خاصة بهم، ولا نؤذي
قبرهم، لأن إيداء القتاء كرداً الحي.
الدائرة الثالثة: أصحاب الكتب السماوية

تقصى بذلك اليهود والنصارى، الذين كانوا نسل من السماوات النوراة والإشبل، على
موسى ويعيسى عليه السلام، وفكرة الأديان السماوية تلقى في أموئ:
أولا: معرفة صفات الله سبحانه وتعالى ونفاذته بكماله ونظامه عن كل شيء وواحدة باللغة والإيمان به.
ثانيا: وجود تشريعات للدين في جوانب مختلفة سواء كان له علاقة بالله تعالى أو بالناس بعضهم
بعض.

وغالبا ما تكون الخطوط الأولى مشابهة بين الأديان، فصفات الله هي هم، وقد تختلف بعض
الأفكار أو الأدبيات أو ما إلى ذلك، وعليه فإن الدين واحد، والإيمان وجب، وأهل الأديان كلهم
مسلمون أثناء وجود رسلهم وإتباعهم الدقيق لما أوحاه الله لهم، ولنستعث للقرآن الكريم:

(، ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيته في الدنيا وتراه في الآخرة لمن
الصالحين، إذ قال له ربه إبراهيم كلما أسلمت لرب العالمين)، ووحي الله إبراهيم بن الله، ويعقوب بن
إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتون إلا وأنتم مسلمون، أم كنت شهداً إذ حضر بعقوب الموت إذ
قال لبنيه ما تبدون من بعدي قالوا نعبد الهلك وله أبائنا إبراهيم وإسماعيل إلهاً واحداً وتحنا له
مسلمون؟، فالقصد من الإسلام تكرر ذكره في الآيات: أصل الأديان وأصل العقائد واحد هو
الإسلام لله سبحانه والإذاعة لما جاء على أئمة الأنبياء ونبد الشرك في العقائد والأقوال والأفعال
وعلماً أن أصل الأديان مشتركة، كان لا بد أن ننظر إلى كل مسأله نظرة متساوية عن سواء،
لأن بيننا وبينهم عوامل مشتركة أو بعبارة أخرى نقاط القاء، وفي هذا المنى قوله سبحانه: 264
( شرع لكم من الدين ما وصى به نوح JOIN the one who planted the tree and وما وصيناه بما أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ) ويستحيل التغيير في حياء الدين الباقية حتى اليوم في النطق التالية:

1- على المسلم الامتداد بالكتب السماوية والأنياب والرسول إياها لا يتباهها شيك ولا يزعزعه شيء: قال تعالى: "كل آمن بالله وملاكك وكبيرة ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقتلوا سمكنا وأعطتنا غفرانك نبا وليلك المصير". وقال: "والذين آمنوا بالله ورسله لم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتىهم أجورهم وكان الله غفوراً رحماً". فلا ينبغي لمسلم أن تحصل عليه، ففعل من مواصفات المسلمين من الإسلام، قد يقطر على نبي من أنياب اللطائف السماوية الوصية علية السلام، أو إيراهم، وإسحاق، وعقاب عليهم السلام، فأنه هم رسل مكرسون، الإيان بهم واجب وهم من أصطفاههم الله بالرسالة واحترامهم بالمحفوظات، وقد كانوا معصومين Model في أفراحهم وأقوالهم، وكانوا مثالاً يوجد في الخير وأسوة في الفضل، كما لا يجوز للمسلم أن يتعدى أن ينتهي بابة وسيلة على التوراة والإنجيل، أما ما هو اليوم بين أديهم تحت اسم ( الكتب المقدس )، فلا يعقل من غيره يستطع أن يضطمرأن هذا هو الكتاب الذي نزل على موسى وعيسى، ولا مجال للإبداع في هذا الأمر. كما لا يجوز للمسلم أن يعيني بني دون آخر، أو الكتاب دون غيره، فلا بد من الإيان والتصديق وجود هذه الكتاب، وأؤولك الرسول في حقبة زمنية، وأنهم بانت في بنيان الدين المكمل، وكان آخر هذه البنات المجملة والكمال大片ية الحبكة الحائطة، وعلى المسلم أن يعتبر أن هناك رسال لا يقلي.
يعرفون وفهم رسالات وأمم، يقول الله سبحانه: "إنا أوجينا الابك كما أوجينا إلى نوح والنبيين من بعده، فأوجينا إبراهيم وإسماعيل وأسحاق ويعقوب والابنوس وأوب وروبن ويها لأسيل وآبان داود زويرا، ورسالا قد قصصناهم عليك من قبل ورسالا لم تقصصهم عليك وكله موسى نقلهما، رسول مبشر ومنذرين فلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عززا حكما".

المسلم يجادل أهل الكتب، أي أحسن قال تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتب إلا ب:jidh المقصود من جدالهم، أي أنزل إليكم وأنزل الكتاب، وعلى القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، (إذ قومه بين تذكره) فللاحظ، فرعون إنه طغى فقولوا له قولا لينا لعنة يذكره أو يخشى) وللاحظ. فرعون إنه طغى فقولوا له قولا لينا لعنة يذكره أو يخشى) وللاحظ، فرعون إنه طغى فقولوا له قولا لينا لعنة يذكره أو يخشى) وللاحظ، فرعون إنه طغى فقولوا له قولا لينا لعنة يذكره أو يخشى) وللاحظ، فرعون إنه طغى فقولوا له قولا لينا لعنة يذكره أو يخشى) وللاحظ، فرعون إنه طغى فقولوا له قولا لينا لعنة يذكره أو يخشى) وللاحظ، فرعون إنه طغى فقولوا له قولا لينة (التي هي أحسن) أي لا تكن منفرا ولا تكن حكيمك عليك، ولا محت في نفس الالهة (الذين ظلموا منهم) وما يدل على وجود قاطنين ومقطعين.

فكون بذلك رسالة الإسلام هي الحجة والمكمل لما ورد في الحديث: (إن مثلي مثل الأنيبياء من قبل كم رجل بنى بينها فأحسنه وجنِبه، فإنه وضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطومن له ويجبون له، وقولون هلا وضعت هذه الله، فأنا الله وأنا خاتم النبيين) إذن هناك تكامل بين الرسالات والرسول ووحدة بين الشرائع، فما جاء الإسلام لينسف أو يهدم دائما، بئني على ما كان وشان ما بين البشري والهادم والمؤمن والكافر. وفي نفس المعنى جاء الحديث الآخر.
(إذا بعثّ لأنتم مكارم الأخلاق،) لم يقل جئت لأنشر مكارم الأخلاق أو لأنشئ، وإنما (أَلْقِمُ) فلا أعنف أن تفعلوا صفرًا أو شيءًا مهماً، لا بل هم أسن الأخلاق وأسق الفضائل والها.

أنا أسير في نفس الطريق وأعمل على نفس النسق.
وفي الحديث بوضوح وجلاء أن الإسلام جاء مكارمًا مما أيا فيه الكمال والتمام، فما بعده نقص وما بعده ولدات وإحداثات. ولم كان هناك تناقل وتبادل بين الرسلات كان الأمر الإلهي أن يجادلهم ليس بالحسى وإنما (بالي حيٍّ أحسن).

3- بعض أهل الكتاب أتينا بالإسلام.
قال سبحانه (الذين آتيناه الكتاب من قبلكم هم به بؤمنون)، وإذا تعلّى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إننا كنا من قبلكم مسلمين، وإنك تؤمن أجرهم مرتين بما صبروا ورد رعون بالحسنة السبئة وما زقنهم برفقة، وإذا سمعوا اللهو أعرضا عنه وقابلوا لنا أعمالنا وتكمل أعمالكم. السلام عليهم لا تبغي الجاهلين.

وقد شهد التاريخ الكثير من أهل الكتاب وخصوصًا النصارى يعلدون إتمامهم للإسلام الحنيف وذلك منذ فجر الإسلام وحتى اليوم، وإن كانت هذه الظاهرة بتساع كبر في الغرب وعلى أقصى نطاق في الشرق. وإذاك أسباب لا مجال لذكرها الآن. وقد كان لزاهية الإسلام وأخلاق المسلمين فضلا عن شمولهم ووضوحهم بالأثر الكبير في إبان الأعداد الهائلة من غير المسلمين في مشارق الأرض ومغارها.

4- لأنه الكتاب حجة العقيدة.
وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الوعиш من الغي ف.mem
بالطمغوت وتؤمن بالله فدائم استمسك بالعروة الفتوحى لا افتشم لها والله سميع علم).

267
5- وفم حرية العبادة 
فما شرع في دينهم أو ما يعتقدونه هم من حل الحمر والجنزير لا يقف الإسلام حائلاِ دون أفعالهم ومعتقداتهم، وحسبنا الإشارة إلى الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام وحصائص في فلسطين، وموقف عمر بن الخطاب من الصلاة في كنيسة القيامة، ثم ما ترتبت على زيارته لبيت المقدس من عقد العهد العبرية.

6- لا يجوز إبعادهم، وحسبنا أن ذكر الحديث النبوي الشريف "من آذى ذميها فقد آذاني".

7- الإسلام في غاية الموضوعية في النظر إلى أهل الكتاب، الأفعال الحسنة منهم، ورد القبيحة، ولا يعمم سوءهم عليهم جميعاً، ومن أمثلة ذلك: ومنهم من إن تأمنه بقنطار يهوداً عليك، ومنهم من تأمنه بدينك لا يهوداً عليك، إلا مما دمت عليه قانياً.

وفي النصاري قال: "ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يسكترون".

8- نزوج منهم ولا نزوجهم وتأكل من ذباحهم.

لقوله سبحانه ( وطيبم الذين أوجوا الكتاب حل لكم وطيبم حل لكم والخصائص من المؤمنين والخصائص من الذين أوجوا الكتاب حل إذا أثبتونه أجرهم محصن غير مساحيين ولا منتحرين أخذان ) فالعلاقات الاجتماعية الطيبة التي تصل إلى حد الزواج مزروعة باعتبار النصرانية مؤمنة بالكتاب السماوي معتقدة بصفات الله تعالى، فهي قريبة للإيام الصحيح ولما كان (الرجال قانون على النساء ) فالزواج الصحيح يكسر آخر حاجز بين زوجته النصرانية والإسلام، ويكون سبباً في إنقاذها من العذاب وبالتالي دخولها الجنة.

9- لهم علينا واجب أن نذكرهم بالله وندعوهم للإيام.
قُلْ يَا أُهَلِ الْكِتَابِ تَعَالُوا إِلَى كُلِّ مَوْلُودٍ يَأْتِي صَحِيحًا مِنَ الْإِنْسَانِ وَشَيْئًا مِنْ اْلْأَنْثَى وَليَنْئِنَّ الْمَحْتُورَةُ إِلَّا مَعَ الْهَيَابِ. يَتَحَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَبْيَدٍ مِنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَكُنْ بَيْنُهُمَا شَيْءٌ وَلَا عَبْدٌ إِلَّا أَنْ تُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ بِشَيْءٍ وَلَا تَنْبِئُوا هُمْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرٍهُمْ. وَمَا أَلْقَى إِلَيْهِ الْحُقُوقُ الْعَالِمَةُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا أَنْ أُهِلَّ الْكِتَابُ يَدْخُلُونَ فِي ذَلِكَ الْعَمُومُ.

تَلَكَ أُحْزَٰنَ النَّفَاطِيَّةِ الَّتِي رَأَتِهَا مِنَ الْمَنَاسِبِ الْحَدِيثَ عَنْهَا مُؤْكَّةً عَلَى الْأَلْبَةِ الْكَرِيمَةِ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَٰ مُشِيَّرًا إِلَى أَنَّ الْمَوْضُوعَ وَاسِعَ سَعَةً لَا يَطْبَقُهَا بِجَحْذٍ مَّا وَرَقَةٌ عَمَلٌ مُّخْصُوْرٌ.

(رَبَّنَا لَا تَؤْخَذْنَا إِن نِسَانَا أَوْ أَخَطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَّلْتَ عَلَى الْذِّينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا مَا لَا طَ أَقَةَ لَنَا وَاعْفِ عَنَا وَافْغِفْ لَنا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانْصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).

***************